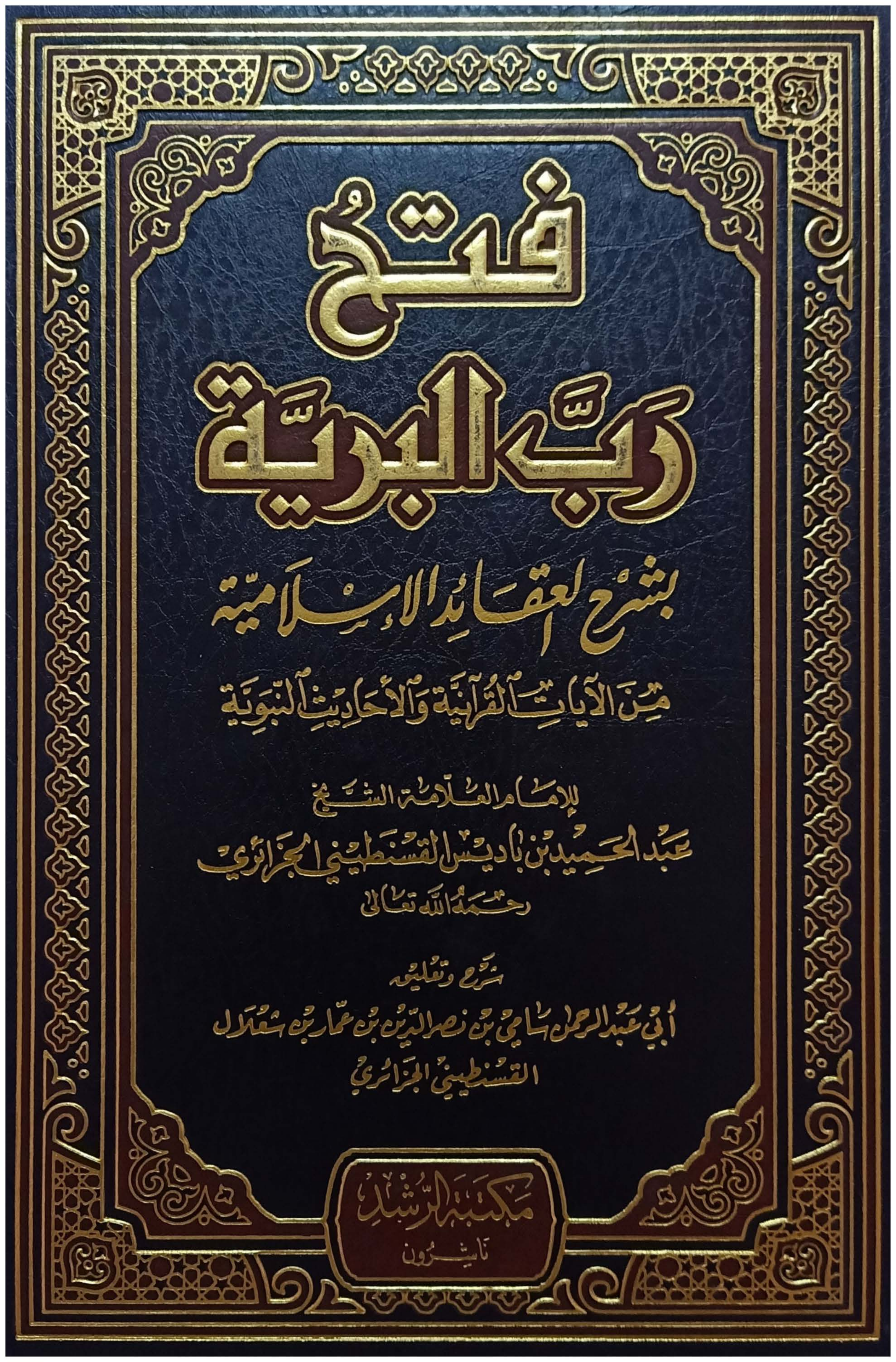
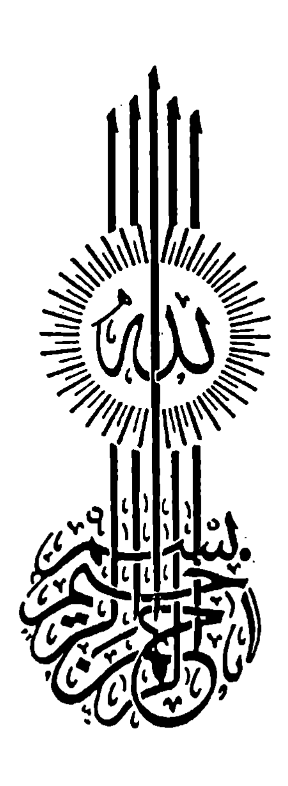

فتح
رب البرية
بشرح العقائد الإسلامية
من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
للإمام العلامة الشيخ
عبد الحميد بن باديس القسنطيني الجزائري
رحمه الله تعالى
شرح وتعليق
أبي عبد الرحمن سامي بن نصر الدين بن عمار بن شعلال
القسنطيني الجزائري
مكتبة الرشد
ناشرون

فتح رب البرية

بشرح العقائد الإسلامية

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية



فتح رب البرية

بشرح العقائد الإسلامية

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

للإمام العلامة الشيخ

عبد الحميد بن باديس القسنطيني الجزائري

رحمه الله تعالى

شرح وتعليق

أبي عبد الرحمن سامي بن نصر الدين بن عمار بن شعلال

القسنطيني الجزائري

مكتبة الرشد

ناشرون

الطبعة الاولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مكتبة الرشد - ناشرون
المملكة العربية السعودية - الرياض
الإدارة : مركز البستان - طريق الملك فهد هاتف ٤٦٠٢٥٩٠
ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس ٤٦٠٢٤٩٧

E-mail:rushd@rushd.com
Website:www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

- الرياض: المركز الرئيسي: الدائري الغربي، بين مخرجي ٢٧ و٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢ فاكس ٤٣٢٩٣٧٥
- الرياض: فرع الشمال، طريق عثمان بن عفان، هاتف: ٢٢٥٣٠٥٢
- الرياض : فرع الدائري الشرقي هاتف ٤٩٧١١٩٩ فاكس ٤٩٦١٥٩٩
- فرع مكة المكرمة: شارع الطائف هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
- فرع جدة : مقابل ميدان الطائرة هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
- فرع القصيم : بريدة - طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- فرع أبها: شارع الملك فيصل : هاتف ٢٣١٧٣٠٧ فاكس ٢٢٤٢٤٠٢
- فرع الدمام : شارع الخزان هاتف :٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣
- فرع حائل هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فاكس ٥٦٦٢٢٤٦
- فرع الإحساء: هاتف ٥٨١٣٠٢٨ فاكس ٥٨١٣١١٥
- فرع تبوك هاتف ٤٢٤١٦٤٠ فاكس ٤٢٣٨٩٢٧

مكاتبنا بالخارج

- القاهرة : مدينة نصر : هاتف :٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
- بيروت بئر حسن هاتف ٠٥/٤٦٢٨٩٥ موبايل ٠٣٥٥٤٣٥٣ - فاكس ٠٥/٤٦٢٨٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة متواضعة

بقلم الفقير إلى الله العلي القدير
عبد القادر الأرناؤوط

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله.

أمّا بعد: فهذا كتاب **(فتح ربّ البرية بشرح العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية)**، تأليف الإمام العلاّمة الشيخ عبد الحميد ابن باديس القسنطيني الجزائري، المتوفى سنة ١٢٥٩هـ الموافق ١٩٤٠م رحمه الله، فقدّمه للنّاس في وقت أحوج ما يكونون إلى معرفة العقيدة السليمة، عقيدة أهل السنة والجماعة، التي جاء بها القرآن، وبيّنا النّبيّ عليه الصلاة والسلام.

وهي عبارة عن دروس وحلقات متسلسلة، كان يلقيها الشيخ رحمه الله على تلاميذته، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة.

فجمعها، ورتبها الأخ في الله أبو عبد الرحمٰن سامي بن نصر الدّين ابن عمّار القسنطيني الجزائري، من طلاّب العلم الذين درسوا العقيدة الصحيحة، وسلكوا الطريقة المستقيمة، فقام بتحقيق هذه الرسالة، ورقّم

الآيات القرآنية، وخرّج الأحاديث النّبوية التي استشهد بها المؤلف رحمه اللَّه، معتمداً في ذلك على أقوال أهل العلم المحققين، الذين هم مرجع في هذا الفن العظيم، وعلّق على الأفكار العامة التي تطرق إليها المؤلف ابن باديس رحمه الله، وقام بترجمة المؤلف، وبيّن ما قام به من أعمال مجيدة، وذكر مقدمة له في عدة دروس دينية، وأثبت في أوّل الكتاب مقدمة للعلاّمة الشيخ محمّد بن بشير[١] بن عمر الإبراهيمي صديق المؤلف رحمهما الله، وهو من كبار علماء الجزائر المتوفى سنة ١٢٨٥هـ ١٩٦٥م.

وقد اشتملت على ذكر المنهج الصحيح في فهم العقيدة الإسلامية، فقام الأخ المحقق لهذه الرسالة، فذكر قواعد الإسلام وعلّق عليها، وبيّن أنّ الدخول في الإسلام والإيمان بالنّبيّ ﷺ يكون بشهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وذكر بعض الفوائد المتعلقة بذلك، وبيّن معنى الإسلام والإيمان، وأنّ الدّين كلّه عقد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، وذكر معنى الإحسان، وما يتعلق بعقيدة الإثبات والتريه، وأنّه يجب علينا أن نثبت ما أثبت الله تعالى لنفسه، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، دون تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، وبيّن أنّ مذهب السلف الصالح: يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

وذكر ما يتعلق بتوحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأنّ توحيد الله تعالى توحيده أيضاً في شرعه، فلا حاكم إلاّ الله، ولا محلّل إلاّ الله، ولا محرّم إلاّ الله، لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾.

---

(١) هكذا قال الشيخ رحمه الله، وإنما هو محمد البشير.

وبيّن معنى القدر لغة وشرعاً، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب الإلٰهية، وأنّ من الإيمان بالقرآن أن نؤمن بكلّ ما ثبت عن النّبيّ ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، والإيمان بالرسل، وأنّ الله تعالى أيّدهم بالبيّنات والآيات، وختمه بتمام عبوديتهم مع علو مرتبتهم، وأنّ الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمّد ﷺ، وجعل رسالته الرسالة العامة للجنّ والإنس إلى أن يرث الأرض ومن عليها، وأنّها ناسخة للشرائع المتقدمة إلى يوم القيامة.

فجزاه الله تعالى كلّ خير، وشكر مسعاه، ورزقنا وإيّاه العلم النافع، والعمل الصالح، ونسأله تعالى أن يتولانا جميعاً بعنايته، إنّه على كلّ شيء قدر، وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

دمشق/ الأحد ١٨ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ

عبد القادر الأرنؤوط

خادم السنة النبوية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أمّا بعد، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة[1].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان يقدمها رسول الله ﷺ بين يدي كلامه، انظر تخريجها والكلام حولها «خطبة الحاجة» للشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

ثمّ أمّا بعد، فإنّ العلماء غياث الأمم ومشاعل للظلم، تهتدي بهم الجموع إلى صراط الله ودينه القويم، يبينون لهم أصول الشريعة وفروعها ويدعونهم إليها، ويرفعون عنهم أسباب الجهل بها، ويزيلون الشبه الواردة عليها، بأقوالهم وأقلامهم وأفعالهم ومواقفهم، هؤلاء هم علماء الإسلام وحملة لوائه، وهم ولله الحمد والمنة جمع غفير في تاريخ الأمة الإسلامية المشرق.

ومن أفرادهم الإمام العلاّمة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، وهو من جلة أهل العلم الذين يدعون من ضل إلى سواء السبيل، «الذين يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم»[١].

وإنّ أثر أهل العلم يظهر في زمانهم بدعوتهم، ويظهر بعدهم بما تركوا لمن خلفهم من الذكر الحسن، والعلم النافع.

وممّا تركه إمامنا العلاّمة رحمه الله تعالى، هذا المختصر المفيد في العقائد الإسلامية، وهي عبارة عن دروس وحلقات متسلسلة، كان يلقيها على تلاميذه بالجامع الأخضر بمدينة قسنطينة ـ حرسها الله تعالى ـ.

وإنّ إحياء التراث الإسلامي، الذي يتضمن الفهم الصحيح للعقيدة ضرورة ملحة، وبخاصة في هذا الوقت الحاضر الذي بدأت فيه العودة إلى دين الله تعالى تظهر في شتّى أنحاء العالم، فضلاً عن العالم الإسلامي، وتأتي تلك الضرورة في الوقت الحاضر بالذات، لأنّه لا بد للأمة من معالم صحيحة في طريق عودتها إلى الله تعالى تبين لها المنهج الصحيح في فهم العقيدة، التي هي القاعدة والركيزة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي المنشود.

---

(١) من كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى في كتابه «الرد على الجهمية» (ص: ٦).

وقد قيّض المولى عزّ وجلّ في كل فترة من فترات الضعف والانحراف علماء مصلحين، يحفظون عقيدة الأمة ويحرسونها، ويردّون على من خالفها أو عارضها، من صدر الإسلام إلى اليوم، إلى أن تقوم الساعة بمشيئة الله تعالى.

فجاءت هذه العقائد الإسلامية للإمام العلاّمة عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى «عقيدة مثلى، يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي، موحد لربه بدلائل القرآن، كأحسن ما يكون المسلم النقي، ويستدل على ما يعتقد في ربّه بآيات من كلام ربه، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى: أمّا برهان وجوده تعالى فحدوث العالم. . .»[١].

هذا، وممّا دفعني إلى إنجاز هذا العمل المتواضع، إيقاظُ همم بني قومي من طلبة العلم وإعلاؤها، لكي يهتمّوا بهذا التراث الكبير الذي تركه لنا الإمام ابن باديس خاصة، وعلماء الجزائر عامة، أمثال الشيخ العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى، والشيخ العلاّمة مبارك الميلي رحمه الله تعالى، والشيخ العلاّمة العربي التبسي رحمه الله تعالى، والشيخ العلاّمة الطيب العقبي رحمه الله تعالى، والشيخ العلاّمة عبد اللطيف سلطاني رحمه الله تعالى، وغيرهم كثير من أعلام علماء الجزائر ـ حماها الله تعالى ـ.

وأكثر من رأيته في هذه الأيام يهتم بتراث علماء القطر الجزائري الحبيب، هو الشيخ أبو عبد الرحمٰن محمود الجزائري وفقه الله تعالى وسدّد خطاه، فكانت له ـ جزاه الله خيراً ـ كتابات ومقالات حول أعلام الجزائر واهتمام خاص بالتراث الذي خلفوه، وآخرها تحقيق كتاب «الشرك ومظاهره»[٢]، للشيخ العلاّمة مبارك الميلي رحمه الله تعالى، إلى أن جاء

---

(١) من كلام الإمام العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى، انظر مقدمة العقائد الإسلامية: (ص: ١٧).

(٢) وهو كتاب عظيم عالج فيه بعض مظاهر الشرك الذي ابتليت بها الجزائر، وقد =

«الفتح المأمول»(١) بإذن الله تعالى من ذلك الشيخ الجليل، أبي عبد المعز محمد علي فركوس، وفقه الله تعالى وفتح الله عليه فتحاً مبيناً.

ولا ننسى تلك الجهود المباركة ـ إن شاء الله تعالى ـ التي قامت بها قديماً وزارة الشؤون الدينية، وعلى رأسها معالي الوزير الأستاذ عبد الرحمٰن شيبان وفقه الله تعالى(*)، في نشر تراث علماء الجمعية، وقد كان من اهتمامه كذلك في هذه الأيام إعادة جريدة «البصائر»(٢) للطبع.

= طبع الكتاب قديماً طبعات كثيرة من دون تحقيق، وكم تمنى الحريصون على السنة أن يحقق هذا الكتاب، فمنّ الله تعالى علينا بتحقيق الشيخ أبي عبد الرحمن، وكم ملىء قلبي سروراً لما رأيته بأحد مكتبات الشارقة، فجزاه الله خيراً، وجعله في ميزان حسناته، آمين. وقد نشرت له وفقه الله تعالى بعض المقالات في التعريف بأعلام الجمعية في المجلة الغراء: منابر الهدى، التي تسعى جاهدة بتعريف المسلمين بدينهم، ودعوتهم إلى الرجوع إلى منابعه الأصيلة، كتاب ربّهم تعالى وسنة نبيهم ﷺ بفهم خير الناس، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء، وسدد خطاهم، ونقول لهم: هل من مزيد.

(١) وهو عبارة عن شرح لكتاب العلاّمة ابن باديس في أصول الفقه، سماه: «مبادىء الأصول».

(*) قال الشيخ أحمد حماني رحمه الله تعالى: «أخونا الكريم الوزير المصلح العظيم، الشيخ عبد الرحمٰن شيبان، فقد بذل مجهوداً كبيراً في إحياء آثار الشيخ ـ ابن باديس ـ والتنويه بشأنه، والمحافظة على ذكره بالقول والفعل، وبالأسلوب الأمثل...»اهـ انظر. صراع بين السنة والبدعة: (١/ ١١).

(٢) وهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد طبعت لأول مرة في مجموع احتوى على خمسين عدداً سنة: (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤)، جمعها الأستاذ محمد الحسن فضلاء، أحد تلاميذ الجمعية، وقدّم لها الأستاذ محمد خير الدين رحمه الله تعالى، أحد رجالات الجمعية، وهي عبارة عن مجموعة تاريخية من التراث الوطني المجيد، وللجمعية غيرها من النشرات، كالسنة النبوية المحمدية، والشريعة النبوية المحمدية، والصراط السوي، ومجلة الشهاب. قال الأستاذ محمد خير الدين رحمه الله تعالى: «وهي صحف ختمت أيامها كما بدأت في وسط المعركة الحامية الوطيس، بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والعدل والظلم، والخير والشر، وهذه الصحف كلها لسان حال جمعية العلماء التي عملت لخير الأمة، وما تزال حتى اليوم في سجل التاريخ من تراث هذا الوطن تاريخاً مجيداً نظيفاً لخير هذه الأمة ونفعها، ولو جاز للجمعية اليوم أن تقول شيئاً =

ومن هذه الجهود المباركة، قيام الدكتور عمار طالبي ـ وفقه الله تعالى ـ بجمع بعض آثار المصنف عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، وقد طبعت في أربعة أجزاء، فجزاه الله خيراً.

هذا، وكان منهجي في هذا العمل المتواضع كالآتي:

أُخرِّج الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، مبيناً درجة كل حديث بقدر الإمكان، معتمداً في ذلك على أقوال أهل العلم المعتبرين، المشهود لهم بالتفوق في هذا العلم الشريف، جاعلاً أصل الرسالة ومتنها أعلى الصحيفة، والتعليق أسفلها.

علقت على الفكرة العامة والمحور الرئيسي الذي تطرق إليه المصنف رحمه الله تعالى، ولم أتعرض لكل كلمة وردت في المتن، فذلك شأن المُطَولات، وما هذا العمل إلاّ شرح موجز(*)، ليس لي فيه إلاّ الجمع والترتيب، أمّا الإبداع، فتلك صنعة لها رجالها، وهيهات اللحاق بهم.

وقد جاءت كثير من مباحث هذا الكتاب مشكلة وحدة موضوعية،

= عن هذه الصحف لما زادت على قول القائل:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار...»اهـ

قال رحمه الله تعالى هذا الكلام بمناسبة تصديره لمجموعة البصائر التي جمعها الأستاذ فضلاء رحمه الله تعالى، في أول رجب سنة: (١٤٠٣هـ)، وأنا أتوجه شخصياً من خلال هذا الإنجاز المتواضع إلى القائمين على جريدة البصائر اليوم، وفي مقدمتهم معالي الوزير السابق: عبد الرحمٰن شيبان وفقه الله تعالى، أن يسعى جاهداً مع إخوانه في إضفاء روح البصائر القديمة على البصائر الجديدة، وأن تسير على خطى الجمعية، وأن تتبنى أصولها العلمية.

(*) كنتُ قد كتبت عند هذا الموضع: «وما هذا العمل إلا شرح بسيط» وهذا خطأ يقع فيه كثير من الكتاب، والصحيح أن يقال: «وما هذا العمل إلا شرح موجز، أو وجيز»، فإن البسيط أو المبسوط هو الواسع والكبير، وقد نبهني على هذا الخطأ أخي الدكتور أبو بكر كافي وفقه الله تعالى.

فوددت أن تجمع في فصل واحد يضمها جميعاً، ولكن لا يَحْسُن التصرف بهذه الصورة، فقد نخل بمراد المصنف رحمه الله تعالى، أو نغير من شكل الكتاب إلى صورة ربما لم يكن يرضاها رحمه الله تعالى.

ولا يسعني في هذا المقام، إلاّ أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، من قريب أو بعيد، وأخص بالذكر أخي الشيخ ضياء راشد البصري، الذي أعارني جهاز الكمبيوتر طيلة إنجاز هذا البحث، فجزاه الله تعالى كلّ خير.

كما أتوجه بالشكر والامتنان إلى عمال مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وعلى رأسهم الأخ الفاضل محمد طويجين، والأستاذ مراد كريم، وهيكل، وعبد العزيز وغيرهم... فقد وفروا لي كل كتاب كنت أحتاجه، وهيّئوا لي الظروف المناسبة.

وسيلاحظ القارىء الكريم أنني أنقل عن بعض الكتب بالواسطة، رغم أن الكتاب الأول مطبوع متداول، ولكن عذري في ذلك صعوبة الحصول على تلك المراجع، إلاَّ أَنِّي أشير إلى ذلك، والنسيان من طبع الإنسان، والله المستعان.

هذا، وقد رأيت أن أثبت في هذا التعليق مقدمة الإمام العلاّمة الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى على العقائد الإسلامية، والتي هي من رواية الأستاذ محمد الصالح رمضان[1] حفظه الله تعالى؛ وذلك لما اشتملت

---

(١) وقد اعتمدت في هذا التعليق على هذه الرواية، وأرمز إليها بحرف (ص)، وأما الرواية الثانية فهي رواية الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله تعالى مفتش التعليم الابتدائي والمتوسط سابقاً، وأرمز إليها بحرف (ح)، والسبب في اعتمادي على رواية الأستاذ محمد الصالح رمضان، ما قاله الأستاذ محمد الحسن فضلاء نفسه: «فصول هذا الكتاب قد تلقيتها دروساً إملائية خصصت لطلبة الجامع الأخضر بقسنطينة، وأود أن أذكر هنا أنها كانت تقدم لقسم من الأقسام، وأستاذنا الإمام كان لا يسمح لغير طلبة القسم =

عليه من ذكر المنهج الصحيح في تلقي العقيدة، وحتى يعلم الأجيال أن هؤلاء الجبال، كانوا على عقيدة خير الناس.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يأتي يوم القيامة في ميزان العبد المذنب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، وصل اللَّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه:

أبو عبد الرحمٰن سامي رياض بن نصر الدين بن عمار بن شعلال القسنطيني الجزائري

الشارقة ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ـ: ١٦ شوّال ١٤٢٢

الموافق ليوم الاثنين: ٣١ ديسمبر ٢٠٠١

= الخاص بالحضور، والساعة التي كانت تقدم فيها هذه الإملاءات كانت فارغة بالنسبة لبرنامجي اليومي، ومع تطلعي للمعرفة، وشغفي بالمزيد منها، وشدة تعلقي بالأستاذ، بحيث كنت أتمنى ألا تفوتني كبيرة منها وصغيرة لو وجدت إلى ذلك سبيلاً، لذلك عمدت إلى حيلة طريفة توصلت بها إلى تسجيل هذا الكتاب، وحضور جميع حصصه المتسلسلة من أولها إلى آخرها. كنت أصعد إلى سدة الجامع، ومعي الزميل الأستاذ بلقاسم الزغداني رحمه الله، الذي أجده أحياناً قد سبقني إليها معتمداً على نفس حيلتي، فأنبطح ـ وإياه ـ على أرضية السدة متجهين لمصدر الصوت، فنتلقى الدرس ونكتبه، وهكذا حتى أتينا على آخر الكتاب، ولم يفتني ـ لحسن حظي ـ منه شيء، والكراسة التي استعملتها لتسجيل دروسي آنذاك ما تزال بين يدي قائمة، على أنّ الأستاذ رحمه الله قد فطن للحيلة، وشكر المسعى»اهـ انظر العقائد الإسلامية من رواية الأستاذ محمد الحسن فضلاء، (ص: ٩، ١٠). فاعتبرت رواية الشيخ محمد الصالح رمضان في الأصل لهذا السبب وفي كل خير.

وقد توجد بعض الأحرف ذكرت في رواية الأستاذ رمضان ولم تذكر في رواية فضلاء، وكذلك قد ترد بعض الأشياء عند فضلاء دون رمضان فأثبتها في أصل الكتاب، فأنبه على ذلك كله في مكانه، والله تعالى أعلم.

ترجمة المصنّف رحمه الله تعالى:

هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكّي بن باديس، ولد يوم ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠٨هـ، الموافق لليلة الجمعة ٤ ديسمبر ١٨٨٩م بمدينة قسنطينة العريقة.

وقبيلته هي صنهاجة الأمازيغية، وينتسب الشيخ إلى عائلة عريقة في الحسب والنسب، قد نبغ من أسرته شخصيات تاريخية لامعة، منها: «بلكين ابن زيري بن مناد»[(١)]، ويكنّى بأبي الفتوح، و«المعز بن باديس»، وقد ذكره ابن خلدون في تاريخه للدولة الصنهاجية[(٢)]، وكان الشيخ عبد الحميد يفتخر به، ولا عجب في ذلك، فهو بمثابة خليفته في مقاومة البدع والضلال، إذ كان جدّه يناضل الإسماعيلية الباطنية، وبدع الشيعة في إفريقيا، إلاّ أنّ أسرته كانت تنتمي إلى الطريقة القادرية.

أتمّ حفظ القرآن الكريم في السنة الثالثة عشر من عمره، وصلّى بالناس التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير بقسنطينة، وبعد حفظ القرآن الكريم، تلقى الإمام علوم العربية والفقه والحديث، على يد شيخه حمدان الونيسي.

---

(١) وقد ذكره الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية: (١١/ ٣٩٥). قال: ويسمى أيضا يوسف. إلا أنّ الأستاذ عادل نويهض ذكر أن يوسف هذا هو ابن زيري ويلقب: بلغين أو بلكين. انظر معجم أعلام الجزائر: (ص: ١٧٤).

(٢) (٦/ ١٥٩).

وحين بلغ الخامسة عشر من عمره سنة ١٩٠٤، تزوّج ورزق بولد، لكنّه مات قريباً صغيراً.

سافر إلى تونس سنة ١٩٠٨ وسنه إذ ذاك تسعة عشر عاماً، وانتسب إلى جامع الزيتونة، ليدرس هناك ثلاث سنوات، نال بعدها شهادة التطويع.

من أبرز شيوخه: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الذي كان له تأثير كبير في تكوين الشيخ اللغوي، وفي الشغف بالأدب العربي والاعتزاز به، والشيخ محمد النّخلي أستاذ التفسير، والشيخ البشير صفر أستاذ التاريخ(*).

وتخرّج عام ١٩١١ ـ ١٩١٢، وعمره ثلاث وعشرون سنّة، وعلّم سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرّجين في ذلك الوقت.

ولمّا عاد الشيخ من تونس قصد الجامع الكبير بقسنطينة، وأخذ في إلقاء الدروس، وابتدأ بتدريس كتاب «الشفاء» للقاضي عياض، ولكن المكائد حيكت له، فعمل مخالفوه على إقلاقه ومنعه، وأطفأوا عليه الضوء وهو في الدرس، بعد ذلك انتقل إمامنا إلى المسجد الأخضر، ـ بالمدينة نفسها ـ للتدريس فيه.

وبعد فترة وجيزة قرر السفر للحج عام ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م، فالتقى بشيخه حمدان الونيسي الذي رحل إلى الحجاز قبل ذلك، وتعرف إلى بعض علماء المدينة، ومنهم الشيخ حسين الهندي الذي أشار إليه بالعودة إلى الجزائر لنشر الدعوة وقمع البدعة ومقارعة الاستعمار.

وفي تلك البقاع الطاهرة ـ زادها الله شرفاً ـ تعرّف على الشيخ الهمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى، الذي سبقه في الهجرة مع أهله إلى المدينة المنورة، وتوطدت الصلة بينهما، وقد مكثا طوال ثلاثة أشهر

(*) انظر ترجمة شيوخه نبذة مختصرة من حياة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس للشيخ أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري (ص: ١٨) وما بعدها.

يتباحثان أوضاع الجزائر، ويخططان لإصلاح البلاد والعباد، واتفقا أنهما حينما يعودان إلى الجزائر سَوْفَ يبدآن حركة علمية، يكون التركيز فيها على الكيف لا على الكم.

بعدها غادر إمامنا المدينة المنورة متجهاً إلى الشام، وبالتحديد إلى سوريا ولبنان، ثمّ إلى مصر بعد أن مكثَ مدةً قابلَ فيها بعض أهل العلم، منهم: الشيخ بخيت المطيعي، الذي نقل إليه رسالة من الشيخ الونيسي، وقد حصل الشيخ عبد الحميد من خلال هذا اللقاء بالشيخ المطيعي إجازة علمية منه.

ثمّ عاد الإمام عبد الحميد بن باديس من رحلته إلى الجزائر، مَوَطّناً العزم على خدمة بلاده وأمته، فشرع في عمله الذي قصد إليه بإيمان متين، وعزم صادق، وإرادة صلبة، وحزم وتصميم، مع آمال فسيحة، ومقاصد نبيلة كبيرة:

ـ أن يسترجع دينه قوته ونفوذه على النفوس، كما بلغه الرسول الأمين ﷺ.

ـ وأن يعود لأمته ما قد ذهب من عز ومجد أثيل[١]، ودولة موحدة وسيادة كاملة، وأن يكون وطنه حراً مستقلاً كما كان.

فبدأ نشاطه العلمي بمساجد مدينته العريقة قسنطينة، مهتماً بالكيف لا بالكمّ، ولم يكن تلاميذه من منطقة واحدة من الجزائر، بل كانوا يرحلون إليه من مناطق كثيرة، فقد كان يدعو ـ من خلال رحلاته في مختلف المناطق الجزائرية ـ أبناء القبائل إرسال أبناءهم للدراسة عليه في الجامع الأخضر بقسنطينة.

وبعد بضع سنوات من بدء نشاطه التعليمي، أسس بعض الصحف،

---

(١) أثيل: أصيل منه تأثّل: تَأَصّل راجع القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ٩٦٠ ط الرسالة.

التي هاجم من خلالها البدع والخرافات والعقائد الفاسدة، داعياً إلى العودة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

ولم يكتف إمامنا رحمه الله تعالى بهذا النشاط الدعوي حتى أنشأ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»، وانتخب رئيساً عليها، وكان من اهتمام الجمعية إصلاح العقيدة أولاً، وبناء شخصية عربية إسلامية، فكان نشاطها الأساسي هو التعليم والتهذيب، ومحاربة الآفات والبدع، وإن شئت فقل: التصفية والتربية، فكانت الجمعية بحق أبرك على الجزائر من المطر(١).

توفي الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم السادس عشر من شهر أبريل عام ١٩٤٠م في قسنطينة، وشيعت جنازته في اليوم التالي في وسط جموع غفيرة، تعدّ بعشرات الآلاف من سكان المدينة، ومن الذين جاؤوا من مختلف أنحاء الجزائر.

وقد ترك موت الإمام فراغاً عميقاً في صفوف الحركة الوطنية من جهة، وفي أوساط المصلحين الإسلاميين من جهة أخرى، وبين الجماهير

---

(١) قال الشيخ أحمد حماني رحمه الله تعالى واصفاً طريقة الشيخ في التربية والتعليم: [. . .وقد خطط وهو مدرك لخطورة ما هو مقدم عليه، ومقدر كل التقدير لما سيصادفه من عراقيل ـ بحكمة وحزم ـ أن يأتي شعبه من أقرب الطرق للنجاح، وأبعدها تأثيراً في النفوس، وأضمنها في الوصول إلى الغاية، هذه الطريقة هي بث التعليم السليم النافع المفيد لإصلاح العقائد وتقويم السلوك، وقبل إعلان الدعوة العامة، لذلك يجب إعداد الأعوان والدعاة، كانت هذه خطة قد رسمها كما كتب بخط يده، إنها خطة بطيئة حقاً ولكنها مضمونة النتيجة. قال: «مضيناً على ما رسمنا من خطة وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات في الدرس، لتكوين نشء علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر، فلما كملت العشر، وظهرت ـ بحمد الله ـ نتيجتها، رأينا واجباً علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح، إلى الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات». . .].اهـ انظر صراع بين السنة والبدعة: (١/٥٨، ٨٩)، وذكر رحمه الله تعالى أنه نقل مقال الإمام ابن باديس من جريدة السنة المشار إليها آنفاً.

الإسلامية ثالثة، التي كانت تنظر إليه على أنّه الزعيم المخلص، والوطني الغيور على دينه وشعبه ووطنه.

وقد ظلّ علماء الجزائر بعد وفاة زعيمهم يحاولون تجميع الشمل، وملء الفراغ الذي تركه الشيخ رحمه الله تعالى في قيادة الجمعية، بتوجيهها على الخط الذي سارت عليه خلال حياته، من أجل تعميق فكرة الإصلاح على المنهج نفسه، في أوساط كل الجماهير الجزائرية(١).

ثناء العلماء وطلبة العلم على الشيخ ابن باديس:

ما من شك أنّ الشيخ ابن باديس ـ رحمه الله تعالى ـ قد نال شهرة كبيرة في الأوساط العلمية والدعوية، ممّا جعل الكثير منهم ـ وإن كان مخالفاً له في المنهج والعقيدة ـ يبدي إعجابه بالشيخ، والتنويه بجهوده العظيمة في دعوة الجزائريين إلى العودة إلى دين الله تعالى، المتمثل في: القرآن، والسنة بفهم السلف الصالح.

قال شيخه الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «العالم الفاضل، نبغة العلم والمجادّة، وقريع التحرير والإجادة، ابننا الذي أفتخر ببنوّته إلينا الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس».

وقال الشيخ محمّد الصادق النيفر ـ رحمه الله ـ: «الابن الروحي،

---

(١) راجع الترجمة: ١ ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، للأستاذ بو الصفصاف عبد الكريم، ٢ ـ صراع بين السنة والبدعة، للشيخ أحمد حماني رحمه الله تعالى، ٣ ـ عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، للأستاذ الدكتور عمار الطالبي، ٤ ـ عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، للأستاذ مازن صلاح مطبّقاني، ٥ ـ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وجهوده التربوية، للأستاذ مصطفى محمد حميداتو، ٦ ـ نبذة مختصرة عن العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، أعدها الشيخ الفاضل أبو عبد الرحمٰن محمود الجزائري. ٧ ـ أعلام الجزائر لعادل نويهض.

والأخ النصوصي، العلاّمة، المدقّق، ومن هو بكل فضيلة متصف ومتعلق، عمدة المغرب الأوسط، والصاعقة على الدجاجلة والطراريس، الأستاذ سيّدي عبد الحميد بن باديس، أتحفه الله بكل فضيلة، وأزاح بعلومه وتحريراته كلّ رذيلة».

وقال الشيخ شعيب التلمساني ـ رحمه الله ـ: «الجهبذ، الإمام، وأحد الأئمة الأعلام، والمُحرر المجيد، ذو الخلق السُنّي الحميد، أنيس كل جليس، الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس».

وقال المحدّث المسند، الرحالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السودي: «الشيخ، الإمام الهمام، عالم الديار القسنطينية، الإيوان النفيس، السيد عبد الحميد بن باديس».

وقال الشيخ مبارك الميلي ـ رحمه الله ـ: «الأستاذ العظيم، والمرشد الحكيم، عُدّتنا العلمية، وعمدتنا الإصلاحية».

وقال الشيخ العلاّمة الطيّب العقبي ـ رحمه الله ـ: «المصلح الفذ، والعلاّمة الذي ما أنجبت الجزائر ـ منذ أحقاب ـ مثله إلاّ قليلاً»[(١)].

فهذه شهادة بعض أهل العلم، ممّن عايش الشيخ ابن باديس عن قرب، وعرف مقدار علمه، وجهوده في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ.

وأما الشواهد الدالة على سلفية الشيخ ابن باديس فكثيرة أيضاً، منها: كتابه العقائد الإسلامية، الذي هو أصل للشرح الذي بين أيدينا، وقد مرّ معنا الإشارة إلى هذا من قبل.

ومنها كلام لبعض أهل العلم وطلبته:

١ ـ قال الشيخ العلامة الأديب محمّد البشير الإبراهيمي ـ رحمه

---

(١) راجع هذه الأقوال رسالة الشيخ الفاضل أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري ـ وفقه الله ـ: (ص: ٢٧ ـ ٢٩).

الله تعالى ـ: «والإمام ﷺ، كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك ـ وهو في مقتبل الشباب ـ ينكر بذوقه ما كان عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، **ويتمنّى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلّماً، وقد بلّغه الله أمنيته، فأخرج للأمّة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية**»(١).

٢ ـ وقال الشيخ علي حسن عبد الحميد الحلبي ـ وفقه الله تعالى ـ في تعليقه على مقالات في الدعوة والداعية للعلاّمة ابن باديس: «ومؤلف هذا الكتاب **عالم سلفي**، وداعية سنيّ، ومجاهد ربّانيّ، قضى حياته ـ ولا نزكّي على الله أحداً ـ في أبواب العلم والدعوة والجهاد، علماً وعملاً، متّبعاً كتاب ربّه سبحانه، ومتأسّياً بسنّة نبيّه ﷺ، ومقتفياً آثار سلف الأمة الهداة، رحمهم الله أجمعين»(٢).

٣ ـ وقال الشيخ الفاضل أبو عبد الرحمن محمود الجزائري ـ وفقه الله تعالى ـ: «كان ابن باديس ـ رحمه الله تعالى ـ **سلفياً**، متّبعاً للأثر، متمسّكاً بالسنّة، على الطريقة المرضية التي كان عليها السلف الصالح، من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المجتهدين، وغيرهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، ممّن اقتفى آثارهم واتّبع سبيلهم، **بعيداً كلّ البعد عن أهل البدع في العقائد والأعمال وغيرها**، لا يعرف التأويل، ولا يخوض فيه»(٣).

بل قال العلاّمة ابن باديس نفسه: «الواجب على المسلم في كلّ مكان وزمان أن يعتقد عقداً يتشرّبه قلبه، وتسكن له نفسه، وينشرح له صدره، ويلهج به لسانه، وتبنى عليه أعماله، أنّ دين الله تعالى ـ من عقائد الإيمان،

---

(١) مقدمة العقائد الإسلامية: (ص: ١٥).

(٢) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية: (ص: ٥).

(٣) نبذة مختصرة عن العلاّمة ابن باديس: (ص: ٣٣).

وقواعد الإسلام، وطرائق الإحسان - **إنّما هو في القرآن والسنّة الصحيحة وعمل السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأنّ كلّ من خرج عن هذه الأصول ولم تحظ لديه بالقبول - قولاً كان أو عملاً أو اعتقاداً أو احتمالاً - فإنّه باطل من أصله، مردود على صاحبه - كائناً من كان في كلّ زمان ومكان -، فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا إن شاء الله تعالى، فقد تظاهرت عليها الأدلة من الكتاب والسنّة وأقوال أساطين الملة، من علماء الأمصار، وأئمة الأقطار، وشيوخ الزهد الأخيار، وهي لعمر الحق، لا يقبلها إلاّ أهل الدّين والإيمان، ولا يردّها إلاّ أهل الزيغ والبهتان»**[1].

ومن عجائب الزمان، ومضحكات الدهر، أنّ بعض السفهاء، من الذين سلكوا سبيل الطعن في العلماء للظهور، استكثر على الشيخ ابن باديس - رحمه الله - أن يكون سلفياً، بسبب بعض الأخطاء التي وقع فيها، وكأنّ السلفيّ عند هؤلاء القوم لا بد أن يكون في مصاف الملائكة، لا تصدر منه هفوة ولا كبوة.

وأمّا العلماء الربانيون، وطلبة العلم الموفقون، فإنّهم يحاولون جهدهم التماس الأعذار لأهل العلم، الذين عرفوا بتمسكهم بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ بفهم خير القرون.

فهذا العالم الرباني، وشيخ الإسلام الثاني، ابن القيم - رحمه الله تعالى - قد اعتذر لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمّد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي، رغم كونه قد جنح إلى بعض الأوهام والشطحات بسبب مشربه الصوفي، إلاّ أنّه كان على العقيدة الصافية، التي كان عليها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني.

---

(١) نفسه: (ص: ٣٦ - ٣٧).

قال ابن القيم في شطحات الهروي: «ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات، ويستغفرها كمال الصدق، وصحة المعاملة، وقوة الإخلاص، وتجريد التوحيد، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ»[١].

بل نقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية قوله في الهروي: «عمله خير من علمه»، ثمّ قال ابن القيم: «وصدق رحمه الله، فسيرته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد أهل البدع، لا يشق له فيها غبار، وله المقامات المشهورة في نصرة الله ورسوله، وأبى الله أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ»[٢].

فهذا هو المنهج، وهذه هي الطريقة الشرعية في التعامل مع الأخطاء والمزالق، فلا نجامل أحداً بالسكوت عليها، وفي الوقت نفسه لا ننس الأدب، والإنصاف، والعدل، والتماس العذر، وبخاصة من عرف عنه صحة الإيمان، والذب عن السنة، وحب الحق، كالشيخ الإمام العلاّمة عبد الحميد بن باديس ـ رحمه الله ـ.

وما أجمل أن ندعو للشيخ ابن باديس بمثل ما دعا ابن القيم للهروي، فنقول: «**الله يشكر للشيخ ابن باديس سعيه، ويعلي درجته، ويجزيه أفضل جزائه، ويجمع بيننا وبينه في محلّ كرامته**»[٣].

---

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٣٩).

(٢) المرجع نفسه: (٣/ ٣٩٤).

(٣) المرجع نفسه: (٢/ ٥٢). وللأمانة العلمية، أودّ أن أنبّه أنّ هذا المبحث، أعني مبحث ثناء العلماء على الشيخ ابن باديس لم يطلع عليه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ رحمه الله تعالى ـ، وذلك أنني وقفت على الطعن في الشيخ ابن باديس من بعض السفهاء بعد أن قرأ الشيخ كتابي هذا.

التعريف بكتاب العقائد الإسلامية:

قال الشيخ الإمام العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى:

«هذه عدّة دروس دينية، ممّا كان يلقيها أخونا الإمام المبرور الشيخ عبد الحميد بن باديس، إمام النهضة الدينية والعربية والسياسية في الجزائر غير مدافع، على تلاميذه في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة، في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن، على الطريقة السلفية، التي اتّخذتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منهاجاً لها بعد ذلك، وبنت عليها جميع مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني، مسترشدة بتلك الأصول التي كان الإمام رحمه الله يأخذ بها تلاميذه قبل تأسيس الجمعية... وكان يمهّد في نفوس تلاميذه والمستمعين لدروسه، ليكونوا في يوم ما قادتها وأعوانها، وحاملي ألويتها، ومنفذي مبادئها، وناشري الطريقة السلفية الشاملة، في العلم والعمل وسائر فروع الإصلاح الديني، كان الإمام المبرور يصرف تلامذته من جميع الطبقات على تلك الطريقة السلفية...

والإمام رضي الله عنه، كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك ـ وهو في مقتبل الشباب ـ، ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً، وقد بلّغه الله أمنيته، فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية...»[١]. اهـ.

وقال تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان وفقه الله تعالى:

«... وكأنّ صوت إمامنا ما يزال يرن في أذني حين إملاء هذه الدروس بالجامع الأخضر، وقد حذا فيها الإمام حذو السلفية الرشيدة، من اعتماد كتاب الله والصحيح من سنة رسول الله ﷺ، قبل تفسيرات المذاهب

(١) مقدمة العقائد الإسلامية: (ص: ١٤، ١٥).

المختلفة، وتأويلات أصحابها في مرحلة الاختلاط، والاستشهاد بما عند الأقدمين من أصحاب الأديان والفلسفات والمذاهب الأخرى... ممّا أثار البلبلة والحيرة، وتشعب الآراء وانبهام الحقيقة أمام الدارس.

وكان ذلك ممّا دعا المصلحين إلى ضرورة العودة إلى إصلاح العقائد الإسلامية، وشرح المصطلحات، وحل القضايا على نمط سلفي واضح، بصريح نص الكتاب والسنة الصحيحة، لا برأي الجبرية والقدرية وغير ذلك من الآراء الفلسفية.

فخير طريقة في تعليم العقائد في التوحيد هي طريقة الشارع الحكيم، المبنية على مراعاة الفطر الإنسانية السليمة، البعيدة عن الأوضاع والتقنيات البشرية، التي تعب الأوائل في وضعها، وأتعبوا الناس في فهمها.

وعلى هذا السنن، وبطريقة واضحة وأبسط، سار الإمام ابن باديس، الذي وضع العقائد على أساس من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة»[1]. اهـ.

وذكر الأستاذ محمد الصالح السبب الدافع لإعادة طبع العقائد، قائلاً:

«...كما رغب مني بعض الأساتذة والشيوخ، وفي مقدمتهم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، أن أعيد طبع العقائد الإسلامية هذه، لحاجة الأجيال الصاعدة إليها، لاختصارها واستيعابها لأصول العقائد الدينية بطريقة سلفية، لا لبس فيها ولا غموض، مستمدة كلها من الكتاب والسنة لا غير، بخلاف كتب التوحيد والعقائد التي تشعب فيها البحث والنظر، واتّخذ ألواناً من الفكر الفلسفي، المستمد من الثقافات الأجنبية، والديانات المختلفة، هذا فضلاً عن كتب العقائد للطوائف والفرق الدينية، كالشيعة والخوارج والمرجئة، وعلم الكلام التي توزعت مذاهبه بين الأشاعرة والمعتزلة، وعمّ

---

(١) المرجع نفسه: (ص: ٩، ١٠).

الجدل والصراع فيه بين المسلمين إلى حدّ التفرق والتمزق والتشتت والتفتت، وألفت المؤلفات التي لا تحصى في التوحيد وعلم الكلام، وصار له أئمة ومذاهب شتّى، مثلما وقع في علم الفقه وأصول الدين[(١)]، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

أمّا هذه العقائد، فهي مستمدة من كلام الله، والثابت الصحيح من حديث رسول الله ﷺ فقط، لا من كلام فلان أو رأي فلان، وهي الطريقة المثلى في هداية الناس إلى معاني الإسلام والإيمان والإحسان وعقائد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء والقدر»[(٢)]. اهـ.

فظهر والحمد لله تعالى، أنّ منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عرض العقيدة، هو منهج أهل السنة والجماعة، المبني على صريح القرآن وصحيح السنة، فإنّها أعظم مزية امتاز بها أهل الأثر على أهل الأهواء والفرقة، لذلك كان منهج أهل السنة والأثر والحديث في فهم العقيدة هو المنهج الصحيح، الذي يجب تقديمه للأمة الإسلامية اليوم، لكي تصبح بحق أمة مسلمة تستحق نصر الله تعالى.

قال العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى: «...يجب الرجوع في طريق الاستدلال على العقيدة إلى طريقة القرآن...»[(٣)]. اهـ.

وقد عرض الشيخ عبد الحميد المسائل العقدية بأسلوب سهل مُيَسَّر، لا يكاد يخفى معناه على أحد، وقد اشتملت على أغلب المسائل التي خالف فيها أهل السنة أهل البدع وتميّزوا بها، وذلك شأن مختصرات التوحيد عند أهل السنة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن شأن

---

(١) لعلّ المقصود: علم أصول الفقه.

(٢) مقدمة العقائد: (ص: ١٢، ١٣).

(٣) آثار محمد البشير الإبراهيمي: (١/ ٥٢).

المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة، أن يذكروا ما تميّز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين...»[1]. اهـ.

هذا، والمتتبع لكتاب العقائد، يجده عبارة عن شرح حديث جبريل في مراتب الإسلام، فقد تعرض فيه لتفسير هذه المراتب الثلاث.

ونتائج هذا الطريق السديد الذي سلكه إمامنا رحمه الله تعالى بتوفيق الله تعالى له، اتّفاقه مع علماء السلف أهل الحديث، فكلامهم في شتّى أبواب الاعتقاد واحد، لا يختلف في كل عصر ومصر، وهذا ممّا يؤكد أنهم هم أهل الحق وعلى الحق، والحق واحد لا يختلف، وذلك يجعلهم أحق الناس بوصف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

(١) شرح العقيدة الأصفهانية: (ص: ٣١).

تقديم
بقلم فضيلة العلامة
الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى

الحمد لله حقّ حمده، وصلّى الله على سيدنا محمد رسوله وعبده، وعلى آله وأصحابه الجارين على سنته من بعده.

هذه عدة دروس دينية، ممّا كان يلقيه أخونا المبرور الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ إمام النهضة الدينية والعربية والسياسية في الجزائر غير مدافع ـ على تلامذته في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن، على الطريقة السلفية التي اتخذتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منهاجاً لها بعد ذلك، وبنت عليها جميع مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني، مسترشدة بتلك الأصول التي كان الإمام رحمه الله يأخذ بها تلامذته قبل تأسيس الجمعية، وإن كانت الجمعية قد توسعت في ذلك.

فالفكرة التي بنى عليها الإمام دروسه وأماليه[1] كانت تصحبها فكرة أخرى أشمل منها، وهي فكرة جمعية العلماء. فالفكرتان كانتا مختزنتين في تلك النفس الكبيرة، وكان رحمه الله يديرهما بذلك النظر البعيد، ويهيىء لهما من الوسائل ما يبرزهما في الحين المقدر لهما.

---

(١) أماليه: كتاباته راجع تهذيب اللغة للأزهري باب (مل) (أملّ عليه شيئاً يكتبه وأملىٰ عليه) (٨/ ٢٥٤) ط إحياء التراث العربي.

وكان يمهد في نفوس تلامذته والمستمعين لدروسه ليكونوا في يوم ما قادتها وأعوانها، وحاملي ألويتها ومنفذي مبادئها، وناشري الطريقة السلفية الشاملة في العلم والعمل وسائر فروع الإصلاح الديني.

كان الإمام المبرور يصرف تلامذته من جميع الطبقات على تلك الطريقة السلفية، ومعلوم أنّ الإصلاح الإسلامي الذي قامت به جمعية العلماء بعد ذلك لا تقوم إلاّ على ذلك، وأنّ هذا الإمام رفع قواعده وثبَّت أصوله وهيّأ له جيشاً من تلامذته وحاضري دروسه.

والإمام رضي الله عنه كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك ـ وهو في مقتبل الشباب ـ ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً، وقد بلغه الله أمنيته، فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية قاموا بحمل الأمانة من بعده، ووراءهم أجيال أخرى من العوام الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية.

وقد تربت هذه الأجيال على هداية القرآن، فهجرت ضلال العقائد وبدع العبادات، فطهرت نفوسها من بقايا الجاهلية التي هي من آثار الطرائق القديمة في التعليم، وقضت الطريقة القرآنية على العادات والتقاليد المستحكمة في النفوس، وأتت على سلطانها.

وقد راجت هذه الطريقة وشاعت حتى بين العوام، وإن كانوا لا يحسنون الاستدلال بالقرآن، وإن كان الاستعداد الكامن في الأمة للإصلاح الديني، وكثرة حفاظ القرآن فيها أعانا على تثبيت هذا الميل القرآني فيها، فأصبح العامي لا يقبل من العالم كلاماً في الدين إلاّ إذا استدل عليه بآية قرآنية، وأصبح العامي إذا سمع الاستدلال بالقرآن أو الحديث اهتز وشاعت في شمائله علامة الاقتناع والقبول، وهذه أمارة دالة على عودة سلطان

القرآن على النفوس يُرجى منها كل خير.

ختم الإمام ابن باديس القرآن كله درساً على هذه الطريقة في خمس وعشرين سنة، ولو أنّه رزق تلامذة حرّاصاً على تلقف كل ما يقوله وينزل عليه الآيات من المعاني، لوصل إلى الأمة كثير.

كما وصلت هذه الأمالي بعناية الأستاذ الموفق محمد الصالح رمضان القنطري، فإنه تلقى هذه الدروس ونقلها من إلقاء الإمام، واستأذنه في التعليق عليها ونشرها للانتفاع بها، فجزاه الله خير الجزاء.

لم ينقل لنا تاريخ العلماء بهذا الوطن أنّ عالماً ختم تفسير القرآن كله درساً إلاّ ما جاء فيه عن الشريف التلمساني أنه ختم تفسير القرآن كله في المائة التاسعة، والشريف حقيق بذلك، ولكن لم ينقل لنا منه شيء، لأن تلامذته كانوا في التقصير كتلامذة ابن باديس، ولو كانوا على درجة من الحرص والاحتياط، لوصل إلينا شيء من ذلك.

وقد كتب الإمام ابن باديس بقلمه البليغ (مجالس التذكير)، وهي تفسير لآيات ولأحاديث جامعة كانت تعرض له في تفسير القرآن أو في شرح (الموطأ) التي أقرأها درساً حتى النهاية، ونشرها في مجلة (الشهاب)، ثم فسر سورتي المعوذتين يوم الختم تفسيراً عجيباً، ونقلها من إلقائه كاتب هذه السطور نقلاً مستوعباً، بحيث لم تفلت منه كلمة، ونشره في عدد خاص من مجلة (الشهاب)، وقدّم له كاتب هذه السطور أيضاً.

وهذا درس من دروسه ينشره اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنة تلميذه الصالح كاسمه محمد الصالح رمضان، فجاءت عقيدة مثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي، موحد لربه بدلائل القرآن، كأحسن ما يكون المسلم النقي، ويستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى: «أمَّا برهان وجوده تعالى فحدوث العالم»!

كان علماء السلف يرجعون في كل شأن من شؤون الدين إلى القرآن، بل كان خلقهم كما كان النبيّ ﷺ، وكما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويغضب لغضبه»(*).

وكانوا يحكّمون القرآن في كل شيء، حتى في الخطرات العارضة والسرائر الخفية، حتى تمكّن سلطانه من نفوسهم وأصبحت لا تتحرك ولا تسكن إلاّ بأمره ونهيه، وأصبحوا يقودون حتى الخلفاء والأمراء بذلك السلطان، وذلك هو السر في علوّ كلمة الإسلام وسرعة انتشاره في المشارق والمغارب.

فلمّا تفرقت المذاهب الفقهية ونشأ علم الكلام، وتفرقت منازعه بين الأشاعرة والمعتزلة، وطمّا[1] علم الجدل، وتفرق المسلمون شيعاً، حتى أصبح كل رأي في علم الكلام أو الفقه يتحزب له جماعة، فيصبح مذهباً فقهياً أو كلامياً يلتف حوله جماعة ويجادلون. فضعف سلطان القرآن على النفوس، وأصبح العلماء لا يلتزمون في الاستدلال بآياته ولا ينتزعون الأحكام منها إلاّ قليلاً، فعلماء الكلام صاروا يستدلون بالعقل، والفقهاء أصبحوا يستدلون بكلام أئمتهم أو قدماء أتباعهم!

ومن هنا نشأ علم الكلام، وعلم الفقه. وعلى هذه الطريقة ألفت المؤلفات التي لا تحصى في العالمين، وانتشرت في الأمة وطارت كل مطار.

أمّا أئمة الفقه ومؤلفاتهم فلا يحصون كثرة، وأمّا أئمة الكلام، فالذي توسع في الطريقة العقلية ووسع دائرتها فهم جماعة معروفون، كفخر

(*) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨) وأحمد في المسند: (٢٤٦٤٥ ـ ٢٥٣٤١) والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٢٧) وصححه الألباني.

(١) والأصح طمَّ أي كَثُرَ وعلا ومنه جاء السيل فطمَّ على كل شيء أي: علاه راجع تهذيب اللغة للأزهري ج ١٣ ط/ إحياء التراث الغربي.

الرازي، والقاضي أبي بكر بن الطيب، وأبي بكر الباقلاني، والبيضاوي، وإمام الحرمين، وسعد الدين التفتزاني، والقاضي عضد الدين الإيجي، وهؤلاء هم الذين ثبّتوا القواعد الكلامية والاستدلال على التوحيد بالعقل. ومؤلفاتهم ما زالت إلى يومنا هذا مرجعاً للمتمسكين بهذه الطريقة، وإن كانت لا تدرس في المدارس إلاّ قليلاً، وكلها جارية على الأصول التي أصّلها أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه(*)، وآراؤه هي التي يقلدها جمهرة المسلمين، وهذا كله في الشرق الإسلامي.

وأمّا مغربنا هذا مع الأندلس فلم يتسع فيه الكلام إلى هذا الحد وإن كانوا يدرسونه على هذه الطريقة ويقلدونه، ويدينون باتباع رأي الأشعري ولم يؤلفوا فيه كتاباً ذا بال إلاّ الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، فإنّه ألف فيه على طريقة المشارقة عدة كتب شاعت وانتشرت في الشرق والغرب، وقررت في أكبر المعاهد الإسلامية كالأزهر.

حتى جاءت دروس الإمام ابن باديس فأحيا بها طريق السلف في دروسه ـ ومنها هذه الدروس ـ وأكملتها جمعية العلماء.

فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كل شيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد الله، فإنّ الطريقة المثلى هي الاستدلال على وجود الله وصفاته وما يرجع إلى الغيبيات لا يكون إلاّ بالقرآن، لأنّ المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما ثبت له ونفي ما انتفى عنه لا يكون إلاّ بآية قرآنية محكمة، فالمؤمن إذا سولت له نفسه المخالفة في شأن من أمور الآخرة، أو صفات الله، فإنّها لا تسول له مخالفة القرآن.

وقد سلك علماء جمعية العلماء في دروسهم الدينية كلها، وخطبهم

(*) وذلك قبل أن يرجع إلى عقيدة السلف التي مات عليها، وكتابه الإبانة وغيره شاهد على ذلك.

الجُمُعية طريقة الإمام ابن باديس، فرجع سلطان القرآن على النفوس.

فجزى الله أخانا ابن باديس عن الإسلام خير الجزاء، فإنّ من أحيا القرآن فقد أحيا الدين كلّه. وجزى الله إخوانه الذين اتبعوا طريقته توفيقاً للعمل يساوي توفيقهم في العلم. وجزى الله تلامذته الذين قاموا بحمل الأمانة من بعده.

وهذه دروس من دروسه ينشرها اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنة الأستاذ رمضان، أحد طلابه، فجاءت عقيدة مثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي موحد لربه بدلائل القرآن، كأحسن ما يكون المسلم السلفي، ويستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه.

فنحث القائمين على تعليم ناشئتنا في المدارس الحرة أو الحكومية في الجزائر وغيرها من الأقطار الإسلامية، على اتخاذها أساساً في تربيتهم على التوحيد الصحيح، بل نحث كل أب مسلم أن يقتنيها لأولاده، ويحثهم على تعلمها وتفهمها، وأن يشترك أهل البيت كلهم في ذلك فكلهم في حاجة إليها.

وفقنا الله جميعاً لاتباع كتابه، وسنة نبيّه، والرجوع إليهما، وإلى هدي السلف الصالح في تبيين معانيهما.

محمد البشير الإبرهيمي

افتتاح

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار[1].

---

(١) قال الأستاذ محمد الصالح رمضان عند هذا الموضع من روايته: «هذا ما حفظناه من أستاذنا الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد كان يفتتح به دروس التفسير العمومية كلّ ليلة طيلة السنوات التي قرأناها عليه، رحمه الله ورضي عنه»اهـ. مقدمة العقائد: (ص: ٢١).

وقد سبقت الإشارة إلى هذه الخطبة النبوية، وانظر أخي حرص الإمام عبد الحميد بن باديس على تعليم تلاميذه هذه الخطبة المباركة، وذلك طوال السنوات التي قضاها في تربيتهم وتعليمهم، فجزاه الله خيراً عن حرصه على تعليم السنة.

إلا أنني أريد أن أنبه على أنّ قوله: «نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، وقوله: «نشهد أنّ محمداً عبده ورسوله»، تصرف من المصنف رحمه الله تعالى، وليس من قول النبيّ ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: [والأحاديث كلّها متفقة على أنّ «نستعينه»، و«نستغفره»، و«نعوذ به» بالنون، والشهادتين بالإفراد، «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله»...]اهـ نقلها عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى في تهذيب السنن: (٣/ ٥٤)، وانظر خطبة الحاجة للشيخ الألباني: (ص: ١٠).

قواعد الإسلام

بيان قواعد الإسلام الخمس من الآيات القرآنية والأحايث النبوية

[١] قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**»، رواه مسلم[(١)].

---

[١] مراد المصنف رحمه الله تعالى من هذا الفصل أن «هذه الأركان بعد الشهادتين والتي بني عليها الإسلام، هي دعائمه العظام التي يقوم عليها، وبذهاب

---

(١) (١/ ٣٤، ٣٥ نووي) (١٦)، والبخاري: (٨)، (٤٠١٤)، والترمذي: (٤/ ١١٩)، والنسائي: (٨/ ١٠٧)، وأحمد: (٢/ ٢٦، ٩٢، ١٢٠، ١٤٣)، وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنه.

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: (٩٢٧٩) بلفظ: «إن الإسلام بني على أربع دعائم: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، لا يفرق بينهما، وصيام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وأن الجهاد صدقة من العمل الصالح».

وله شاهدان من حديث ابن عباس، وجرير بن عبد الله رضي الله عنهم، انظر هما في إرواء الغليل للعلامة الألباني رحمه الله تعالى: (١/ ١١٣)، (٣/ ٢٤٩).

وتخريج الحديث ذكره في (ح) ولم يذكره في (ص).

تنبيه: أخرج حديث ابن عباس الإمام الطبراني في الكبير: (١٢٨٠٠)، والإمام ابن عبد البر في الاستذكار: (١٣٨٤)، وجاء في آخره بعد ذكر مباني الإسلام قوله: «... فمن ترك واحدة منهن، كان كافراً حلال الدم...».

. . . .

واحد منها جحوداً يذهب إسلام المرء، ومعلوم أن هناك واجبات أخرى يلزم المكلف القيام بها سوى هذه الأركان بينها الكتاب والسنة»[١].

والدليل على هذا، الآثار الصحيحة في هذا المعنى من زيادات قواعد الإيمان بعضها بعد بعض.

فمن الأربع، حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قدوم وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ[٢]، ومن الخمس حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى، ومن التسع حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«إن للإسلام صُوَى ومناراً كمنار الطريق، منها أن تؤمن بالله، ولا تشرك به شيئاً، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئاً، فقد ترك سهماً من الإسلام، ومن تركهن فقد ولَّى الإسلام ظهره»**[٣].

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «...والحديث فيه نقص وزيادة، أما النقص فهو أنه لم يذكر الزكاة والحج، وليس ذلك من سقط النساخ، فقد ذكر الحديث هكذا غير واحد من الحفاظ، منهم السيوطي في الجامع الكبير.... وأما الزيادة ففي قوله: «فمن ترك واحدة منهن كان كافراً حلال الدم»، فهذه زيادة منكرة، لتفرد هذا الضعيف ـ وهو عمرو بن مالك أبو مالك النكري ـ بها، وعدم ورودها في شيء من طرق الأحاديث المتقدمة الصحيحة». انتهى، انظر إرواء الغليل: رقم (٧٨١).

(١) كتاب الإيمان للإمام ابن منده رحمه الله تعالى: (١/...)، وانظر جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (١/ ١٤٥).

(٢) انظر تخريجه: (ص: ٧١).

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان: (ص: ١٤)، والحاكم: (١/ ٢١) وصحح ووافقه الذهبي وصحح الألباني في تخريج كتاب الإيمان لأبي عبيد.

وقال أبو عبيد في كتاب الإيمان: (ص: ١٤): «صوى: هي ما غلظ وارتفع من الأرض واحدتها صوة». وقد ذكر الألباني رحمه الله تعالى أن صاحب لسان العرب حكاه عن الأصمعي، وذكر عن أبي عمرو أنه قال: «الصوى: أعلام من حجارة منصوبة =

. . . .

وهذه الأحاديث ليست متناقضة لاختلاف العدد فيها، «فهي بحمد الله ورحمته بعيدة عن التناقض، وإنما وجوهها نزول الفرائض بالإيمان متفرقاً، فكلما نزلت واحدة ألحق رسول الله ﷺ عددها بالإيمان، ثم كلما جدد الله له منها أخرى زادها في العدد، حتى جاوز ذلك السبعين كلمة، كذلك في الحديث المثبت عنه أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة...**»[١]، وإن كان زائداً في العدد فليس هو بخلاف ما قبله، وإنما تلك دعائم وأصول وهذه فروعها زائدات في شعب الإيمان من غير تلك الدعائم. . .»[٢].

ومن هنا فليس «لأحد أن يقول ليس الإسلام إلا ما في حديث فلان دون غيره من الأحاديث، حتى يقرّبها كلّها، وكذلك الإيمان لم يأت مفسراً بكماله في آية، ولا آيتين، ولا حديث، ولا حديثين، وكذلك الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، لم يأت شيء من ذلك بكماله في آية ولا آيتين، ولا حديث ولا حديثين. . .»[٣].

= في الفيافي، والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها». ثم قال صاحب اللسان: «قال أبو عبيد: وقول أبي عمرو أعجب إلي، وهو أشبه بمعنى الحديث». انظر تعليقه رحمه الله تعالى على كتاب الإيمان لأبي عبيد: (ص: ١٤)، وانظر لسان العرب (١٤/ ٤٧١).

(١) انظر تخريجه لاحقاً. وهذا آخر ما وصف به رسول الله ﷺ الإيمان؛ لأن العدد إنما تناهى به، وبه كملت خصاله، والمصدّق له قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. انظر الإيمان لأبي عبيد: (ص: ١٥).

(٢) الإيمان لأبي عبيد: (ص: ١٥).

(٣) كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمه الله تعالى: (ص: ١٣٦).

الكلام على القاعدة الأولى وما يتعلق بها

[٢] لا نجاة لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

---

[٢] بعدما ذكر المصنف رحمه الله تعالى حديث ابن عمر رضي الله عنهما وما اشتمل عليه من بيان قواعد الإسلام، بدأ في الكلام على القاعدة الأولى وما يتعلق بها من مسائل.

فمما يجب اعتقاده ـ بلا ريب ولا شك ـ أنه لا خلاص للعباد إلا بالدخول في دين الله الحق وهو الإسلام، وأن غيره من الديانات الباطلة، والنحل المنحرفة، من نصرانية ويهودية ووثنية صاحبها غير ناج.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كان غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النّار**»(١).

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾

(١) أخرج البخاري: (١٣٥٦)، (٥٦٥٧)، والبغوي في شرح السنة: (٥٧)، وأبو داود: (٣٠٩٥) بلفظ: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

. . . .

[هود: ١٧]، فعن سعيد بن جبير وقتادة رحمهما الله تعالى أن الهاء راجع إلى اليهود والنصارى[1].

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٦/ ١٢٤١)، وتفسر ابن جرير: (١٢/ ٢٠٠١٩).

وهكذا سائر أهل الأرض، مشركهم وكافرهم وأهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم. وانظر إن شئت تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٠٠).

[٣] الإسلام هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، ولقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟[١] لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١١ ـ ١١٢].

---

[٣] مراد المصنف رحمه الله تعالى بالإسلام هنا الانقياد وإخلاص الدين لله تبارك وتعالى، وسيذكر هذا المعنى قريباً، وهذا حق لا ريب فيه؛ فإنّ جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مسلمون لله تعالى وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنّه قال: «**أنا أولى النّاس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّت، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»[٢].

ولذلك قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: «ودين الله في الأرض

---

(١) في (ح) ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾، إلى آخر الآية.

(٢) أخرجه البخاري: (٣٤٤٣)، ومسلم في الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، برقم: (٢٣٦٥)، وأحمد: (٢/٣١٩)، والبغوي في شر السنة: (٣٦١٩).

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «قوله: أخوة لعلات، ما ذكر في الحديث أنّ أمهاتهم شتى ودينهم واحد، يقال لأخوة بني أب وأم: بنو أعيان، فإن كانوا لأمّهات شتى فهم بنو العلات، فإن كانوا لأباء شتى فهم أخياف، يريد: أن أصل دين الأنبياء واحد وإن كانت شرائعهم مختلفة، كما أنّ أولاد العلاّت أبوهم واحد وإن كانت أمهاتهم شتى...» انظر شرح السنة: (١٣/ ٢٠٠).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «...ومعنى الحديث أنّ أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع...». فتح الباري: (٦/ ٥٩٧).

. . . .

والسّماء واحد، وهو دين الإسلام. . .»[١].

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصول هذا الدين وفروعه موروثة عن الرسل. . .»[٢].

وقال الله تعالى عن أول الرسل نوح عليه السلام: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١ ـ ٧٢].

وقال عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣١ ـ ١٣٢].

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨].

وقال في خبر عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

وقال عن ملكة سبأ أنّها اتّبعت ما كان عليه سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٧٨٦).

(٢) المرجع نفسه: (٢/ ٧٨٧).

. . . .

فقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إخبار منه تعالى بأنّه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتّى ختموا بمحمدﷺ الذي سدّ جميع الطرق إليه إلا من جهتهﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمدﷺ بدين غير شريعته فليس بمتقبل[١].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (١/ ٣١١).

[٤] وما جاء به محمد ﷺ هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلاّ بالدخول فيه؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

ولقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [آل عمران: ٢٠].

---

[٤] مراد المصنف رحمه الله بالإسلام هنا المعنى الخاص، وهو الدين الذي بعث به آخر الأنبياء محمد ﷺ.

وإنّ النّجاة في الآخرة تقتضي اتباع الناجي للحق، وما الحق إلاّ ما جاء به رسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

فلا مطمع لأحد في النّجاة إلاّ بالإيمان برسول الله ﷺ واتباعه، ولا يكفي ولا يصح التديّن بما كان عليه موسى أو عيسى أو غيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكنَّ الإيمان بهم واجب، والاتّباع يكون للمصطفى ﷺ.

يشهد لهذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديّ ولا نصرانيّ ثم يَمُوتُ ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النّار**»[١].

قال المصنف رحمه الله تعالى:

«ليس المنتمون لموسى عليه السلام ولعيسى عليه السلام بأتباع لهم، لأنّ دعوة الأنبياء عليهم السلام واحدة، ودينهم ـ وهو الإسلام ـ واحد، وإن اختلفت بعض الفروع العملية في شرائعهم، فمن لم يؤمن بواحد منهم كمن لم يؤمن بهم كلهم، وما كان محمد ﷺ بدعا من الرسل، وما جاء إلاّ بمثل ما جاؤوا به، وما جاء إلاّ مصدقاً لهم،

---

(١) انظر تخريجه: (ص: ٢٦)، وقد مرّ معنا حديث الغلام اليهوديّ قريباً.

. . . .

فالذين لم يتبعوه من المنتمين إليهما ﷺ غير متبعين لهما، فانقطعت تابعيتهما ببعثة محمد ﷺ، فمن آمن به كان من أتباعه وإلاّ كان من الهالكين»[١].

وأهل الكتاب يعرفون أنّ ما جاء به رسول الله ﷺ، هو دين الله الحق، وأنّه لا نجاة إلاّ بالدخول فيه.

فعن قتادة رحمه الله تعالى في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، قال: «يعرفون أنّ الإسلام دين الله، وأنّ محمداً رسول الله، مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل»[٢].

«والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا، كما جاء في الحديث، أنّ رسول الله ﷺ قال لرجل معه صغير: «**ابنك هذا قال: نعم يا رسول الله أشهد به، قال: أما أنّه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه...**» وقد يكون المراد: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من بين أبناء النّاس كلّهم، لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء النّاس كلّهم»[٣].

وعليه «فكل من لم يؤمن بالنّبي ﷺ وبما بعث به فليس بمؤمن، ولا ينفعه قول لا إله إلاّ الله، فإنّ بعض اليهود والنّصارى يقول لا إله إلاّ الله، فدلّ ذلك على أنّ التوحيد أن يوحّد الله بالعبودية، ومن وحّده بالعبودية أطاع أمره، واجتنب نهيه، واتّبع ما جاء فيه، واتّبع رسوله، فإنّ طاعة الرسول من طاعة الله»[٤].

---

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير: (ص: ٣٦).

(٢) خلق أفعال العباد للإمام البخاري رحمه الله تعالى: (٣٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير: (١/ ١٦٩)، والحديث لم أجده وقد ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: (١/ ١٦٩) ولم يعزه لأحد.

(٤) من كلام الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي رحمه الله تعالى في كتابه: «مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله» (ص: ٥٩)، وهو غير الإمام الحافظ محمد بن حمد بن عبد الهادي صاحب «الصارم المنكي في الردّ على السبكي».

. . . .

وذلك أنّ دين الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ «ظاهر غاية الظهور، يمكن كلّ مميّز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكي وبليد أن يدخل فيه بأقصر زمان، وأنّه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة أو تكذيب أو معارضة أو كذب على الله أو ارتياب في قول الله أو ردّ لما أنزل أو شكّ فيما نفى الله عنه الشكّ أو غير ذلك في معناه... فقد دلّ الكتاب والسنّة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلّمه»[١].

وما احتجّ به المصنّف رحمه الله تعالى يدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يخبر المشركين وغيرهم بما جاء به، وبما أمر به من إخلاص الدين لله جلّ شأنه، وعبادته وحده لا شريك له، فمن اهتدى واتّبع ما جاء به رسول الله ﷺ يرجى له الفوز والنجاة، ومن خالف فقد غوى، وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين.

وجدير بالمسلم الذي أسلم وأنعم الله تعالى عليه بالإسلام، أن يتّبع هدي نبيه ﷺ.

يقول العالم الرباني شيخ الإسلام الثاني ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«وإذا كانت سعادة العبد في الدّارين معلقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحبّ نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والنّاس في هذا بين مستقلّ ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم...»[٢].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٧٨٧).

(٢) زاد المعاد: (١/ ٦٩ ـ ٧٠).

[٥] لا يدخل أحد(*) في الإسلام إلاّ بالإيمان بالنّبيّ ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصرانيّ، ثمّ يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النّار**»، رواه مسلم(١) عن أبي هريرة.

---

[٥] يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

(*) في (ح) «لا يدخل أحدكم».

(١) في الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته: (٢/ ١٨٦ نووي)، وأحمد: (٢/ ٣١٧ ـ ٣٥٠)، والبغوي في شرح السنة: (٥٦) وابن منده في الإيمان: (٢/ ١٩٢)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة: (٢٢٠٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: «وهو صحيح ولم يروه البخاري أصلاً فيما وصل إليه بحثي» انظر المسند بشرحه: (١٦/ ٨٦)، وقد أصاب رحمه فهو نهاية البحث، فلم يخرجه البخاري رحمه الله، انظر السلسلة الصحيحة: (١٥٧). وقوله ﷺ: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة» أي من موجود في زمن وبعدي إلى يوم القيامة... وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما...» شرح النووي على مسلم (ص/ ٢٣٧ ط ابن حزم) (ص: ٢٣٧) ط (ابن ندم).

. . . .

«قال عليّ بن أبي طالب، وابن عمّه ابن عبَّاس رضي الله عنهم: «ما بعث الله نبيّاً من الأنبياء إلاّ أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حيّ ليؤمننّ به وينصرنّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء، ليؤمننّ به ولينصرنّه. . .»[1].

وعليه «فمن بلغته رسالة محمد ﷺ، فلم يقرّ بما جاء به لم يكن مسلماً ولا مؤمناً، بل يكون كافراً وإن زعم أنّه مسلم أو مؤمن، كما ذكروا أنّه لمّا أنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ قالت اليهود والنّصارى فنحن مسلمون، فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فقالوا لا نحج، فقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2] [آل عمران: ٩٧].

و«الآيات في هذا كثيرة جداً، كما أنّ الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة، أنّه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رسول الله إلى النَّاس كلّهم. . .»[3].

وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «..**يا أيّها النَّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً...**»[4].

يقول العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى معلقاً على حديث الباب:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (١/ ٣٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٣/ ٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٢٣٦)، وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «كونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة، معلوم من دين الإسلام بالضرورة. . .»اهـ، شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٧٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً. . .، حديث رقم: (٤٦٤٠) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

. . . .

«والحديث صريح في أنّ من سمع بالنّبي ﷺ وما أرسل به، بلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه، ثمّ لم يُؤمن به ﷺ، أنّ مصيره إلى النّار، لا فرق في ذلك، بين يهوديّ أو نصرانيّ أو مجوسيّ أو لا دينيّ.

واعتقادي أنّ كثيراً من الكفّار لو أتيح لهم الاطّلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام، لسارعوا إلى الدّخول فيها أفواجاً، كما وقع ذلك في أوّل الأمر، فليت بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ممّن هو على علم به على حقيقته، وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات، ليُحسن عرضه على المدعوّين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنّة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبيّة الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقوداً، فالقضيّة تتطلب استعدادات هامّة، فلعلّهم يفعلون»[1].

وقال القاضي عيّاض رحمه الله تعالى معلقاً على الحديث السابق الذكر:

«فيه دليل على أنّ من في أطراف الأرض وجزائر البحر المنقطعة، ممّن لم تبلغه دعوة الإسلام، ولا أمر النّبيّ ﷺ، أنّ الحرج عنه في عدم الإيمان ساقط، لقوله: «**لا يسمع بي**»، إذ طريق معرفته والإيمان به عليه الصلاة والسلام مشاهدة معجزته وصدقه أيّام حياته، أو صحّة النّقل بذلك والخبر لمن لم يشاهده أو جاء بعده...»[2].

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«والإيمان برسول الله ﷺ يتضمن الإيمان له، وهو قبول ما جاء به من عند الله عنه، والعزم على العمل به، لأنّ تصديقه في أنّه رسول الله إلزام لطاعته،

---

(١) السلسلة الصحيحة، الجزء الأوّل، القسم الأوّل: (١/ ١/ ٢٩٢).

(٢) كتاب الإيمان من الإكمال: (١/ ٦٠٤).

. . . .

وهو راجع إلى الإيمان بالله والإيمان له، لأنّه من تصديق الرسل، وفي طاعة الرسول طاعة المرسِل، لأنّه بأمره أطاعه، قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[1] [النّساء: ٨٠].

فـ «النّاس محتاجون إلى الإيمان بالرّسول ﷺ، فطاعته في كلّ زمان ومكان، ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، سرّاً وعلانية، جماعة وفرادى... والله تعالى قد سمّاه سراجاً منيراً، وسمّى الشمس سراجاً وهّاجاً، والنّاس إلى السراج المنير أحوج منهم إلى السراج الوهّاج، فإنّهم يحتاجون إليه ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية وهو أنفع لهم، فإنّه منير ليس فيه أذى، بخلاف الوهّاج فإنّه ينفع تارة ويضر أخرى»[2]،

وهو ﷺ «الذي لا سبيل لأحد إلى النّجاة إلاّ بطاعته، ولا يُسأل النّاسُ يوم القيامة إلاّ عن الإيمان به واتّباعه وطاعته... وهو الذي فرّق الله به بين أهل الجنّة والنّار، فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنّة، ومن كذّبه وعصاه كان من أهل النّار... والوعد بسعادة الدّنيا والآخرة، والوعيد بشقاوة الدّنيا والآخرة، يتعلق بطاعته، فطاعته هي الصراط المستقيم، وهي حبل الله المتين، وهي العروة الوثقى، وأصحابها هم أولياء الله المتّقون، وحزبه المفلحون، وجنده الغالبون، والمخالفون لهم هم أعداء الله حزب إبليس اللّعين...»[3].

فإلى الذين آمنوا به ﷺ، تقول أم المؤمنين الصدّيقة عائشة رضي الله عنها: «إنّ أبا بكر رضي الله عنه، قال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلاّ عملت به، وإنّي لأخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ...».

---

(١) شعب الإيمان: (١/ ١٥٠).

(٢) الصارم المنكي للإمام العلامة ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى: (ص: ١٢٢).

(٣) المرجع نفسه: (ص: ١٢١).

. . . .

قال الإمام ابن بطّة رحمه الله تعالى معلقاً على قول عائشة رضي الله عنها:

«هذا يا إخواني الصدّيق الأكبر يتخوّف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئاً من أمر نبيّه ﷺ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيّهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنّته، نسأل الله العصمة من الزلل، ونجاة من سوء العمل»(١).

وقد بلغ من شأن السلف الصالح في حبّ النبيّ ﷺ ومتابعته أن هجر بعضهم بعضاً بسبب المخالفة والمعارضة لسنّة رسول الله ﷺ، فهذا عبد الله بن مغفّل رضي الله عنه، قال: «نهى النّبيّ ﷺ عن الخذف، وقال أنّها لا تصطاد صيداً ولا تنكأ عدوّاً، ولكنّها تفقأ العين وتكسر السنّ، فقال رجل لعبد الله بن مغفّل: وما بأس هذا؟ فقال: إنّي أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا، والله لا أكلّمك أبداً».

«فاعتبروا يا أولي الأبصار، فشتّان بين هؤلاء العقلاء السادة الأبرار الأخيار، الذين ملئت قلوبهم بالغيرة على إيمانهم والشّح على أديانهم، وبين زمان أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرانيهم، هذا عبد الله بن مغفّل، صاحب رسول الله ﷺ، وسيّد من ساداتهم يقطع رحمه ويهجر حميمه حيث عارضه في حديث رسول الله ﷺ، وحلف أيضاً على قطيعته وهجرانه، وهو يعلم ما في صلة الأقربين وقطيعة الأهلين...»(٢).

«فالله الله يا إخواني، احذروا مجالسة من قد أصابته الفتنة، فزاغ قلبه وغشيت بصيرته واستحكمت للباطل نصرته، فهو يخبط في عشواء ويعشو في

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: (١/٢٤٦)، وقد أخرج رحمه الله تعالى حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) الإبانة: (١/٢٥٩)، وقد أخرج حديث عبد الله بن مغفل أيضاً.

. . . .

ظلمة، أن يصيبكم ما أصابهم، فافزعوا إلى مولاكم الكريم فيما أمركم به من دعوته، وحضكم عليه من مسألته، فقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾»[1].

فائدة:

نقل الحافظ رحمه الله تعالى في فتح الباري: (١٢/ ٢٤٧) عن الإمام البغوي[2] رحمة الله عليه أنّ الكافر إذا كان وثنيّاً لا يقرّ بالوحدانيّة، فإذا قال لا إله إلاّ الله، حكم بإسلامه ثمّ يجبر على قبول جميع أحكام الإسلام، ويبرأ من كلّ دين خالف دين الإسلام، وأمّا من كان مقرّاً بالوحدانيّة منكراً للنّبوّة، فإنّه لا يحكم بإسلامه حتّى يقول محمد رسول الله، فإن كان يعتقد أنّ الرسالة المحمدية للعرب خاصة، فلا بد أن يقول: إلى جميع الخلق، فإن كان كفر بجحود واجب واستباحة محرّم، فيحتاج أن يرجع عمّا اعتقده. . .» اهـ.

---

(١) المرجع نفسه: (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(٢) كلامه هذا موجود في شرح السنة: (١٠/ ٢٤٢).

[٦] الدّخول في الإسلام والإيمان بالنّبيّ ﷺ يكون بشهادة أن لا إلٰه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، لقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل لمّا بعثه لليمن: «**إنّك تاتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادتي أن لا إلٰه إلاّ الله وأنّي رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم، فإنّها ليس بينها وبين الله حجاب**»، رواه مسلم(١).

---

[٦] هذا هو الباب الذي يلج من خلاله العبد في دين الله الحق، شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وقد كانت الوفود والأفراد يقدمون على رسول الله ﷺ، لا يقومون من عنده عليه الصلاة والسلام، إلاّ وقد نطقوا بالشهادتين.

فهذا ضمام رضي الله عنه لمّا جاء إلى النبيّ ﷺ وشدّد عليه في المسألة، قال بعد أن سأل: «**آمنت بما جئت به**» الحديث(٢)، وفي رواية عند الإمام أحمد في المسند(٣)، قال: «**فإنّي أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله**».

والحديث الذي استدلّ به المصنِّف رحمه الله تعالى يشهد لهذا المعنى أيضاً، فإنّ المدعو إلى الإسلام لا يدخل فيه حتّى يتلفظ بالشّهادتين.

---

(١) في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩)، والبخاري: (١٣٩٥ ـ ١٤٥٨ ـ ١٤٩٦ ـ ٢٤٤٧ ـ ٤٣٤٧ ـ ٧٣٧١ ـ ٧٣٧٢) بألفاظ مختلفة، وأبو داود: (١٥٨٤). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سيأتي تخريجه: (ص/ ٧١).

(٣) (١/ ٢٦٤)، وفي رواية عند ابن عبد البر في التمهيد: (١٦/ ١٦٨)، قال: «...أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنك رسول الله...».

. . . .

وفيه إشارة إلى المنهج الدّعوي الذي ينبغي على الدعاة إلى دين الله تعالى أن يسلكوه، وتوضحه رواية الإمام مسلم[١]، قال: «..**فليكن أوّل ما تدعوهم عبادة الله عزّ وجلّ...**»، أي: فليكن أوّل ما تدعوهم إليه توحيد الله تعالى، كما جاء في سنن البيهقي[٢] قوله ﷺ: «**فليكن أوّل ما تدعوهم أن يوحّدوا الله عزّ وجلّ**».

فجدير بالدّعاة إلى الله تعالى أن يسلكوا هذا السبيل في دعوتهم، فـ «هذا هو طريق جميع الأنبياء، فإنّ أوّل ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيّدهم وإمامهم ﷺ، لأنّه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتُر ولم يضعف حتّى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كلّ شيء، لأنّ جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد، فكما أنّ على العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى الله وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضاً على كلّ أحد، كان الواجب على كلّ أحد بحسب مقدوره، فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية، أعظم ممّا على غيره ممّن ليس بعالم...»[٣].

---

(١) وهو أحد ألفاظ حديث الباب.

(٢) كتاب الصدقات، باب: ما فرض الله تبارك وتعالى على المسلمين في أموالهم... (٧/ ٢).

(٣) من كلام الإمام عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله تعالى، انظر القول السديد شرح كتاب التوحيد: (ص: ٢٨، ٢٩).

. . . .

ورحم الله الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن باز، حيث قال:

«فالواجب على طلبة العلم ـ وهم أمل الأمّة بعد الله عزّ وجلّ في القيادة المستقبلية، وهم رجال الغد في أيّ جامعة تخرّجوا ـ أن يقودوا السّفينة بحكمة وإخلاص وصدق، وأن يعتنوا بالأساس، وأن يعرفوا العامل الوحيد العظيم الذي عليه الارتكاز، والذي يتبعه ما سواه، وهو الغاية بتوحيد الله والإخلاص له»[1].

---

(١) انظر: مجلة «السلفية»، (ص: ١٥)، العدد السادس، عام: ١٤٢٢هـ، وهي مجلة التوحيد والسنة على فهم السلف الصالح، وقد أسسها الشيخ موسى بن عبد الله آل عبد العزيز، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

[٧] أوّل واجب على المكلَّف من مسلم بالغ، أو كافر يريد الدّخول في الإسلام، أن يعلم أن لا إلٰه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، لحديث معاذ المتقدم، ولحديث وفاة أبي طالب: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أميّة، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عمّ، قل لا إلٰه إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله»**، فقال أبو جهل وعبد الله بن أميّة: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدان عليه تلك المقالة، حتّى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: هو على ملّة عبد المطّلب، وأبى أن يقول لا إلٰه إلاّ الله» رواه البخاري ومسلم[١].

ولقوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحقِّها، وحسابهم على الله»** رواه مسلم عن أبي هريرة[٢].

---

[٧] قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب الاعتقاد:

«باب: أوّل ما يجب على العاقل البالغ معرفته والإقرار به: قال الله جلّ

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣٦٠ ـ ٣٨٨٤ ـ ٣٦٧٥ ـ ٤٧٧٢ ـ ٦٦٨١)، ومسلم: (١/ ٢١٤ نووي)، والنسائي: (٤/ ٩٠)، وأحمد: (٥/ ٤٣٣)، وابن حبان: (٩٧٨ الإحسان)، من حديث المسيّب رضي الله عنه.

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي: (٢/ ٣٠٦)، وانظر أحكام الجنائز (ص: ١٢٢)، وإرواء الغليل: (٥/ ١١٤)، كلاهما للعلاّمة الألباني رحمه الله تعالى.

ولم يَرِدْ تخريج الحديث في (ص).

(٢) حديث متواتر كما قال الشيخ أبو إسحاق الحويني حفظه الله تعالى في «غوث المكدود»: (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨٣)، وهو ثابت عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم فقد أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري: (٧٢٨٤ ـ ٧٢٨٥)، ومسلم: (١/ ٢٠١ نووي)، والنسائي: =

. . . .

ثناؤه لنبيّه محمد ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال له ولأمّته: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، وقال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه، ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشّهادة له بما عرفه. . .»[١] اهـ.

فأوّل ما يؤمر به العبد: الشّهادتان، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«وقعت البداءة بهما، لأنّهما أصل الدين الذي لا يصلح شيء غيرهما إلاّ بهما»[٢].

وهذا القول هو مذهب السلف رحمهم الله تعالى، قال الإمام قوّام السنّة الأصبهاني رحمه الله تعالى:

«قال علماء السلف: أوّل ما افترض الله على عباده الإخلاص ومعرفة الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأنّ الله تبارك وتعالى خلق السماوات والإقرار به، وطاعته بما أمر ونهى، وأوّل الفرض شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ»[٣] اهـ.

= (٥/ ١٤)، (٦/ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧)، والترمذي: (٢٧٣٣ ـ ٢٧٣٤ تحفة)، وأحمد: (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٧٧. . .)، وغيرهم. وانظر: السلسلة الصحيحة: (٤٠٧).
وأخرجه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: البخاري: (٢٥)، ومسلم: (١/ ٢١٢ نووي)، وابن حبّان: (١٧٥ إحسان)، والبيهقي في السّنن: (٣/ ٩٢)، (٨/ ١٧٧)، والبغوي في شرح السنة: (٣٣)، وغيرهم، وانظر الصحيحة: (٣٠٨)، وراجع تمام تخريجه: إرواء الغليل: (٢٤٧٥)، والسلسلة الصحيحة: (٣٠٣)، وغوث المكدود: (٣/ ٢٨٠). ولم يَرِدْ تخريج الحديث في (ص).

(١) الاعتقاد: (ص: ٨).
(٢) فتح الباري: (٣/ ٣٥٨).
(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: (٢/ ٢٧٩).

. . . .

وقد ذمّ السلف القائلين بأنّ النّظر هو أوّل واجب على المكلّف.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«ولهذا كان الصحيح أنّ أوّل واجب على المكلّف شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، لا النّظر ولا القصد إِلَى النّظر ولا الشّك، كما هي أقوالٌ لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلّهم متّفقون على أنّ أوّل ما يؤمر به العبد الشّهادتان، ومتّفقون على أنّ من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه... ولم يوجب أحد منهم على وليّه أن يخاطبه حينئذٍ بتجديد الشهادتان...»[1] اهـ.

لذلك كان «التوحيد أوّل ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا... فهو أوّل واجب وآخر واجب»[2].

فوائد:

الفائدة الأولى:

عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: يا رسول الله إنّ ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه، إنّه لم يقل يوماً ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدِّين**»[3].

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى شارحاً للحديث:

«وهذا لا ينفي تحقيق أبي طالب أنّه ينفعه ما صنع إلى النّبيّ ﷺ في التّخفيف عنه من عذابه، وقد يجوز أن يكون الحديث وما ورد من الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكافر إذا مات على كفره، ورد في أنّه لا يكون لها

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٣).

(٢) المرجع نفسه: (١/ ٢٣)، وانظر: الحجّة في بيان المحجّة: (١/ ١٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أنّ من مات على الكفر... (٢/ ٨٩ نووي).

. . . .

موقع التّخليص من النّار وإدخال الجنّة، لكن يخفف عنه من عذابه الذي يستوجبه على جنايات ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات»[1]. اهـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنّ الشفاعة في الكفار للنّجاة من النّار لا تنفعهم، أمّا إن كان في الكفار من خفّ كفره بسبب نصرته ومعونته، فإنّه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه، لا في إسقاط العذاب بالكليّة، كما هو الحال في شأن أبي طالب[2].

وقال الإمام القرطبيّ رحمه الله تعالى:

«وشفاعته ثابتة لعمّه أبي طالب في التّخفيف عنه... فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثّر: ٤٨]، قيل له: لا تنفع في الخروج من النّار كعصاة الموحّدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنّة...»[3].

وكان استمرار أبي طالب «على دين قومه من حكمة الله تعالى وما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولاجترؤوا عليه، ولمدّوا أيديهم وألسنتهم بالسّوء إليه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨][4]».

---

(١) كتاب البعث والنشور: (ص: ٦٢)، وانظر شرح النووي على مسلم: (٢/ ٨٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، وفتح الباري للحافظ ابن حجر: (٩/ ٢٨٩)، (١١/ ٤٣١).

(٣) التذكرة: (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧)، وراجع: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٨٩)، وفتح الباري لابن حجر: (١١/ ٤٣١).

(٤) من كلام العلامة الألباني رحمه الله تعالى، انظر: صحيح السيرة النبوية: (ص: ١٤٢)، وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: «... ومن حكمة الربّ تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام، ليبيّن لعباده أنّ ذلك إليه وهو القادر عليه دون مَن سواه، فلو كان عند النبيّ ﷺ الذي هو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكرب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب ونحو ذلك، لكان أحقّ الناس بذلك وأولاهم به =

. . . .

الفائدة الثانية:

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى معلّقاً على قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النّاس**»:

«وفيه دليل على بطلان الحديث الشائع اليوم على ألسنة الخطباء والكتّاب أنّ النبيّ ﷺ قال في أهل الذمّة: «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**»، وهذا ممّا لا أصل له عنه ﷺ، بل هذا الحديث الصحيح يبطله، لأنّه صريح في أنّه ﷺ إنّما قال ذلك فيمن أسلم من المشركين وأهل الكتاب، وعمدة أولئك الخطباء على بعض الفقهاء الذين لا علم عندهم بالحديث الشّريف، كما بيّنته في الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم: [١١٠٣]، فراجعه فإنّه من المهمّات»[(١)]. اهـ.

الفائدة الثالثة:

قال الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي رحمه الله في قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النّاس**»:

«وفي هذا الحديث دلالة على أنّ الإسلام يحصل بالقول باللسان ولا يحتاج إلى معرفة الإيمان بالقلب، كما قال ﷺ لأسامة حين قتل من قال لا إله إلاّ الله: «**هلاّ شققت عن قلبه حتّى تعلم أقالها من قلبه أم لا...**»[(٢)]. اهـ.

= عمّه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه، فسبحان من بهرت حكمته العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم إلى معرفة وتوحيده وإخلاص العمل له وتجريده...» اهـ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (ص: ١٨٥).

(١) السلسلة الصحيحة: (٣٠٣)، وانظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ: (١/ ٢٣٠).

(٢) مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله: (ص: ٤٩ ـ ٥٠)، والحديث أخرجه مسلم في الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، (١/ ٣٧٥ نووي)، والبغوي في شرح السنة: (٢٥٦٢)، عن أسامة رضي الله عنه.

[٨] لا يكفي النّطق بكلمتي الشهادة إذا كان النّاطق بهما[١] لا يفهم أصل معناهما، لقوله ﷺ في الحديث المتقدّم: «**أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به**».

---

[٨] اعلم أخي المسلم ـ وفقني الله وإيّاك لطاعته ـ أنّ لكلمة التوحيد شروط، كما قال الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى: «شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، إنّ معها شروط»[٢]. اهـ.

وقال الإمام حافظ الحكمي رحمه الله تعالى:

«وبشروط سبعة قد قيّدت ... وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنّه لم ينتفع قائلها ... بالنّطق إلا حيث يستكملها
والعلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبّه»[٣]

فالعلم والفهم لمعنى لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله، من شروط صحة كلمتي التوحيد، وهو العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وعن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنّه لا إلٰه إلاّ الله، دخل الجنّة**»[٤].

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾، أي بالتّوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أي هم على علم وبصيرة بما شهدوا به...»[٥]. اهـ.

---

(١) في (ح) بها.
(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (٤/ ٥٨٤).
(٣) معارج القبول: (٢/ ٤١٨).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في الإيمان، باب: الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (١/ ٢٤٩ نووي).
(٥) فتح القدير: (٤/ ٥٤٣). وسيأتي الكلام حول باقي الشروط إن شاء الله تعالى.

[٩] ويكفي للدخول في الإسلام ما دلّ على معناها[١]، لحديث بني جذيمة، قال عبد الله بن عمر: «**بعث النّبيّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كلّ رجل منّا[٢] أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره حتّى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه له، فرفع النّبيّ ﷺ يده، فقال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد، مرتين**»، رواه البخاري[٣].

---

[٩] قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه شارحاً لحديث الباب:

«هذا من ابن عمر راوي الحديث يدلّ على أنّه فهم أنّهم أرادوا الإسلام حقيقة، ويؤيده فهمه أنّ قريشاً كانوا يقولون لكلّ من أسلم: صبأ، حتّى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذمّ، ومن ثمّ لمّا أسلم ثمامة بن أثال، وقدم مكّة معتمراً قالوا له: صبأت؟ قال: لا بل أسلمت.

فلمّا اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها، لأنّ قولهم صبأنا، أي خرجنا من دين إلى

---

(١) في (ص) «ما دل على معناهما».

(٢) لم تَرِدْ هذه الكلمة في (ح).

(٣) في صحيحه: (٤٣٣٩ ـ ٧١٨٩)، وذكره معلقاً عن ابن عمر رضي الله عنهما: (١/ ٢٧٤ الفتح)، والنسائي: (٨/ ٢٣٧)، وأحمد: (٢/ ١٥٠).

وبنو جذيمة «بفتح الجيم وكسر المعجمة ثمّ تحتانية ساكنة، أي ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة، ووهم الكرماني فظنّ أنه من بني جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف، قبيلة من عبد قيس، وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوّال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازي، وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم»، فتح الباري: (٨/ ٧١).

. . . .

دين، ولم يكتف خالد بذلك حتّى يصرّحوا بالإسلام»[١].اهـ.

ولهذا قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: «...وقد ينعقد الإيمان بغير القول المعروف، إذا أتى بما يؤدّي معناه...»[٢].اهـ.

فيحتمل أن يكون خالدﷺ: «نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، لأنّه فهم منهم أنّ ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة، ولم ينقادوا إلى الدين، فقتلهم متأولاً قولهم»[٣].

ويقول الإمام أبو سليمان الخطّابي رحمه الله تعالى: «الحكمة من تَبَرُّئِهِ ﷺ من فعلِ خالد ـ مع كونه لم يعاقبه على ذلك لكونه مجتهداً ـ، أن يعرف أنّه لم يأذن له في ذلك خشية أن يعتقد أحد أنّه كان بإذنه، ولينزجر غير خالد بعد ذلك عن مثل فعله...»[٤].اهـ.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى:

«والذي يظهر أنّ التّبرؤ من الفعل لا يستلزم إثم فاعله، ولا إلزامه الغرامة، فإنّ إثم المخطىء مرفوع وإن كان فعله ليس بمحمود»[٥].اهـ.

كما أنّ النّبيّ ﷺ لم يتبرأ من خالدﷺ لذاته، وإنّما من قتله الذين قالوا صبأنا قبل أن يستفسرهم عن مرادهم[٦].

وكيف يبرأ النّبيّ ﷺ من سيف من سيوف الله عزّ وجلّ، الذي نصر دين الله

---

(١) فتح الباري: (٨/ ٧١).

(٢) شعب الإيمان: (١/ ٨٩).

(٣) من كلام الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى، انظر: فتح الباري لابن حجر: (٨/ ٧٢).

(٤) فتح الباري: (١٣/ ٢٢٥).

(٥) المرجع نفسه.

(٦) راجع التحقيق في هذه المسألة وما يترتب عليها من أحكام، فتح الباري: (١٣/ ٢٢٥ وما بعدها).

. . . .

تعالى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ النّبيّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للنّاس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «**أخذ الراية زيد فاصيب، ثمّ أخذ جعفر فاصيب، ثمّ أخذ ابن رواحة فاصيب**، ـ وعيناه تذرفان ـ، **حتّى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «. . .فإنّ المراد به خالد، ومن يومئذٍ تسمّى سيف الله. . .»[٢].اهـ.

فإذا اتّضح لك ذلك ـ أخي المسلم ـ فاعلم أنّ حب خالد وحب الصحابة كلّهم من السنّة ومن الإيمان، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنّة»[٣].

وقال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى: «سمعت قبيصة بن عقبة، يقول: حبّ أصحاب النّبيّ ﷺ كلّهم سنّة»[٤].

فهذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، وعليه نربّي أولادنا، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «كان السلف يعلّمون أولادهم حبّ أبي بكر وعمر، كما يعلّمون السورة من القرآن»[٥].

وهذا منهجنا الذي نسير عليه ونوصي به إخواننا، قال شعيب بن حرب

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٧٥٧)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقد أخرج ابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذوا خالد فإنه سيف من سيوف الله صبّه الله على الكفّار». فتح الباري: (٧/ ١٢٨).

(٢) فتح الباري: (٧/ ١٢٨).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٧/ ١٣١١).

(٤) الحجة في بيان المحجة: (٢/ ٣٩٤)، وانظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٧/ ١٣١٣)، ولمعة الاعتقاد للإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: (ص: ٣٩).

(٥) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٧/ ١٣١٣).

. . . .

رحمه الله تعالى: «قلت لمالك بن مِغْوَل أوصني، قال: أوصيك بحبّ الشيخين أبي بكر وعمر، فقلت: إنّ الله أعطى من ذلك خيراً كثيراً، قال: أي لُكع، والله إنّي لأرجو لك على حبّهما ما أرجو لك على التوحيد»[١].اهـ.

فالتوحيد هو السبيل والعروة الوثقى وهو براءة من الكفر والنّفاق، فـ «من أحبّ أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحبّ عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحبّ عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحبّ عليّ بن أبي طالب فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمدﷺ فقد بريء من النّفاق»[٢].

«فَمِنْ صفة مَن أراد الله عزّ وجلّ به خيراً، وسلّم له دينه، ونفعه الله الكريم بالعلم: المحبة لجميع الصحابة ولأهل بيت رسول اللهﷺ ولأزواج رسول اللهﷺ والاقتداء بهم، ولا يخرج بفعل ولا بقول عن مذاهبهم، ولا يرغب عن طريقهم»[٣].

و«إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللهﷺ، فاعلم أنّه زنديق، لأنّ الرسولﷺ عندنا حقّ، والقرآن حقّ، وإنّما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنّما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[٤].

---

(١) المرجع السابق: (٧/ ١٣١٨)، وذلك أنّ من أحبّ شخصاً اتبعه كما قيل: إنّ المحبّ لمن يحب مطيع، فمن أحبّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر الصحابة‏ رضي الله عنهم، اتبع نهجهم وما كانوا عليه من الهدى ودين الحق والتوحيد، ومن أبغضهم خالف ما كانوا عليه ولا بد، وصدق الله تعالى إذ يقول: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً».

(٢) من كلام الإمام أيّوب السختياني رحمه الله تعالى، انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني: (٢/ ٣٩٥)، وشرح مجمل اعتقاد أهل السنة اللالكائي: (٧/ ١٣١٩).

(٣) الشريعة للإمام الآجريّ رحمه الله تعالى: (٤/ ١٦٩١ ـ ١٦٩٢).

(٤) من كلام الإمام أبي زرعة، انظر: الكفاية للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: (ص: ٩٧).

. . . .

ثمّ «اعلم أنّ من تناول أحداً من أصحاب محمد ﷺ، فاعلم أنّه إنّما أراد محمداً ﷺ، وقد آذاه في قبره»(١).

وما أحسن ما قاله الإمام الشّافعي رحمه الله تعالى:

«وفضّلت اليهود والنّصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود من خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت الرافضة من شرّ أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، وسئلت النّصارى من خير أهل ملّتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الرافضة من شرّ أهل ملّتكم؟ قالوا: حواري محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم، فالسّيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم، ولا تقوم لهم راية ولا تجتمع لهم كلمة، دعوتهم مدحوضة وجمعهم متفرّق، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله عزّ وجلّ»(٢).اهـ.

فائدة:

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النّمل: ٥٩]:

«يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي على نعمه على عباده من النّعم التي لا تعدّ ولا تحصى، وعلى ما اتّصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وأن يسلّم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسّلام، هكذا قال عبد الرحمٰن بن زيد وغيره إنّ المراد بعباده الذين اصطفى هم الأنبياء، قال: وهو كقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصّافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

---

(١) شرح السنة للإمام البربهاري رحمه الله تعالى: (ص: ١٢٣).

(٢) السنة للإمام أبي بكر الخلال رحمه الله تعالى، رقم: (٧٩١).

. . . .

وقال الثوري والسدّي: «هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم أجمعين، وروي نحوه عن ابن عبَّاس أيضاً، ولا منافاة فإنّهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى...»[1]. اهـ.

---

(١) انظر التفسير: (٣/٣٤٦).

[١٠] ولا يكفي النّطق بالشّهادتين وفهم معناهما، إلاّ مع التّصديق التّام والاعتقاد الجازم به.

لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ولقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١].

---

[١٠] هذا أحد شروط صحّة كلمة التّوحيد: الصدق المنافي للكذب، وهو أن يقولها العبد صادقاً من قلبه، يواطىء قلبه لسانه، ولذلك شهد المولى عزّ وجلّ على كذب المنافقين في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فقد اعترض الله جلّ جلاله «بجملة مخبرة أنّه رسول الله، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، ثمّ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج، لأنّهم لم يكونوا يعتقدون صحّة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذّبهم بالنّسبة إلى اعتقادهم»(١).

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: **«ما من أحد يشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، صدقاً من قلبه إلاّ حرّمه الله على النّار»**(٢).

وكذلك قوله ﷺ للأعرابي: **«...أفلح إن صدق»**(٣).

وما فتن الله تعالى العباد إلاّ ليعلم «الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممّن

---

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله: (٤/ ٣٣١).

(٢) أخرجه البخاري: (١٢٨)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لزاماً، لتعلم أنّ هذا مقيّد بمن أتى بالأعمال الصالحة.

(٣) انظر تخريجه: (ص/ ٧١) هامش ٣.

. . . .

هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنّة والجماعة، وبهذا يقول ابن عبّاس وغيره في مثل قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلاّ لنرى، وذلك لأنّ الرؤية إنّما تتعلق بالموجود والعلم أعمّ من الرؤية، فإنّه يتعلّق بالمعدوم والموجود»[1].

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى:

«ثمّ إنّ الشّهادتين من خصال الإسلام بغير نزاع، وليس المراد الإتيان بلفظهما دون التّصديق بهما، فعُلم أنّ التّصديق بهما داخل في الإسلام، وقد فسّر الإسلام المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] بالتّوحيد والتّصديق طائفة من السلف، منهم محمد بن جعفر بن الزبير»[2]. اهـ.

وأمّا استدلال المصنّف رحمه الله تعالى على هذا المعنى بقوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فغير ظاهر والله أعلم.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله: (٣/ ٣٧٨).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/ ١١٣)، وانظر تفسير الطبري رحمه الله تعالى: (٣/ ٢١٢).

[١١] من حصل له اليقين بإخبار الرسول ﷺ كفاه ذلك اليقين، لحديث ضمام بن ثعلبة، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: **«بينما نحن جلوس مع النّبيّ ﷺ في المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثمّ عقله، ثمّ قال: أيّكم محمد؟ قلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء، قال: ابن عبد المطّلب، فقال النّبيّ ﷺ: قد أجبت[١]، فقال: إنّي سائلك فمشدّد عليك في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك، قال: سل عمّا بدا لك، فقال: أسألك بربّك وربّ من قبلك، آلله أرسلك إلى النّاس كلّهم؟ قال: اللهمّ نعم، (قال: أنشدك بالله تعالى، آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللّهم نعم)[٢]، قال: أنشدك بالله تعالى آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السّنة؟ قال: اللهمّ نعم، قال؛ أنشدك بالله تعالى، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصّدقة من أغنيائنا فتقسّمها على فقرائنا؟ قال: اللهمّ نعم، قال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»**، رواه البخاري ومسلم وغيرهما[٣].

---

[١١] اليقين شرط من شروط صحّة كلمة التّوحيد، وذلك بأن يكون قائلها متيقناً بمدلولها يقيناً جازماً، لا يمازجه شك ولا ريب، فإنّ الإيمان لا يغني فيه إلاّ علم اليقين لا الظنّ، فكيف إذا دخله الشّكّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) في (ح) «قد أجبتك».

(٢) ما بين قوسين غير مثبت في (ص).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٣)، ومسلم: (١/ ١٦٩ نووي)، وأبو داود: (٤٨٦)، والنسائي: (١/ ٢٢٨)، (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣)، وابن ماجة: (١٤٠٢)، والترمذي: (٦١٥ تحفة)، وغيرهم.
وله شاهد من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، أخرجه: البخاري: (٤٦ ـ ١٨٩١ ـ ٢٦٧٨ ـ ٦٩٥٦)، ومسلم: (١/ ١٦٦ نووي)، والنسائي: (١/ ٢٢٧)، (٤/ ١٢١)، (٨/ ١١٨)، وأبو داود: (٣٩١ ـ ٣٩٢)، وأحمد: (١/ ١٦٢)، ومالك في الموطأ: (٤٢٤)، وغيرهم.
ومن حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما، أخرجه: أبو داود: (٤٨٧)، وأحمد: (١/ ٢٦٤)، =

. . . .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّي رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكّ فيهما إلاّ دخل الجنّة**»(١).

«فاليقين هو أصل الإيمان، فإذا أيقن القلب انبعثت الجوارح كلها للقاء الله بالأعمال الصالحة، حتّى قال سفيان الثوري: لو أنّ اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقاً إلى الجنّة وهرباً من النّار»(٢).اهـ.

ولهذا قال صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اليقين الإيمان

= والحاكم: (٣/ ٥٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: «غوث المكدود» للشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى: (١/ ١٤٥).

وقد جاء في حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قوله: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس» الحديث، فقد اختلف أهل العلم في هذا الرجل، فجزم الإمام ابن بطال وآخرون بأنه ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر، والحامل لهم على ذلك إيراد مسلم لقصته عقب حديث طلحة، ولأنّ في كل منهما أنه بدوي، وأنّ كلا منهما قال في آخر حديثه: «لا أزيد على هذا، ولا أنقص»، وتعقبه القرطبي رحمه الله تعالى بأنّ سياقهما مختلف وأسئلتهما متباينة، قال: «ودعوى أنهما قصة واحدة دعوى فرط وتكلف وشطط من غير ضرورة»اهـ، انظر فتح الباري للابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٤٢)، وراجع شرح اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، ففيه إشارة أنّ حديث ضمام هو نفسه حديث الأعرابي في حديث طلحة رضي الله عنه. وممّن فرّق بينهما الإمام ابن العز رحمه الله تعالى، انظر (شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٧٨٧)، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٤٤)، وراجع كلام المصنف رحمه الله تعالى فيمن عدم من إيمانه اليقين، فإنه لا ينفصل عن هذه الفقرة، والله أعلم.

(٢) فتح الباري: (١/ ٦٨).

. . . .

كلّه، والصبر نصف الإيمان»[(١)].

وأما استدلال المصنّف الشيخ العلاّمة عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى بحديث الباب على اشتراط اليقين في الإيمان، فراجع إلى أنّ ضماماً رضي الله عنه أتى إلى النبيّ ﷺ مسلماً، كما رجّحه جمع من أهل العلم، فأراد رضي الله عنه أن يتأكّد من صحّة ما بلغه عن النبيّ ﷺ فيحصل له بذلك اليقين، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، أي ليطمئن قلبي ويزداد يقيني[(٢)]، والله أعلم.

وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى ثلاثة شروط لصحّة الشّهادتين: العلم، واليقين، والصدق، وأذكر باقي الشروط بإذن الله تعالى، فأقول مستعيناً بالله عزّ وجلّ وحده:

فأمّا الشرط الرابع: القبول لما تقتضيه هذه الكلمة بالقلب واللسان، وقد قصّ الله تعالى علينا أنباء ما قد سبق، من إنجاء من قَبِلَهَا وانتقامه ممّن ردّها وأباها، فقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٣ ـ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ، قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّة قبلت الماء،**

---

(١) ذكر البخاري طرفه الأول: «اليقين الإيمان كله» تعليقاً في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ: بُني الإسلام على خمس.
قال الحافظ رحمه الله: «هذا التعليق طرف من أثر وصله الطبراني بسند صحيح، وبقيته: «والصبر نصف الإيمان»». فتح الباري (١/ ٦٣). ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ. ينظر السلسلة الضعيفة للألباني: (١/ ٧١٤) حديث رقم: (٤٩٩).

(٢) أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهما، انظر فتح الباري: (١/ ٦٧).

. . . .

فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء...» الحديث[(١)].

الخامس: الانقياد لما دلت عليه كلمتي التوحيد، المنافي لترك ذلك، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، ومعنى أسلم وجهه أي انقاد، وهو محسن أي موحِّد.

السادس: الإخلاص، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب

---

(١) أخرجه البخاري: (٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث النبيّ ﷺ من الهدى والعلم (٢٢٨٢)، والبغوي في شرح السنة: (١٣٥).
والأجادب: صلاب الأرض التي تمسك الماء، فلا يسرع إليه النضوب، وقال الأصمعي: الأجادب من الأرض ما لم تنبت الكلأ فهي جرداء بارزة، لا يسترها النبات، ويروي بعضهم: «وكانت منها إخاذات أمسكت الماء»، والإخاذات: الغدران التي تأخذ ماء السماء، فتمسكه على السارية، وهي المِسَاكات والتناهي، والواحدة: «إخاذة ومِساكة وتنهية، وهي الإخاذ أيضاً، وجمعه أُخذ» انظر شرح السنة: (١/ ٢٨٨)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ٢٣٢).
وقد وقع عند البغوي وغيره: «فكان منها ثغبَة»، بدلاً من قوله: «فكان منها نقيّة»، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقع عند الخطابي والحميدي وفي حاشية أصل أبي ذر: ثغبة... قال الخطّابي: هي مستنقع الماء في الجبال والصخور. قال القاضي عياض: هذا غلط في الرواية، وإحالة للمعنى، لأنّ هذا وصف الطائفة الأولى التي تنبت، وما ذكره يصلح وصفاً للثانية التي تمسك الماء. قال: وما ضبطناه في البخاري من جميع الطرق إلا «نقية» بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء التحتانية، وهو مثل قوله في مسلم: «طائفة طيبة».
قلت: وهو في جميع ما وقفت عليه من المسانيد والمستخرجات كما عند مسلم... وروي: «بقية»، قلت: هو بمعنى طائفة، لكن ليس ذلك في شيء من روايات الصحيحين، ثمّ قرأت في شرح ابن رجب أنّ في روايةٍ بالموحّدة بدل النون، قال: والمراد بها القطعة الطيبة كما يقال: فلان بقية الناس، ومنه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٦]...» انظر فتح الباري: (١/ ٢٣١).

. . . .

الشرك: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»[١].

وعن عِتبان بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل**»[٢].

السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها، الملتزمين لشروطها، وبغض من ناقض ذلك، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**» الحديث[٣].

هذه الشروط أصل عقد الإيمان، «الذي لا يتمّ إلاّ به، وليست هذه الشروط من المسائل التي للعبد عنها غنى أو منها بد، كدقائق العلم والمسائل التي يختص بها بعض الناس دون بعض، بل هذه مسألة تفرض على العبد، وهي أصل عقد الإيمان الذي لا يدخل فيه الداخل إلاّ بها، ولا فلاح للعبد، ولا نجاة له من عذاب الله إلاّ بها. . . ومن لم يتحقق بهذه الشروط علماً وحالاً وعملاً، لم يتحقق بشهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، فإنها سرها وحقيقتها ومعناها»[٤].

«فحقيق لمن نصح نفسه، وأحب سعادتها ونجاتها، أن يتيقظ لهذه المسألة

---

(١) أخرجه البخاري: (٩٩ ـ ٦٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٢٥ ـ ٨٤٠ ـ ٤٠٠٩...).

(٣) أخرجه البخاري: (٢١ ـ ٦٠٤١ ـ ٦٩٤١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بتصرف يسير، انظر طريق الهجرتين: (ص: ٣٥٤).

. . . .

علماً وعملاً وحالاً، وتكون أم الأشياء عنده، وأجلّ علومه وأعماله، فإنّ الشأن كلّه فيها والمدار عليها، والسؤال يوم القيامة عنها، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، وقال غير واحد من السلف: هو عن قول لا إله إلاّ الله، وهذا حق، فإنّ السؤال كلّه عنها، وعن أحكامها وحقوقها وواجباتها ولوازمها، فلا يسأل أحد قط إلاّ عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها.

قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأوّلون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟، فالسؤال عمّاذا كانوا يعبدون، هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عمّاذا أجابوا المرسلين، سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها، هل سلكوا وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها؟ فعاد الأمر كلّه إليها، وأمر هذا شأنه حقيق بأن تنعقد الخناصر، ويعض عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب على فضيلة، بل يجعل هو المطلب الأعظم، وما سواه إنّما يطلب على فضيلة، والله الموفّق لا إله غيره، ولا ربّ سواه»[(١)].

هذا... وللشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى رسالة عظيمة في هذا الباب، جليلة في مقصودها ومرادها، شافية كافية لاشتمالها على غرر هذا الموضوع الجليل، بأسلوب ماتع وعرض شيّق وتحقيق متين، سمّاها: «مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام»، وقد قدّم لها الدكتور الفاضل الشيخ عبد الرزّاق بن الشيخ الصالح المحدّث عبد المحسن العبّاد ـ جزاه الله خيراً وجعل أباه ذخراً للأمة الإسلامية ـ فراجعها فإنّها جدّ مهمة، وانظر معارج القبول: (٢/٤١٨).

---

(١) المرجع السابق: (ص: ٣٣١).

[١٢] يجب على المؤمن مع تصديقه وجزمه، أن ينظر في آيات الله، ويستعمل عقله للفهم، كما تجب عليه جميع[1] الواجبات في الإسلام، لقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾﴾ [عبس: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

النّظر الواجب على المكلّف، هو النّظر على الطريقة التي جاء بها القرآن، كما في الآيات المتقدمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦].

---

[١٢] إنّ «الربّ تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النّظر في مفعولاته، والثاني: التفكّر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأوّل، كقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وهو كثير في القرآن.

والثاني، كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النّساء: ٨٢]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وهو كثير أيضاً...»[2].

---

(١) غير موجودة في (ح).

(٢) انظر الفوائد، لشيخ الإسلام ابن القيم: (ص: ٢٨).

. . . .

وقد مدح الله تعالى أولي الألباب أصحاب «العقول التّامة الذكية، التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصمّ البكم، الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ ثمّ وصف تعالى أولي الألباب، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته»[١].

وقد أخذ الشيخ المصنّف رحمه الله تعالى وجوب النّظر من صيغ الأمر الواردة في الآيات التي استدلّ بها[٢]، وكذلك من قول رسول الله ﷺ مفسراً قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، قال: «... **ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها**»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ الآيات، «تنبيه للبدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسّماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأض التي تحته، على قدرة خالق ذلك

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (١/ ٣٨٦).

(٢) يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: ١٧]، قال: «يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته. . . وكان شريح القاضي، يقول: اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت. . .»اهـ، انظر التفسير: (٤/ ٤٥٧).

(٣) أخرجه: ابن حبان في صحيحه في باب التوبة حديث رقم: (٦١٩) وانظر السلسلة الصحيحة حديث رقم: (٦٨)، فقد جعل الويل لمن ترك النظر، فدلّ ذلك على وجوب النظر، إذ لا يعاقب الله تعالى إلا على ترك واجب أو فعل محرّم.

. . . .

وصانعه، وأنّه الربّ العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنّه الإله الذي لا يستحقّ العبادة سواه، وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ»[(١)].

فـ «التّأمل الذي دعا إليه القرآن تأمل مخصوص، إنّه ليس ذلك التّأمل الذي يقف عند إدراك الحِكم الظاهرة من الأعضاء والأجهزة المختلفة للجسم، وليس ذلك التأمل الذي ينتهي بصاحبه إلى مزيد من الحيرة، أو يعكس فيه خواطره وفلسفته في الحياة، لكنّه نظر وتأمل هادف، يمضي إلى الغاية منه، ويسلك إليها الطريق الصحيح، إنّه نظر يتّخذ الفكر وسيلة لرسوخ التصوّر الذي أنزل مع الأنبياء عن الله والكون، والحياة والإنسان، إنّ النظر الذي يرفع الغفلة عن القلب، ويوقظ أجهزة الاستقبال لأداء وظيفتها الإنسانية والخروج من الذين ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقد بيّن القرآن الكريم للإنسان كافّة الشروط التي تجعل تأمّله في نفسه تأملاً هادفاً نافعاً، فلم يكتف بأن وجّه نظره إلى آيات نفسه فحسب، بل أرشده إلى مواطن العبرة فيها، وبيّن له ما ينبغي أن يتحلى به إذا أراد أن ينتفع بهذه الآيات، ويفتح عليه في إدراك أسرارها وغيرها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾ [ق: ٣٧]، ففي هذه الآية شروط ثلاثة لا بد أن يتّصف بها من أراد الانتفاع بآيات الله:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٥٨)، وقال ضمام رضي الله عنه: «. . . فمن خلق السّماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب الجبال؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السّماء، وخلق الأرض، ونصب الجبال، الله أرسلك، قال: نعم. . .»، أخرجه مسلم في صحيح، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، والترمذي: (٦١٩)، والنسائي: (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢)، والبغوي في شرح السنة: (٤).

. . . .

فالأوّل: سلامة القلب وصحّته واستعداده.

والثاني: إحضاره وجمعه ومنعه من التفرق.

والثالث: إلقاء السّمع وإصغاؤه وإقباله على الذكرى. . .»[1].

---

(١) من مقدّمة تحقيق كتاب «دلائل التوحيد» للعلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ١٥١ ـ ١٥٢)، وانظر مفتاح دار السّعادة لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ١٧٥).

[١٣] من عرضت له شبهة وجب عليه أن يبادر إلى إزالتها بالنّظر بنفسه أو بسؤال غيره من أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، ولقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: ٤٣].

ومن وردت على قلبه خطرات من دون شبهة، فليستعذ بالله وليقل: آمنت بالله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصّلت: ٣٦].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتّى يقول له من خلق ربّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته**»، ومن طريق آخر: «**... فليقل: آمنت بالله ورسله**»[1].

---

[١٣] يريد المصنّف رحمه الله تعالى، وهو يقرر للمسلم العقيدة الصّحيحة السليمة، من الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الثابتة، أن يرشده مع ذلك

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٢٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١/ ٤٣٠ نووي)، وأبو داود: (٤٧٢١ ـ ٤٧٢٢)، وفي رواية عنده: «. . .فقولوا: الله أحد الله الصّمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثمّ ليتفل عن يساره ثلاثاً، وليستعذ من الشيطان»، وأحمد: (٢/ ٢٣١)، والبغوي في شرح السنة: (٦١ ـ ٦٢). وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم، كتاب الإيمان: باب بيان الوسوسة (٨٣٦)، وأبي عوانة: (١/ ٨٢)، أحمد: (٣/ ١٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة: (٦٤٧ ـ ٦٥٢).

ومن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أخرجه أحمد: (٦/ ٢٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة: (٦٤٨)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «إسناد جيّد»، وانظر السلسلة الصحيحة: (١١٦)، (١١٧).

. . . .

إلى ما يعينه على الحفاظ على هذه العقيدة من الخواطر والوساوس، وتلبيسات الشيطان، فقد ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، فأهل السنّة والجماعة أتباع السلف وأهل الحديث «يعتقدون أنّ الله خلق الشياطين يوسوسون للآدميّين، ويقصدون استزلالهم، ويترصدون لهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾»[1]، ولكن الله تعالى يحول بينه وبين من أظهر العبودية لله عزّ وجلّ وذلّ وخضع لربّه ولجأ إليه وكان ملاذه ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٨٣].

و«الخواطر على قسمين: فالتي لا تستقر ولا يجلبها شبهة هي التي تندفع بالإعراض عنها، وعلى هذا الحديث[2]، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، وأمّا الخواطر المستقرّة الناشئة عن الشبهة، فهي التي لا تندفع إلاّ بالنّظر والاستدلال»[3].

والشيطان الرّجيم «يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بإذن الله العليّ القدير ولحكمته بطريقة لا ندركها ولا نعرفها، يساعده في ذلك طبيعته التي خلق عليها، وهذا الذي نسمّيه بالوسوسة، وقد أخبرنا الله بذلك إذ سمّاه: ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ [النّاس: ٤ ـ ٥]»[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**سألنا رسول الله ﷺ عن الرجل يجد الشيء لو خرّ من السّماء فتخطفه الطير، كان أحبّ إليه من أن يتكلّم به؟ قال:**

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ٢٩٦).

(٢) أي حديث الباب الذي استدلّ به المصنف رحمه الله تعالى.

(٣) من كلام الإمام المازري رحمه الله تعالى، انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٦/ ٤١١).

(٤) عالم الجنّ والشياطين للدكتور الفاضل عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى: (ص: ٨٨).

. . . .

ذلك محض - أو صريح - الإيمان»[١].

قال الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى:

«قوله ﷺ: «**ذلك صريح الإيمان**»، معناه: أنّ صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشّيطان في أنفسكم والتّصديق به، وليس معناه أنّ الوسوسة نفسها صريح الإيمان، وذلك أنّها إنّما تتولد من فعل الشّيطان، فكيف يكون إيماناً صريحاً»[٢]. اهـ.

ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن التّفكر في ذات الله تبارك وتعالى، فقال عليه الصلاة والسّلام: «**تفكّروا في الخلق، ولا تفكروا في الله**»[٣].

قال الإمام البربهاري رحمه الله:

«... والفكرة في الله تبارك وتعالى بدعة.. فإنّ الفكرة في الربّ تقدح الشك في القلب»[٤].اهـ.

وقال العلاّمة محمد ناصر الدّين الألباني رحمه الله تعالى:

«دلّت هذه الأحاديث الصحيحة على أنّه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله: من خلق الله؟ أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما في الأحاديث المذكورة، وخلاصتها أن يقول: آمنت بالله ورسله، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ثمّ يتفل عن يساره ثلاثاً، ويستعيذ بالله من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في الإيمان، باب: بيان الوسوسة، (١/ ٤٣٠ نووي).

(٢) انظر شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله تعالى: (١/ ١١٠)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (١٣/ ٣٣٥).

(٣) حديث صحيح، انظر تخريجه السلسلة الصحيحة: (١٧٨٨). وهو من حديث ابن عمر.

(٤) شرح السنة له: (ص: ٨٤)، وراجع اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (٣/ ٥٧٩).

. . . .

الشّيطان، ثمّ ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة»[١]. اهـ.

وقال الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى:

«وجه هذا الحديث أنّ الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه، وكفّ عن مطاولته في ذلك اندفع، وهذا بخلاف ما لو تعرّض أحد من البشر بذلك فإنّه يمكن قطعه بالحجّة والبرهان.

والفرق بينهما أنّ الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال معه محصور، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجّة انقطع، وأمّا الشّيطان فليس لوسوسته انتهاء، بل كلّما ألزم حجّة زاغ إلى غيرها إلى أن يفضي بالمرء إلى الحيرة، نعوذ بالله من ذلك»[٢]. اهـ.

وهذا قول حسن، إلاّ أنّه ثبت عنه ﷺ، أنّه سوّى في الكفّ عن الخوض في ذلك بين كلّ سائل عن ذلك من بشر وغيره، لذلك قال الحافظ رحمه الله تعالى معلقاً على قول الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى:

«والذي نحا إليه من التّفرقة بين وسوسة الشيطان، ومخاطبة البشر فيه نظر، لأنّه ثبت في مسلم من طريق هشام بن عروة عن أبيه ـ في هذا الحديث ـ: «**لا يزال النّاس يتساءلون حتّى يقال هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله...**» . . . »[٣]. اهـ.

«فذكر ﷺ هذا الدّواء النّافع لهذا الدّاء المهلك، وهي ثلاثة أشياء:

الانتهاء عن هذه الوساوس الشّيطانية، والاستعاذة من شرّ من ألقاها، وشبّه بها ليضل بها العباد، والاعتصام بعصمة الإيمان الصحيح، الذي من اعتصم به

---

(١) السلسلة الصحيحة: (١٧٨٨). وانظر التنكيل للمعلمي: (٢/ ٢٨٤).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (٦/ ٤١٠).

(٣) فتح الباري: (٦/ ٤١٠ ـ ٤١١). والحديث عند مسلم برقم (٢١٢)، (١/ ٤٣١ نووي).

. . . .

كان من الآمنين»[١].

ولهذا من استعمل هذا الدواء «طاعة لله ورسوله، مخلصاً في ذلك[٢]، أنّه لا بد أن تذهب الوسوسة عنه وينّدحر شيطانه، لقوله ﷺ: «**فإنّ ذلك يذهب عنه**»، وهذا التّعليم النّبوي الكريم أنفع وأقطع للوسوسة من المجادلة العقلية في هذه القضية، فإنّ المجادلة قلّما تنفع في مثلها، ومن المؤسف أنّ أكثر النّاس في غفلة عن هذا التّعليم النّبوي الكريم، فتنبّهوا أيّها المسلمون، وتعرّفوا على سنّة نبيّكم، واعملوا بها، فإنّ فيها شفاءكم وعزّكم»[٣].

فالله الله أخي المسلم في عقيدتك وتوحيدك، «وإيّاك أن تمكّن الشّيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنّه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرّة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك»[٤].

---

(١) من كلام الإمام العلاّمة الأصولي الفقيه المفسّر المربّي عبد الرحمٰن بن ناصر السّعدي رحمه الله عليه، انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان له: (ص: ٥١).

(٢) غير شاكّ فيما قاله الله تعالى ورسوله ﷺ حال المرتابين ومرضى النفوس.

(٣) انظر السلسلة الصحيحة: (٧٨٨).

(٤) من كلام الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى، انظر كتاب الفوائد: (ص: ١٩٥).

بيان معنى الإسلام

[١٤] يجيء لفظ الإسلام في لسان الشّرع مراداً به الدّين كلّه، الذي جاء به محمد ﷺ من العقائد والأعمال والأحكام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولقوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس...**» إلخ.

---

[١٤] الإسلام بهذا المعنى عَلَمٌ على ما جاء به خاتم الأنبياء، نبيّنا محمد ﷺ، من الهدى ودين الحقّ، وهو من «أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمّة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبيّ غير نبيّهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجنّ، فلا حلال إلاّ ما أحلّه، ولا حرام إلاّ ما حرّمه، ولا دين إلاّ ما شرعه، وكلّ شيء أخبر به فهو حقٌّ وصدقٌ لا كَذَبَ فيهِ ولا خُلْفٌ، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنّواهي، فلمّا أكمل لهم الدّين، تمّت عليهم النّعمة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنّه الدّين الذي أحبّه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه»[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٣).

. . . .

فالإسلام بهذا المعنى يشمل كلّ أمور الدّين التي بعث بها رسولنا ﷺ: «من وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً وحالاً ومآلاً، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السّرائر، والتّحفظ من آفات الأعمال»(١).

ولن يقبل الله تعالى من عباده إلاّ الدّين الذي اختاره لهم ورضيه، وهو الإسلام الذي بعث به رسول الله ﷺ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»(٢)، فالمراد بالأمر هنا، دين النّبي ﷺ الذي هو الإسلام.

يقول الحافظ الهمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«فهذا الحديث يدلّ بمنطوقه على أنّ كلّ عمل ليس عليه أمر الشارع، فهو مردود، ويدلّ بمفهومه(*) على أنّ كلّ عمل عليه أمره، فهو غير مردود، والمراد بأمره ها هنا: دينه وشرعه»(٣). اهـ.

---

(١) فتح الباري للحفاظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨)، وأبو داود: (٤٦٠٦)، وابن ماجة: (١٤)، وأحمد: (٦/ ٧٣ ـ ٢٤٠ ـ ٢٧٠)، وابن حبّان: (٢٦)، (٢٧).

(*) المنطوق: هو ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النطق، فهو المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به.

والمفهوم: هو ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق، فهو المعنى المستفاد من حيث السّكوت اللازم للفظ. انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، للدكتور محمد ابن حسين بن حسن الجيزاني حفظه الله تعالى: (ص: ٤٥٢ ـ ٤٥٤)، وغيره من كتب أصول الفقه.

(٣) جامع العلوم والحكم: (١/ ١٧٧).

. . . .

ومن رضي هذا الإسلام ديناً، فقد ذاق طعم الإيمان، فعن العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**»[1].

«والرضا بربوبية الله، يتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، وبالرضا بتدبيره للعبد واختياره له.

والرضا بالإسلام ديناً، يقتضي اختياره على سائر الأديان.

والرضا بمحمد رسولاً، يقتضي الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانشراح، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النّساء: ٦٥]»[2].

والإسلام بهذا المعنى «الخاص الذي بعث الله به محمداً ﷺ، المتضمّن لشريعة القرآن، ليس عليه إلاّ أمّة محمد ﷺ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أنّ من رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر (١/ ٢٧٦ نووي)، والبغوي في شرح السنة: (٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/ ١١٨ ـ ١١٩).

(٣) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، انظر مجموع الفتاوى: (٣/ ٦٦).

[١٥] الإسلام الذي سمّي به الدّين، معناه الانقياد لله تعالى ظاهراً وباطناً، والإخلاص له فيهما، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النّساء: ١٢٥].

ولقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾ [آل عمران: ٢٠].

الدّين كلّه انقياد لله وإخلاص له، ولذلك سمّي إسلاماً، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة: ٥].

---

[١٥] الإسلام بهذا المعنى هو الانقياد والخضوع والاستسلام والإخلاص لله تبارك وتعالى، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وهو روح دعوة الرسل، وقد سبق أن الإسلام بالمعنى الخاص الذي بعث به رسول الله ﷺ، ليس عليه اليوم إلاّ أمّته ﷺ، «وأمّا الإسلام العام المتناول لكلّ شريعة بعث الله بها نبيّاً، فإنّه يتناول إسلام كلّ أمّة متّبعة لنبيّ من الأنبياء»[(١)].

فأصل دين الأنبياء الاستسلام والخضوع والانقياد، ولذلك قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «الإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له»[(٢)]. اهـ.

وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى عند قوله: «الإسلام هو

---

(١) من كلام شيخ الإسلام رحمه الله، انظر مجموع الفتاوى: (٣/٦٦).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/١٠٨)، وانظر شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله تعالى: (١/١١).

. . . .

دين الله الذي أرسل به جميع رسله. . . وما جاء به محمد ﷺ هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلاّ بالدّخول فيه».

ويقول الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى: «ومعنى الإسلام: الاستسلام، والانقياد، والمتابعة. . .»[1].

والإسلام الذي بعث به رسول الله ﷺ يشمله هذا المعنى بلا ريب، فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه، قال: «**قلت يا رسول الله، بالذي بعثك بالحقّ، ما الذي بعثك به؟ قال: الإسلام، قلت: وما الإسلام؟ قال: أسلم قلبك لله، وأن توجّه وجهك إلى الله...**» الحديث[2].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، أنّ النّبيّ ﷺ أوصى رجلاً فقال: «**إذا أردت مضجعك فقل: اللهمّ أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجّهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت. فإن متّ متّ على الفطرة**»[3].

---

(١) الرسالة الوافية: (ص: ٨٨).

(٢) أخرجه أحمد: (٥/ ٣، ٤، ٥)، والنسائي: (٥/ ٤، ٨٢، ٨٣)، والطبراني في الكبير: (١٩/ ١٠٣٦)، وابن حبان: (١٦٠)، وصححه، وفي رواية عند النسائي: «قلت: وما آية الإسلام؟ قال: أن تقول، أسلمت وجهي لله وتخليت».

(٣) أخرجه البخاري: (٢٤٧)، (٦٣١١)، (٦٣١٣)، (٦٣١٥)، (٧٤٨٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ مضجعه (٢٧١٠)، والبغوي في شرح السنة: (١٣١٦ ـ ١٣١٧)، وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «وأراد بالفطرة دين الإسلام» (٥/ ١٠٤)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقوله: على الفطرة، أي على الدين القويم ملة إبراهيم، فإنه عليه السلام أسلم واستسلم. . . وقال ابن بطال وجماعة: المراد بالفطرة هنا دين الإسلام»، فتح الباري: (١١/ ١٣٤).

. . . .

ولا يتحقق هذا المعنى إلاّ بشرطين عظيمين، هما الإخلاص لله عزّ وجلّ، وتجريد المتابعة للنّبيّ ﷺ، وقد نصّ أهل العلم على أنّهما ـ أي الإخلاص والاتّباع ـ شرطا قبول الأعمال، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عيّاض رحمه الله تعالى في قوله عزّ وجلّ ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾:

«أخلصه وأصوبه، فقيل يا أبا عليّ، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنّ العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، حتّى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة»[١]. اهـ.

ويقول المولى تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

فقد ذكر الله تبارك وتعالى «أنّ الرسل بعد آدم عليه السلام، وهو نوح عليه السلام، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثمّ ذكر من بين ذلك من أولي العزم، وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم... والدين الذي جاءت به الرسل كلّهم، هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وفي الحديث: «**نحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد**»[٢]، أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم... ولهذا قال تعالى هاهنا[٣]: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا

---

(١) انظر اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى رقم: (١٨)، (٢٠).

(٢) سبق تخريجه: (ص: ٤٣).

(٣) أي في آية الشورى المتقدمة.

. . . .

تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، أي وصّى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف...»[١].

وقال أبو العالية رحمه الله تعالى في قوله جلّ جلاله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾، قال: «وصّاهم بالإخلاص في عبادته»[٢].

فالانقياد والخضوع والذل والاستسلام لله عزّ شأنه هو مركب العبودية، وأساس بنائها الذي لا تقوم إلاّ عليه.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٩٧).

(٢) انظر فتح الباري: (١/ ١٤).

[١٦] ويجيء الإسلام في لسان الشّرع أيضاً بمعنى الأعمال الظاهرة الدّالة بحسب الظاهر على الانقياد والإذعان، المبنية على التّصديق التّام، لما جاء في حديث سؤال جبريل عليه السلام، قال: «**يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال جبريل: صدقت**»، رواه مسلم وغيره(١).

ويجيء الإسلام بمعنى الاستسلام في الظاهر دون إيمان في القلب، وهذا لا ينفع صاحبه، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

ولحديث سعد: «**أعطى رسول الله ﷺ رهطاً، وسعد جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ منهم من لم يعطه وهو أعجبهم إليّ، قلت: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: أو مسلماً، فسكتّ قليلاً، ثمّ غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: أو مسلماً، فسكتّ قليلاً، ثمّ غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه**

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ١٥٧ نووي)، والنسائي: (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦)، والترمذي: (٢٨٣٨ تحفة)، وابن ماجة: (٦٣)، وأحمد: (١/ ٢٧، ٢٨، ٥٢، ٥٣)، وابن حبان: (١٦٨ ـ ١٧٣ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة: (٢)، وغيرهم عن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه.
وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري: (٥٠)، ومسلم: (١/ ١٦١ نووي)، وابن ماجة: (٦٤)، وأحمد: (٢/ ٤٢٦). وأخرجه النسائي: (٢/ ٢٦٦)، من حديث أبي هريرة وأبي ذر جميعاً.
ومن حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما عند أحمد: (١٢/ ٣١٩)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «إسناده حسن مع الشواهد»، انظر إرواء الغليل: (٣).
وتخريج الحديث غير مثبت في (ح).

مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: أو مسلماً، إنّي لأعطي الرجلَ، وغيره أحبّ إليّ منه خشية أن يكبّ في النّار على وجهه»، رواه مسلم(١).

---

[١٦] مراد المصنّف رحمه الله تعالى أنّ الأعمال الظاهرة التي يقوم بها صاحبها وهو مؤمن، ـ قد رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً ـ، هي التي تنفع صاحبها، لا تلك الأعمال والحركات الخالية من الإيمان والإخلاص شأن المنافقين، فإنّ الإيمان والإذعان والاستسلام والخوف والرجاء، هي الدّوافع على الإتيان بالأعمال والاستمرار عليها.

وأمّا من كان قلبه قد أشرب الكفر والنّفاق، ولم يطمئنّ بالإيمان، فمهما قام به من عمل وإن كثر، فإنّه لا ينفعه، كما قال الله سبحانه تعالى في المنافقين أنّهم ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

«يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنّهم إنّما يتفوّهون بالإسلام إذا جاؤوا النّبيّ ﷺ، فأمّا في باطن الأمر فليسوا كذلك، بل على الضدّ من ذلك... ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج، لأنّهم لم يكونوا يعتقدون صحّة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذّبهم بالنّسبة إلى اعتقادهم»(٢).

فمن أسلم لله تعالى صدقاً، فإنّ ذلك لا محالة يظهر في سلوكه وأعماله، وذلك بطاعة الله تعالى، وباتباع رسوله ﷺ، والكفّ عمّا نهيا عنه.

---

(١) في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: تأليف قلب من يخاف على إيمانه: (١/ ١٨٠ نووي)، وفي الزكاة، باب: إعطاء من يخاف على إيمانه: (٧/ ١٤٨)، وأبو داود: (٤٦٨٣ ـ ٤٦٨٥)، والنسائي: (٨/ ١٠٣، ١٠٤)، وأحمد: (١/ ١٧٩)، وابن حبان: (١٦٣ الإحسان).

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/ ٣٣١).

. . . .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمة الله عليه:

«من حقّق الإيمان ورسخ في قلبه، قام بأعمال الإسلام، كما قال ﷺ: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت، فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب**»[1]، فلا يتحقّق القلب بالإيمان إلاّ وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام. . .»[2]. اهـ.

والذي يلاحظ على الشيخ المصنّف رحمه الله تعالى، أنّ ما استدلّ به من آية الحجرات وحديث سعد رضي الله عنه، لا يدل على هذا المعنى[3]، فإنّ الأعراب في الآية والرجل في الحديث، كانوا مسلمين غير منافقين.

ففي آية الحجرات «يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أوّل ما دخلوا في الإسلام ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكّن الإيمان في قلوبهم بعد»[4].

وفي حديث سعد رضي الله عنه «فرّق النّبيّ ﷺ بين المؤمن والمسلم. . . ودلّ ذلك على أنّ ذاك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً[5]، لأنّه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام، فدلّ هذا على أنّ هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية

---

(١) هو طرف من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن»، أخرجه البخاري: (٥٢)، (٢٠٥١)، ومسلم: (١٥٩٩)، وابن حبّان: (٧٢١)، وغيرهم.

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/١٠٨، ١٠٩).

(٣) وإنّما هو دليل لمن فرّق من أهل العلم بين الإسلام والإيمان، وأنّ كلّ مؤمن فهو مسلم لا العكس، وستأتي هذه المسألة إن شاء الله تعالى.

(٤) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/١٩٦)، ثمّ قال: «وقد استفيد من هذه الآية الكريمة، أنّ الإيمان أخصّ من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدلّ عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام»اهـ. وظاهر كلامه التفرقة بين الإيمان والإسلام.

(٥) وممّا يؤيد ذلك، أنّ الحافظ رحمه الله تعالى ذكر أنّ اسمه: جعيل، من المهاجرين، قال: «وروينا في مسند محمد بن هارون الروياني، وغيره بسند صحيح إلى أبي سالم الجيشاني، عن أبي ذرّ، أنّ رسول الله ﷺ، قال له: «كيف ترى جعيلاً؟ قال: =

. . . .

ليسوا بمنافقين، وإنّما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى ممّا وصلوا إليه، فأدّبوا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عبّاس رضي الله عنهما، وإبراهيم النّخعي، وقتادة، واختاره الطبري»[١].

ولعلّ الذي جعل المصنّف رحمه الله تعالى يستدلّ بحديث سعد رضي الله عنه وآية الحجرات على هذا المعنى، ما ذهب إليه الإمام البخاري وغيره، من أنّ «أولئك الأعراب كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك... والصحيح الأوّل... ولو كانوا منافقين لعنِّفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة»[٢].

فائدة:

قال القاضي عيّاض رحمه الله تعالى:

«ليس مقال سعد مناقضاً للنّبيّ ﷺ، ولكن لمّا قطع سعد على إيمانه، قال له النّبيّ ﷺ: «**أو مسلماً**»، بمعنى أنّ هذه اللفظة التي تطلق على الظاهر أولى في الاستعمال، إذ السرائر مخفية لا يعلمها إلاّ الله عزّ وجلّ، وحكم النّبيّ ﷺ في أمّته على الظواهر»[٣].

= قلت: كشكله من الناس ـ يعني من المهاجرين ـ، قال: فكيف ترى فلاناً؟ قال: قلت، سيّد من سادات الناس، قال: فجعيل خير من ملء الأرض من فلان» الحديث... فهذه منزلة جعيل المذكور عند النبيّ ﷺ كما ترى...»اهـ، فتح الباري: (١/ ١١٠).

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/١٩٦).

(٢) المرجع نفسه، وانظر جامع العلوم والحكم: (١/ ١٠٩، ١١٠، ١١٣)، والمذهب الثاني ـ أعني من وصفهم بالنفاق ـ، هو مذهب سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد، وقد أخرج الإمام البخاري حديث سعد رضي الله عنه تحت باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف والقتل. انظر فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٠٨).

(٣) كتاب الإيمان من الإكمال: (١/ ٥٩٢)، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٠٩ ـ ١١٠).

بيان معنى الإيمان

[١٧] الإيمان في اللغة: هو التّصديق، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

---

[١٧] ذكر هذا المعنى اللغوي للإيمان الإمام ابن منظور رحمه الله تعالى في لسان العرب(١).

إلاّ أنّ الصّحيح أنّ الإيمان في اللغة: التصديق وزيادة، يقول الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى:

«يقول كثير من النّاس إنّه التّصديق، فصدّقت وآمنت بمعناهما لغة واحد، وقد سبق لنا في التفسير أنّ هذا القول لا يصح، بل الإيمان في اللغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنّك تقول: آمنت بكذا، وأقررت بكذا، وصدّقت فلاناً، ولا تقول: آمنت فلاناً.

إذن، فالإيمان يتضمن معنىً زائداً على مجرد التّصديق، وهو الإقرار واعتراف المستلزم للقبول للأخبار، والإذعان للأحكام»(٢).اهـ.

وقد أشار إلى هذا المعنى الذي ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى الإمام أبو عمرو الداني رحمة الله عليه قائلاً:

«والدليل على أنّ الإيمان هو: الإقرار والتصديق، قوله جلّ جلاله: ﴿وَمَآ

---

(١) (٦/ ١٦٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٥٤ ـ ٥٥)، (٢/ ٢٣٠).

. . . .

أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾»[(١)]. اهـ.

وممّن أشار إلى هذا المعنى أيضاً، إمام المفسرين أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى في كتابه «التبصير في معالم الدين»، حيث قال:

«الإيمان اسم للتّصديق كما قالته العرب، وجاء به كتاب الله تعالى ذكره خبراً عن إخوة يوسف من قيلهم لأبيهم يعقوب: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ بمعنى: ما أنت بمصدّق لنا على قيلنا، غير أنّ المعنى الذي يستحقّ به اسم المؤمن بالإطلاق هو الجامع لمعاني الإيمان، وذلك أداء جميع فرائض الله تعالى ذكره، من معرفة وإقرار وعمل...»[(٢)]. اهـ.

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى، وهو يتكلّم عن الفرق بين الإيمان والإسلام:

«والتّحقيق في الفرق بينهما: أنّ الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد وخضوعه وانقياده...»[(٣)]. اهـ.

ويقول الإمام السعدي رحمة الله عليه:

«أمّا حدّ الإيمان وتفسيره فهو: التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كلّه...»[(٤)]. اهـ.

---

(١) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات: (ص: ٤٥)، وانظر معارج القبول: (٢/ ٥٩٤).

(٢) (ص: ١٩٠)، وهكذا نصّ عليها في تفسير آية سورة يوسف عليه السلام في تفسيره الكبير: (١٢/ ٩٧)، كما أفاده محقق التبصير في معالم الدين، جزاه الله خيراً.

(٣) جامع العلوم والحكم: (١/ ١٠٨).

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: (ص: ٧).

. . . .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عدّة أوجه على عدم ترادف لفظ الإيمان والتصديق.

منها: أنّ لفظ الإيمان ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى، فإنّ كلّ مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقتَ، كما يقال: كذبتَ، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأمّا لفظ الإيمان فلا يستعمل إلاّ في الخبر عن الغائب، فلم يوجد في الكلام أنّ من أخبر عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشمس وغربت، أنّه يقال: آمنّاه، كما يقال: صدقناه.

ومنها: أنّ لفظ الإيمان في اللغة، لم يقابل بالتّكذيب كلفظ التصديق، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر...[1].

فـ«ممّا ينبغي أن يعلم أنّ الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النّبيّ ﷺ، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم... واسم الإيمان، والإسلام، والنّفاق، والكفر، هي أعظم من هذا كلّه، فالنّبيّ ﷺ قد بيّن المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق، وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسمّيات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنّه شاف كاف... وهذه طريقة سائر الأئمة المسلمين، لا يعدلون عن بيان الرسول إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أن يقول على الله ورسوله ما لا يعلم، أو غير الحق، وهذا ممّا حرّمه الله ورسوله...»[2].

(١) راجع كتاب الإيمان: (ص: ٢٢٧ وما بعدها).

(٢) من كلام شيخ الإسلام، انظر كتاب الإيمان: (ص: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

[١٨] محل الإيمان ـ بمعنى التصديق الجازم ـ هو القلب، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله[١]: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ [التوبة: ٤٥].

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الله أهل الجنّة الجنّةَ، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النّارِ النّارَ، ثمّ يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من خردل من إيمان، فأخرجوه**»، رواه مسلم[٢].

---

[١٨] لقد خلق الله تعالى القلب، وجعله محلاً ومستقراً للإيمان، وهو زينته، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

وعن أبي برزة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنّه من اتّبع عوراتهم، تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته، يفضحه في بيته**»[٣].

---

(١) كلمة «ولقوله» غير مثبتة في (ص).

(٢) في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إثبات الشفاعة (٢/ ٣٨ نووي)، والبخاري: (٢٢ ـ ٤٥٨١ ـ ٦٥٦٠)، وابن حبان: (١٨٢ ـ ٢٢٢)، وأبو عوانة في مسنده: (١/ ١٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٦٠)، والبغوي في شرح السنة: (٤٣٥٧)، وابن منده في الإيمان: (٣/ ٥١، ٥٢، ٥٣)، وأبو نعيم في الحلية: (٦/ ٣٥٠، ٣٥١).

(٣) أخرجه أحمد: (٤/ ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤)، وأبو داود: (٤٨٥٩)، قال محققاً جامع العلوم والحكم وفقهما الله: «وسنده حسن في الشّواهد، وهذا منها» (٢/ ٢٩٢)، وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «وخرّج الترمذي معناه من حديث ابن عمر»، جامع العلوم: (٢/ ٢٩٢)، وقال محققاً الجامع: «رواه الترمذي: (٢٠٣٢)، وقال: حسن غريب، وهو كما قال، وصحّحه ابن حبان: (٥٧٦٣)، وهو شاهد لما قبله، وفي الباب عي البراء بن عازب عند أبي يعلى: (١٦٧٥)»اهـ، انظر هامش: (١) و(٢) من الجزء الثاني من جامع العلوم والحكم: (٢/ ٢٩٢).

. . . .

وسئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، هل كانت الصحابة يضحكون؟ فقال: نعم، والإيمان في قلوبهم أمثال الجبال[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«أصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحبّ والانقياد، وما كان في القلب فلا بدّ أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه، دلّ على عدمه أو ضعفه...»[٢]. اهـ.

«فإنّ الله سبحانه غرس شجرة محبّته ومعرفته وتوحيده في قلوب من اختارهم لربوبيته، واختصّهم بنعمته، وفضّلهم على سائر خليقته، فهي ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥] فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في القلب، وفروعها الكلم الطيّب والعمل الصالح في السماء، فلا تزال هذه الشجرة تخرج ثمرها كلّ وقت بإذن ربّها، من طيّب القول، وصالح العمل، ما تقرّ به عيون صاحب الأصل، وعيون حفظته، وعيون أهله، وأصحابه ومن قرب منه...»[٣].

وقد فرض الله تعالى على القلب الإيمان الذي هو التصديق والمعرفة والإقرار.

يقول الإمام الآجرّي رحمه الله تعالى:

«فأمّا ما لزم القلب من فرض الإيمان، فقول الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١١)، وانظر جامع العلوم والحكم: (١/ ١١٤).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧/ ٦٤٤).

(٣) من كلام ابن القيّم رحمه الله تعالى، انظر طريق الهجرتين: (ص: ١٦، ١٧).

. . . .

يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١]، وقال عزّ وجل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النّحل: ١٠٦]. . . فهذا يدلّك أنّ على القلب فرض الإيمان وهو التصديق والمعرفة. . .»[١]. اهـ.

فائدة:

يُذكر عن الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى، أنّه قال: «الإيمان ليس بالتّحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل»، لكنّه ضعيف لا يثبت عنه[٢].

وكذا ما يروى عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: «**الإيمان مثبت في القلب، كالجبال الرّواسي، وزيادته ونقصه كفر**»، فهو موضوع[٣].

---

(١) الشريعة: (ص: ١٣٦)، وانظر الإبانة للإمام بطة رحمه الله تعالى: (٢/ ٧٦٠، ٧٦٤).

(٢) انظر السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني رحمه الله تعالى رقم: (١٠٩٨).

(٣) انظر الموضوعات للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (١/ ١٣١)، والآليء المصنوعة للإمام السيوطي رحمه الله تعالى: (١/ ٣٨)، والسلسلة الضعيفة للألباني رحمه الله تعالى رقم: (٤٦٤).

[١٩] ويجيء لفظ الإيمان في لسان الشّرع مراداً به التّصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه، لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥][1].

ولحديث سؤال جبريل عليه السلام، قال للنبيّ ﷺ: «... **أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر كلّه خيره وشرّه، حلوه ومرّه**» رواه مسلم[2].

---

[١٩] هذه هي الأصول السّتّة للإيمان التي فُسّر بها، وهي أصول الاعتقادات الباطنة، فبذلك فسّر رسول الله ﷺ الإيمان، نؤمن بذلك ولا نرتاب.

وهذا هو البرّ الذي مدح الله تعالى صاحبه، قال عزّ وجلّ: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَـٰهَدُواْۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

فقد «اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة... فإنّ من اتّصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلّها، وأخذ بمجامع الخير كلّه، وهو الإيمان بالله وأنّه لا إلٰه إلاّ هو، وصدّق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله.

---

(١) قال الأستاذ محمد الصالح رمضان في تعليقه على العقائد الإسلامية عند هذا الموضع: (لم يذكر اليوم الآخر هنا، ولكن ذكر في آخر الآية: ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾...)اهـ.
قلت: وأمّا الإيمان بالقدر ففي قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾، وكسب الإنسان واكتسابه بقدر الله تعالى، والله أعلم.

(٢) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٩٣).

. . . .

والكتاب هو اسم جنس يشمل الكتب المنزّلة من السّماء على الأنبياء، حتّى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كلّ خير، واشتمل على كلّ سعادة في الدّنيا والآخرة، ونسخ به كلّ ما سواه من الكتب قبله.

وآمن بأنبياء الله كلّهم من أوّلهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين...»[1].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/ ١٨١)، وسيأتي الكلام على هذه الأصول إن شاء الله تعالى.

[٢٠] ويجيء الإيمان في لسان الشّرع أيضاً مراداً به الأعمال الظاهرة، من الأقوال والأفعال المبنية على التّصديق واليقين، لحديث وفد عبد القيس، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما[١]: «**أمرهم النّبيّ ﷺ بالإيمان وحده، وقال ﷺ: هل تدرون ما الإيمان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدّوا خمساً من المغنم...**»، رواه البخاري ومسلم[٢].

---

[٢٠] لقد أجمع السّلف الصالح على أنّ جميع الأعمال من الإيمان، وأنكروا إنكاراً شديداً على من أخرج الأعمال عن الإيمان، فقد «حكى الشّافعيّ على ذلك إجماع الصحابة والتّابعين ومن بعدهم ممّن أدركهم. . . وممّن أنكر ذلك على قائله[٣]، وجعله قولاً محدثاً: سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيّوب السّختياني، وإبراهيم النّخعي، والزهري، ويحيىٰ بن أبي كثير، وغيرهم.

وقال الثّوريّ: هو رأي محدث، أدركنا النّاس على غيره.

وقال: الأوزاعي: كان من مضى ممّن سلف، لا يفرّق بين الإيمان والعمل. . .»[٤].

---

(١) في (ح) «رضي الله عنه».

(٢) أخرجه البخاري: (٥٣ ـ ٨٧ ـ ٥٢٣ ـ ١٣٩٧...)، ومسلم في الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله، (١/ ١٨١ نووي)، وأبو داود: (٤٦٧٧ ـ ٣٦٩٢)، والترمذي: (١٦٤٧ ـ ٢٧٤١ تحفة)، والنسائي: (٨/ ١٢٠، ٣٢٣)، والبيهقي في السنن: (٤/ ١٩٩)، (٦/ ٢٩٤، ٣٠٣)، وفي شعب الإيمان: (١٨ ـ ٤٣٢٧ ـ ٤٣٢٨)، وأحمد: (١/ ٢٢٨ ـ ٣٦١)، والبغوي في شرح السنة: (٢٠)، غيرهم.
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عند مسلم: (١/ ١٨٩ نووي)، وأحمد: (٣/ ٢٣)، وابن حبان: (٤٥٢٤ إحسان)، وابن منده في الإيمان: (١/ ٢٣٢، ٣٠٧)، وانظر غوث المكدود للشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى ونفع به: (٢/ ٢٩).

(٣) أي ممّن أنكر القول بعدم دخول الأعمال في الإيمان.

(٤) انظر جامع العلوم والحكم: (١/ ١٠٤).

. . . .

وقد سمّى الله تعالى الصلاة التي هي أعظم الأعمال إيماناً، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

«باب: الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ يعني صلاتكم عند البيت»[(١)].

وعن أبي هريرةﷺ، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**أفضل الأعمال: إيمان بالله، ثمّ جهاد في سبيل الله**»[(٢)].

وعن أبي ذرّﷺ، قال: قلت يا رسول الله، أيّ العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله**»[(٣)].

فقوله ﷺ: «**إيمان بالله**»، جواباً على: «**أيّ العمل أفضل؟**» دال على أنّ الاعتقاد والنّطق من جملة الأعمال[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري: (١/١٢٨)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «. . . في هذا الحديث ـ قلت: أي حديث تحويل القبلة الذي أخرجه البخاري: (٤٠) ـ من الفوائد، الردّ على المرجئة في إنكارهم تسمية أعمال الدين إيماناً. . .»، فتح الباري: (١/ ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٦ ـ ١٥١٩)، وأحمد: (٢/٢٦٨)، وابن حبان: (١٥٣)، وقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى الحديث تحت باب: «من قال إنّ الإيمان هو العمل».

(٣) أخرجه البخاري: (٢٥١٨)، وأحمد: (٥/ ١٥٠)، والنسائي: (٦/ ١٩)، وابن حبان: (١٥٢).

(٤) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٠٦)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدّاً.

. . . .

وقال الإمام الحافظ الجوّال ابن منده رحمة الله عليه:

«قال أهل الجماعة: الإيمان هي الطّاعات كلّها، بالقلب واللسان وسائر الجوارح، غير أنّ له أصلاً وفرعاً.

فأصله المعرفة بالله والتّصديق له وبه، وبما جاء من عنده، بالقلب واللسان مع الخضوع له، والحبّ له والخوف منه، والتّعظيم له، مع ترك التّكبّر والاستنكاف والمعاندة، فإذا أتى بهذا الأصل، فقد دخل في الإيمان، ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملاً له حتّى يأتي بفرعه، وفرعه المفترض عليه، أو الفرائض، واجتناب المحارم...»[1]. اهـ.

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«وفي الحديث[2] بيان أنّ الأعمال من الإيمان، حيث فسّر الإيمان بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وإعطاء الخمس من الغنيمة...»[3]. اهـ.

فاسم الإيمان يتناول ما فسّر به الإسلام، كما يتناول سائر الطاعات، حيث أنّها ثمرات للتّصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان، ومن أجل هذا أورد هنا تفسير الإيمان بالشّهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وإعطاء الخمس من المغنم[4].

«ولا يقال إنّ بين تفسير النّبيّ ﷺ الإيمان في حديث جبريل، وتفسيره إيّاه

(١) كتاب الإيمان: (١/ ٢٣١)، وانظر كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمه الله تعالى: (ص: ١٢٧، ١٢٨)، وشرح العقيدة الطّحاوية: (٢/ ٥١٣).

(٢) أي حديث وفد عبد القيس المتقدم.

(٣) شرح السنة: (١/ ٤٧).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٢٨٧) وما بعدها.

. . . .

في حديث وفد عبد القيس معارضة، لأنّه فسّر الإيمان في حديث جبريل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنّه: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مع الأعمال التي ذكرها في تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد القيس، لأنّه فسّره ابتداءً، لم يتقدّم قبله تفسير الإسلام...»(١).

فالحاصل أنّ حديث وفد عبد القيس «صريح في إدخاله الشرائع الظاهرة بالإيمان، مثل الصلاة والزكاة والصيام وإعطاء الخمس من المغنم، وكلّ هذا يفسّر لنا الإيمان تفسيراً يزيل الإشكال، وأنّه كما يدخل فيه العقائد القلبية، فتدخل فيه الأعمال البدنية، فكلّ ما قرّب إلى الله من قول وعمل واعتقاد، فإنّه من الإيمان»(٢).

ولذلك قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «وأيّ دليل على أنّ الأعمال داخلة في مسمّى الإيمان فوق هذا الدليل»(٣).اهـ.

وقد فرض الله تعالى الإيمان على كلّ جارحة من جوارح العبد، يقول الإمام ابن بطّة رحمه الله تعالى:

«فرض الله الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها، وفرّقه فيها، فليس من جوارحه إلاّ وهي موكّلة من الإيمان بغير ما وكّلت به صاحبتها، فمنها قلبه الذي يعقل به ويتّقي به ويفهم به، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر

---

(١) المرجع السابق: (٢/ ٥١٣).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للإمام السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: (ص: ١٨)، ويقول الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى معلقاً على حديث وفد عبد القيس: «ففي هذه القصة: أنّ الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وتابعوهم كلّهم، كما ذكره الشافعي في «المبسوط»، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة» اهـ. زاد المعاد: (٣/ ٥٢٩).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٨٧).

. . . .

إلاّ عن رأيه وأمره، ومنها لسانه الذي ينطق به، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يخطو بهما... فليس من هذه جارحة إلاّ وهي موكّلة من الإيمان بغير ما وكّلت به صاحبتها بفرض من الله تعالى، ينطق به الكتاب، ويشهد به عليها»[1]. اهـ.

وعليه «فمن لقي الله حافظاً لجوارحه موفّياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عليها، لقي الله مؤمناً مستكمل الإيمان، ومن ضيّع شيئاً منها وتعدّى ما أمر الله به فيها، لقي الله تعالى ناقص الإيمان، وهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه، ومن جحد شيئاً كان كافراً»[2].

---

(١) الإبانة: (٢/ ٧٦٥، ٧٦٦).

(٢) المرجع نفسه: (٢/ ٧٧١).

[٢١] قد توارد لفظ الإسلام ولفظ الإيمان على اعتقاد القلب الجازم، والأعمال الظاهرة من قول وغيره، المبنية على الاعتقاد، لحديث جبريل المتقدّم في تفسير الإسلام، وحديث وفد عبد القيس المتقدّم في تفسير الإيمان.

---

[٢١] هذا جمع حسن من المصنّف رحمه الله تعالى لنصوص الكتاب والسنّة، فقد مرّ معنا أنّ النّبيّ ﷺ فسّر الإيمان بما فسّر به الإسلام، وفسّر الإسلام بما فسّر به الإيمان، وذلك أنّه فسّر الإسلام في حديث جبريل عليه السلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالمعتقدات الباطنة، وفسّر الإيمان في حديث وفد عبد القيس، بما فسّر به الإسلام في حديث جبريل عليه السلام، أي بالأعمال الظاهرة.

وهذا «يتّضح بتقرير أصل:

وهو أنّ من الأسماء ما يكون شاملاً لمسمّيات متعدّدة عند إفراده إطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسمّيات، والاسم المقرون به دال على باقيها.

وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كلّ من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دلّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها فهكذا اسم الإيمان، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودلّ بانفراده على ما يدلّ عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دلّ أحدهما على بعض ما يدلّ عليه بانفراده، ودلّ الآخر على الباقي، وقد صرّح بهذا المعنى جماعة من الأئمة.

قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنّة والجماعة، إنّ الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كلّ اسم على حدته مضموماً إلى الآخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين، أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكلّ وعمّهم.

. . . .

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطّابي في كتابه «معالم السنن»[١]، وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

ويدلّ على صحّة ذلك، أنّ النّبيّ ﷺ فسّر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسّر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسّر في حديث آخر الإسلام بما فسّر به الإيمان، كما في مسند الإمام أحمد[٢]، عن عمرو بن عبسة، قال: «**جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال: فأيّ الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: فأيّ الإيمان أفضل؟، قال: الهجرة، قال: فما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء، قال: فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد**».

فجعل النّبيّ ﷺ الإيمان أفضل الإسلام، وأدخل فيه الأعمال، وبهذا التّحقيق يظهر تحقيق القول في مسألة الإسلام والإيمان، هل هما واحد، أم هما مختلفان. . . »[٣].

---

(١) (٤/ ٣١٣).

(٢) (٤/ ١١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رجاله ثقات» (١/ ٥٩)، نقلاً عن هامش جامع العلوم والحكم: (١/ ١٠٦).

(٣) جامع العلوم والحكم: (١/ ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧)، وراجع شعب الإيمان للإمام البيهقي: (١/ ٥٠ ـ ٥٥)، وشرح السنة للإمام البغوي: (١/ ١٠، ١١)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٨٧)، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص: ١٥).

تحصيل ممّا تقدّم

[٢٢] الدين كلّه عقد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح الظاهرة والباطنة:

وكلّ واحد من الثلاثة يسمّى إيماناً باعتبار، ويسمّى إسلاماً باعتبار.

١ ـ فعقد القلب، يسمّى إيماناً لأنّه تصديق، ويسمّى إسلاماً لأنّ عقد القلب على الشيء إذعان وخضوع له.

٢ ـ ونطق اللسان بالشّهادتين يسمّى إيماناً، لأنّه دليل على التّصديق، ويسمّى إسلاماً لأنّه دليل على الخضوع والانقياد.

٣ ـ والزكاة مثلاً: تسمّى إيماناً لأنّها مبنيّة على التّصديق، وثمرة من ثمراته، وتسمّى إسلاماً لأنّها انقياد وإذعان.

٤ ـ والحبّ في الله مثلاً: يسمّى إيماناً لأنّه مبنيّ على التّصديق، وثمرة من ثمراته، ويسمّى إسلاماً لأنّه انقياد وإذعان[1].

---

[٢٢] لا شكّ أنّ عقد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح من الدّين، وقد فرض الله تعالى على القلب الإيمان والإسلام، فالإيمان أصله في القلب ووظيفته التّصديق والمعرفة والإقرار.

---

(١) الحب في الله بتمامه غير مثبت في (ح).

. . . .

وفرض أيضاً على القلب الإسلام والانقياد والإخلاص، كما قال رسول الله ﷺ، لمّا سأله معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن الإسلام؟: **«أن تسلم قلبك لله»**[(١)]، وبذلك يحصل اطمئنان القلب.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال في خطبته بالخيف من منىً: **«ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم»**[(٢)].

ومن عمل القلب، الحبّ في الله تعالى، وهو من أوثق عرى الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ: **«إنّ أوثق عرى الإيمان، أن تحبّ في الله، وتبغض في الله»**[(٣)].

وفرض الله تعالى على اللسان الإيمان، كما قال الله جلّ جلاله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

فقد أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين أن يقولوا بألسنتهم: آمنّا، وذلك فرض الإيمان على اللسان.

---

(١) تقدم تخريجه انظر: (ص: ٩٠).

(٢) أخرجه أحمد: (١/٨، ٨٢)، والدارمي: (١/٧٤، ٧٥)، والطبراني في الكبير: (١٥٤١)، والحاكم في المستدرك: (١/٨٧)، وفيه عنعنة محمد بن إسحاق.
وله شاهد من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عند أحمد: (٥/١٨٣)، وابن ماجة: (٢٣٠)، وابن حبان: (٢٧ ـ ٦٨٠) وصححه، فهو صحيح لغيره بشواهده كما قال محقق جامع العلوم والحكم، وانظر مجمع الزوائد للإمام الهيثمي: (١/١٣٧، ١٣٩).

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٢٨٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

. . . .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: **«لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾... الآية»**[1].

وأمّا فرض الإسلام على اللسان، فلحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النّبيّ ﷺ قال: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**[2].

فاللسان هو الذي يعبر عمّا في القلب من إيمان، ولذلك قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«وخصّ اللسان بالذّكر، لأنّه المعبّر عمّا في النفس»[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أيضاً رضي الله عنهما، أنّ رجلاً سأل النّبيّ ﷺ، أيّ الإسلام خير؟ قال: **«أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»**[4].

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٤٨٥ ـ ٧٢٦٢ ـ ٧٥٤٢)، والبغوي في شرح السنة: (١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري: (١٠ ـ ٦٤٨٤)، ومسلم: (٤٠)، والترمذي: (٢٦٢٩)، والنسائي: (٨/ ١٠٥)، وأحمد: (٢/ ١٦٠، ١٦٣، ١٩١، ٢٠٥، ٢٠٦)، والبغوي في شرح السنة: (١٢).
وله شاهد من حديث جابر رضي الله عنه، عند مسلم: (٤١)، والإمام أحمد في المسند: (٣/ ١٥٤).
ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري: (١١)، ومسلم: (٤٢)، والبغوي: (١٣).

(٣) فتح الباري: (١/ ٧٥)، ثم قال رحمه الله تعالى: «. . .وفي التعبير باللسان دون القول نكتة، فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء».

(٤) أخرجه البخاري: (١٢ ـ ٢٨ ـ ٦٢٣٦)، ومسلم: (١٥٩)، وأبو داود: (٥١٩٤)، وابن ماجة: (٣٢٥٣)، وأحمد: (٢/ ٦١٩)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وتقرأ، لفظ مضارع القراءة، بمعنى: تقول. قال أبو حاتم السجستاني: تقول، اقرأ عليه السّلام، ولا تقول أقرئه السّلام، أي اجعله يقرأه». فتح الباري: (١/ ٧٨).

. . . .

فأرشد ﷺ إلى استعمال اللسان فيما يؤلف بين المسلمين، وذلك خير الإسلام.

وأمّا أعمال الجوارح، كالزكاة وغيرها، فقد مرّ معنا أنّها من الإيمان، بل هي من مباني ودعائم الإسلام[١].

(١) قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: [باب: الزكاة من الإسلام، وقوله: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «. . .والآية دالة على ما ترجم له، لأن المراد بقوله: «دين القيّمة»، دين الإسلام، والقيّمة: المستقيمة، وقد جاء بمعنى استقام في قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، أي مستقيمة].اهـ. فتح الباري: (١/ ١٤٢).

[٢٣] الإيمان في الوضع الشّرعي: هو قول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان، ومن لم يستكمله لم يستكمل الإيمان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

ولقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»، رواه الشّيخان عن أنس[1].

ولقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من والده وولده**

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣)، ومسلم: (٢/ ١٦ نووي)، والترمذي: (٢٦٣٤ تحفة)، والنسائي: (٢/ ٢٧١، ٢٧٤)، والدارمي: (٢/ ٣٠٧)، وابن ماجة: (٦٦)، والطيالسي: (٢٠٠٤)، والبغوي في شرح السنة: (٣٤٧٤)، وغيرهم. وذكر الصحابي غير مثبت في (ح).

وأخرجه النسائي: (٨/ ١١٥، ١٢٥)، وابن حبان: (٢٣٤)، والبغوي في شرح السنة: (٣٤٧٤)، بزيادة: «من الخير»، آخر الحديث، وهي عند الإسماعيلي من طريق روح، عن حسين المعلم، عن قادة، عن أنس، كما قال محققاً شرح السنة: (١٣/ ٦٠)، وإسنادها صحيح، كما في السلسلة الصحيحة: (٧٣).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «واعلم أنّ هذه الزيادة: «من الخير»، زيادة هامّة تحدّد المعنى المراد من الحديث بدقة، إذ إنّ كلمة «الخير»، كلمة جامعة تعمّ الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات، لأنّ اسم الخير لا يتناولها كما هو واضح، فمن كمال خلق المسلم أن يحبّ لأخيه المسلم من الخير مثلما يحبّ لنفسه، وكذلك أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشرّ، وهذا وإن لم يذكره في الحديث، فهو مضمونه، لأنّ حبّ الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاءً، كما قال الكرماني ونقله الحافظ في فتح الباري (١/ ٥٤) وأقرّه.

وقد عَزا هذه الزيادة بعض المتأخرين للشّيخين، وذلك من جهلهم بهذا العلم». انظر السلسلة الصحيحة: (١/ ١/ ١٥٩).

والنّاس أجمعين»، رواه الشّيخان عن أنس[١].

ولقوله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستّون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**، رواه الشّيخان رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه[٢].

---

[٢٣] هذا الباب العظيم من أصول عقائد السلف وأهل الحديث.

وقد اتّفق الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله تعالى ومن بعدهم من علماء السنّة على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري: (١٤ ـ ١٥)، ومسلم: (٢/ ١٥ نووي)، والنسائي: (٨/ ١١٤، ١١٥)، وابن ماجة: (٦٧)، وأحمد: (٣/ ١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨)، وأبو عوانة: (١/ ٣٣)، (٢/ ٣٠٧)، والبغوي في شرح السنة: (٢٢)، وغيرهم. وذكر الصحابي غير مثبت في (ح).

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند النسائي: (٨/ ١١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١٣٨٣)، وصححه الألباني، انظر صحيح النسائي: (٤٦٤٢).

ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند أحمد: (٤/ ٢٣٣، ٣٣٦)، والبيهقي في الشّعب: (١٣٨١ ـ ١٣٨٢).

ومن حديث أبي حنيفة بن عتبة رضي الله عنه عند الحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٨٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «إسناده حسن»، انظر السلسلة الصحيحة: (٢/ ٦٦).

(٢) أخرجه البخاري: (٩)، ومسلم: (٢/ ٣، ٦ نووي)، وأبو داود: (٤٦٦٢)، والترمذي: (٢٧٤٦ تحفة)، والنسائي: (١/ ١١٠)، وابن ماجة: (٥٧)، وأحمد: (٢/ ٤١٤، ٤٤٥)، وفي لفظ عنده: «إماطة العظم من الطريق»، وغيرهم. ولم يذكر في (ح) الترحم على الشيخين، والترضي على أبي هريرة.

وانظر شعب الإيمان: (١/ ٣٤)، والسلسلة الصحيحة: (١٧٦٩)، لتقف على أقوال أهل العلم في الاختلاف الواقع في الروايات.

. . . .

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمة الله تعالى عليه:

«حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم ممّن أدركهم»[١]. اهـ.

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

«لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم ـ فذكر أنفساً، ثمّ قال ـ واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصراً، وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء: أنّ الدين قول وعمل»[٢].

بل كان رحمه الله رحمة واسعة، لا يروي الحديث إلاّ عمّن كان يقول: الإيمان قول وعمل[٣].

وقال الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلاّم رحمه الله تعالى:

«وعلى مثل هذا القول كان سفيان، والأوزاعي، ومالك بن أنس، ومن بعدهم من أرباب العلم، وأهل السنّة الذين كانوا مصابيح الأرض، وأئمة العلم في دهرهم، من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها، رازّين[٤] على أهل البدع كلّها، ويرون الإيمان قولاً وعملاً»[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم: (١/ ١٠٤).

(٢) انظر اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي: (١/ ١٩٥، ١٩٦) وما بعدها، وقد نقل عن الإمام أبي زرعة وغيره مثل قول الإمام البخاري رحمة الله على الجميع، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ٦٦).

(٣) انظر هدي الساري مقدمة فتح الباري: (ص: ٦٧٠).

(٤) أي عائبين.

(٥) كتاب الإيمان: (ص: ٣٥)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٥٩)، والرسالة الوافية لأبي عمرو الداني: (ص: ٨١)، والشريعة للآجرّي: (٢/ ٦١١)، وفتح الباري لابن رجب: (١/ ٥)، وفتح الباري لابن حجر: (١/ ٦٥).

. . . .

وقد اختلفت عبارات السلف رحمهم الله تعالى في تفسير الإيمان، «فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونيّة، وتارة يقولون: قول وعمل واتّباع وسنّة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكلّ هذا صحيح، فإذا قالوا: قول وعمل، فإنّه يدخل في القول، قول القلب واللسان جميعاً. . . والمقصود هنا أنّ من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب[١] واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن رأى الاعتقاد، رأى أنّ لفظ القول لا يفهم منه إلاّ القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونيّة، قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأمّا العمل فقد لا يفهم منه النيّة فزاد ذلك.

ومن زاد اتّباع السنة، فلأنّ ذلك كلّه لا يكون محبوباً لله إلاّ باتّباع السنّة، وأولئك لم يريدوا كلّ قول وعمل، إنّما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الردّ على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسّروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: «قول وعمل ونيّة وسنّة، لأنّ الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل، فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نيّة، فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونيّة بلا سنّة، فهو بدعة». . .»[٢].

فلا يكون العبد مؤمناً حتّى يجمع هذه الخصال الثلاث ويستكملها، قال الإمام الآجريّ رحمه الله تعالى:

«ثمّ اعلموا أنّه لا تجزي المعرفة بالقلب والتصديق، إلاّ أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزي معرفة القلب ونطق اللسان، حتّى يكون عمل الجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً، دلّ على ذلك القرآن

---

(١) قول القلب هو إقراره ومعرفته وتصديقه، وعمله هو انقياده لما صدق به.

(٢) انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ١٣٧، ١٣٨).

. . . .

والسنّة وقول علماء المسلمين. . .»[١]. اهـ.

وما أحسن ما قاله العالم الربّاني ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«والإيمان. . . هو حقيقة مركّبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبّة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحبّ في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلٰهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله. . .»[٢]. اهـ.

وأمّا قول المصنّف رحمه الله تعالى: «فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان، ومن لم يستكمله، لم يستكمل الإيمان»، فلأنّ العباد متفاضلون في الإيمان، وفي تحقيق شعبه وخصاله.

والمراد بنفي الإيمان في أحاديث الباب، «نفي بلوغ حقيقته ونهايته، فإنّ الإيمان كثيراً ما ينفى لانتفاء بعض أركانه وواجباته، كقوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»**[٣].

وقوله: **«لا يؤمن من لا يامن جاره بوائقه»**[٤]. . .»[٥].

---

(١) الشريعة: (٢/ ٦١١).

(٢) الفوائد: (ص: ١٢١).

(٣) أخرجه البخاري: (٢٤٧٥)، ومسلم: (٥٧)، والبغوي: (٤٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري: (٦٠١٦)، ومسلم: (٤٦)، وأحمد: (٢/ ٢٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر جامع العلوم والحكم: (١/ ٣٠٢)، وراجع كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمه الله تعالى: (ص: ١٩٤).

. . . .

«وقد نبّه عليه الصلاة والسلام على أفضلها بالتوحيد المتعيّن على كلّ مسلم، والذي لا يصح شيء من هذه الشّعب إلاّ بعد صحته، وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين، من إماطة الأذى عن طريقهم»[١].

وكتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى عدي بن عدي رحمه الله تعالى:

«إنّ للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبيّنها لكم حتّى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص»[٢].

وبالجملة فقد اتّفق أهل العلم من السلف «على تفاضل أهل الإيمان في الإيمان، وتباينهم في درجاته»[٣]، فكان من أصول عقائدهم أنّ الإيمان يزيد وينقص، وهذا الذي ذكره المصنّف الشيخ العلاّمة ابن باديس رحمه الله تعالى عقب هذا الباب، وستأتي هذه المسألة بشيء من التفصيل بإذن الله تعالى.

فوائد:

الفائدة الأولى: ذكر بعض أهل العلم عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: «**الإيمان قول باللسان...**»[٤].

---

(١) من كلام الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى، انظر كتاب الإيمان من الإكمال: (١/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان: (١٣٥)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في عدي بن عدي: «هو ثقة فقيه عمل لعمر بن عبد العزيز على الموصل، والسند إليه صحيح». انظر هامش كتاب الإيمان: (ص: ٤٨).

(٣) شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله رحمة واسعة: (١/ ٤٠).

(٤) أخرجه ابن ماجة: (٦٥)، والطبري في تهذيب الآثار: (١٥٢٤)، والخطيب البغدادي في تاريخه: (١٠/ ٣٤٣)، (١١/ ٤٧)، والإمام ابن بطة في الإبانة: (١٠٦٠)، والإمام الآجرّي في الشريعة: (٢/ ٦٣٩) رقم: ٢٥٦.

....

وهذا حديث ضعيف جداً[١]، بل حكم عليه بعض أهل العلم بالوضع، قال الإمام العلاّمة ابن القيّم رحمه الله تعالى: «هذا حديث موضوع، ليس من كلام النّبيّ ﷺ»[٢].

الفائدة الثانية:

قال الإمام العلاّمة السعدي رحمة الله عليه معلقاً على حديث أبي هريرة رضي الله عنه في شِعب الإيمان:

«ذكر الحياء ـ والله أعلم ـ، لأنّ الحياء به حياة الإيمان، وبه يدع العبد كلّ فعل قبيح، كما به يتحقق كلّ خلق حسن، وهذه الشّعب هي جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة»[٣]. اهـ.

الفائدة الثالثة:

قال القاضي عيّاض رحمه الله تعالى:

«قال بعض المتكلّمين على الحديث[٤]: جمع عليه الصلاة والسّلام تحت لفظه هذا القليل معاني كثيرة، إذ أقسام المحبّة ثلاثة:

محبّة إجلال وإعظام، كمحبّة الوالد.

---

(١) كما قال الحافظ رحمه الله تعالى في فتح الباري: (١/ ٦٥).

(٢) انظر شرحه على مختصر سنن أبي داود للمنذري: (١٢/ ٢٩٤ عون المعبود)، وممّن أشار إلى وضعه: الإمام الدارقطني رحمه الله تعالى، كما نقله الخطيب في التاريخ: (١١/ ٥١)، والحافظ في التهذيب: (٦/ ٣٢١)، وأورده الحافظ أبو الفرَج بن الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب الموضوعات: (١/ ٨٣)، وممّن حكم بوضعه أيضاً الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، انظر السلسلة الضعيفة: (٢٢٧٠)، وضعيف الجامع: (٢٣٠٩)، وضعيف ابن ماجة: (١١).

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: (ص: ١٤).

(٤) وهو قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

. . . .

ومحبّة رحمة وإشفاق، كمحبّة الولد.

ومحبّة مشاكلة واستحسان، كمحبّة النّاس بعضهم لبعض.

فجمع عليه الصلاة والسّلام ذلك كلّه في محبّته... ومن الإشفاق في محبّته، نصرة سنّته، والذبّ عن شريعته، وتمنّي حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه[١].

وإذا تحقق ما ذكرناه، تبيّن أنّ حقيقة الإيمان لا تتمّ إلاّ بذلك، ولا يصح الإيمان إلاّ بتحقيق إنافة[٢] قدر النّبيّ ﷺ، ومنزلته على كلّ والد وولد، ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا، أو اعتقد سواه، فليس بمؤمن»[٣].اهـ.

---

(١) بأبي هو وأمّي صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) الإنافة: الزيادة والارتفاع والعلو، انظر القاموس المحيط: (٣/ ٢٠٣).

(٣) كتاب الإيمان من الإكمال: (١/ ٢٨٣).

[٢٤] الإيمان يزيد وينقص، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصها، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ولقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه(١).

---

[٢٤] هذا الباب أيضاً من أصول العقيدة السلفية، التي كان عليها خيار الأمّة وأتقاها، وهو شعار من شعارات أهل السنّة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«ومن أصول أهل السنّة، أنّ الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»(٢). اهـ.

ولمّا كان الإيمان، قول وَاعتقاد وعمل، والنّاس تتفاوت في ذلك، ـ بل

---

(١) هذا الحديث ممّا تفرد به مسلم دون البخاري، ولم يتنبّه لهذا الخطأ الذي وقع فيه المصنف رحمه الله تعالى، لا المعلق الأستاذ رمضان، ولا هيئة التعليق بدار الفتح بالشارقة، فوجب التنبيه على ذلك. فقد أخرجه مسلم: (٢/ ٢١، ٢٦ نووي)، وأبو داود: (١١٤٠ ـ ٤٣٤٠)، والترمذي: (٢٢٦٢ تحفة)، وابن ماجة: (١٢٧٥ ـ ٤٠١٣)، وأحمد: (٣/ ١٠، ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣).

وأخرجه النسائي: (٨/ ١١١، ١١٢)، بلفظ: «من رأى منكم منكراً، فغيّره بيده فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيّره بيده، فغيّره بلسانه فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيّره بلسانه، فغيّره بقلبه فقد برىء، وذلك أضعف الإيمان»، وصححه الألباني، انظر صحيح النسائي: (٣/ ١٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣/ ١٠٠).

. . . .

الشخص الواحد ينشط أحياناً، ويفتر أخرى في تحيق أركان الإيمان ـ، نشأ هذا القول بزيادة الإيمان ونقصانه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«فالسلف قالوا، هو اعتقاد ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أنّ الأعمال شرط في كماله، ومن هذا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص»[١].

وقال الإمام الآجريّ رحمه الله تعالى:

«وإنّما جازت الزيادة والنقصان عليه، لأنّه معرفة وقول وعمل، فالنّاس متفاضلون بالأعمال، فأكثرهم له طاعة أكثرهم إيماناً، وأقلهم طاعة أقلهم إيماناً»[٢]. اهـ.

والآيات والأحاديث التي تقرر هذا الأصل، أكثر من أن تحصى في هذا المقام، ولكن حسبنا أن ننقل بعض كلام علماء الأمة العاملين المعتبرين، الذين نصحوا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم.

قال الصحابي الجليل، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، لأصحابه: «اجلسوا بنا نزداد إيماناً»[٣].

وكان رضي الله عنه يقول: «اللهم زدني إيماناً وفقهاً»[٤].

وعن عمير بن حبيب بن خُماشة رضي الله عنه، قال: «الإيمان يزيد وينقص، قيل:

---

(١) فتح الباري: (١/ ٦٥).

(٢) كتاب الشريعة: (ص: ١٩٥)، وانظر الإيمان لابن منده: (١/ ٣٠٠)، والإبانة لابن بطة: (٢/ ٨٣٢)، وشعب الإيمان للبيهقي: (١/ ٦٠)، وفتح الباري للحافظ ابن رجب: (١/ ٧).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٤٥)، وابن أبي شيبة في الإيمان: (ص: ١٠٥)، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في تخريج كتاب الإيمان.

(٤) أخرجه الآجرّي في الشريعة: (١١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤٦)، وصححه الحافظ في فتح الباري: (١/ ٦٨).

. . . .

وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبّحناه، فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا، فذلك نقصانه»(١).

ولم ينقل عن أحد من الصحابة ﷺ خلاف هذا الأصل، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن الصحابة، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة. . .»(٢). اهـ.

بل هذا هو مذهب نبيّ الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ قال له ربّه تعالى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، يريد: لأزداد إيماناً إلى إيماني، بذلك جاء التفسير عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى، قال: «﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، أي ليزداد، يعني إيماناً»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان: (١٤)، والآجرّي في الشريعة: (٢١٠ ـ ٢١٦)، والصابوني في عقيدة أصحاب الحديث: (ص: ٢٦٦).
وعمير بن حبيب ﷺ، من الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة، انظر الإصابة للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٦١٧).

(٢) كتاب الإيمان: (ص: ١٧٦)، وانظر مجموع الفتاوى: (٧/ ٥٠٦)، والسنة للإمام الخلال رحمه الله تعالى: (ص: ٥٨٠).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة: (١١٢٠)، والآجرّي في الشريعة: (ص: ١١٨)، وسنده صحيح كما في فتح الباري لابن حجر: (١/ ٦٧).
وأمّا الحديث الذي أخرجه البخاري: (٣٣٧٢. . .)، وغيره عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أحقّ بالشكّ من إبراهيم، إذ قال: «رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» الحديث، فليس المراد هنا بالشك ما قد يفهم بلا خلاف، بل قالها رسول الله ﷺ تواضعاً منه، وتقديماً لإبراهيم على نفسه، يريد: إنا لم نشك ونحن دونه، فكيف يشك هو؟ انظر تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى: (ص: ٩٧)، وراجع تفسير ابن كثير: (١/ ٢٧٧)، وفتح الباري لابن حجر: (٦/ ٤٩٨)، لتقف على أجوبة أهل العلم على هذا الحديث.

. . . .

قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«وإذا ثبت ذلك عن إبراهيم عليه السلام مع أنّ نبينا ﷺ قد أمر باتّباع ملّته، كان كأنّه ثبت عن نبيّنا ذلك. . .»[1].

وقال سهل بن المتوكّل رحمه الله تعالى: «أدركت ألف أستاذ أو أكثرهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[2].

وقال الإمام الصنعاني صاحب المصنف رحمه الله تعالى:

«لقيت اثنتين وستين شيخاً، منهم: معمر، والأوزاعي، والثوري، والوليد بن محمد القرشي، ويزيد بن السائب، وحمّاد بن سلمة، وحمّاد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وشعيب بن حرب، ووكيع بن الجرّاح، ومالك بن أنس، وابن أبي ليلى، وإسماعيل بن عيّاش، والوليد بن مسلم، ومن لم نسمّه، كلّهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[3].

وقال يعقوب بن سفيان رحمه الله تعالى: «أدركت أهل السنّة على ذلك»[4].

فإذا ثبت أنّ الإيمان يزيد وينقص، فإنّ «أقلّ الإيمان ما لا يجامعه الشكوك، وأكثره إيمان الأنبياء عليهم السلام»[5].

---

(١) فتح الباري: (١/ ٦٧).

(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٥/ ١٠٢٨، ١٠٣٦).

(٣) المرجع نفسه: (٥/ ١٠٢٩).

(٤) المرجع نفسه: (٥/ ١٠٢٨)، وقد ذكر الإمام ابن بطة بسنده إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، أسماء علماء أهل السنة ممّن كان يقول: الإيمان يزيد وينقص، انظر الإبانة: (٢/ ٨١٤، ٨٢٦)، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص: ٢٤٢).

(٥) الرسالة الوافية للإمام أبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٨٤).

. . . .

وعلى كلٍّ، فهذه «المسألة لا تقبل الاشتباه بوجه من الوجوه، لا شرعاً، ولا حسّاً، ولا واقعاً»[١].

فائدتان:

الفائدة الأولى:

قوله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً... الحديث» دليل صريح على أنّ الإيمان نوعان: أعلى، وضعيف.**

ثمّ إنّ الحديث فيه دليل آخر لأهل السنّة على أنّ الإيمان: قول واعتقاد وعمل، إذ جعل رسول الله ﷺ هذه الفريضة، وهي إنكار المنكر، من وظيفة القلب واللسان والجارحة، فعلم أنّ الإيمان يشمل ذلك كلّه، والله تعالى أعلم.

الفائدة الثانية:

يروى عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: **«الإيمان يزيد وينقص»**، وهو حديث موضوع[٢]، وكذلك حديث: **«الإيمان لا يزيد ولا ينقص»**[٣].

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للإمام السعدي رحمه الله تعالى: (ص: ٢٢).

(٢) انظر الموضوعات للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (١/ ٨٤)، واللالئ للإمام السيوطي رحمه الله تعالى: (١/ ٢٦).

(٣) انظر الموضوعات: (١/ ٨٥)، وكتاب المجروحين للإمام ابن حبان: (١/ ٢٥٠)، (٢/ ١٠٢، ١٠٣)، وميزان الاعتدال للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (١/ ٥٧٤)، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ٣٣٤)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٤٨٠)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة: (١/ ٦٧٨).

[٢٥] التصديق الذي هو الجزء الأصلي في الإيمان يقوى ويضعف، يقوى بالنّظر في الآيات الكونية، والتدبّر في الآيات السمعية، والتّقرب بالعبادات الشرعية، ويضعف بضد ذلك.

لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ولقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان**[١] **العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما**[٢] **بينهم، إلاّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»، رواه مسلم[٣].

ولحديث حنظلة الأسيدي رضي الله تعالى عنه، ـ وكان من كتّاب

---

(١) في (ح) «ما دام».

(٢) غير مثبتة في (ح).

(٣) (١٧/ ٢١ نووي)، وأبو داود: (٤٩٤٦)، والترمذي: (١٤٤٩ ـ ١٤٥٠ ـ ١٩٩٥ تحفة)، وابن ماجة: (٢٢٥)، وأحمد: (٢/ ٢٥٢، ٢٩٦، ٥٠٠).

وأخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، الترمذي: (١٤٥١ تحفة)، وابن حبان: (٥٣٤ إحسان)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١١١٥٠)، والبغوي في شرح السنة: (٣٥١٨)، وفي التفسير: (٤/ ٢١٣)، وقال أبو عيسى الترمذي: «حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر»، وانظر غوث المكدود لأبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى: (٣/ ١٠٦).

رسول الله ﷺ ـ، قال: **«لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنّار والجنّة، حتّى كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال أبو بكر: فوالله إنّا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتّى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكّرنا بالجنّة والنّار حتّى كأنّا رأي عين[١]، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذّكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة»**، رواه مسلم[٢].

---

[٢٥] لقد أخبرنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، أنّ النّاس يتفاوتون في الإيمان القائم بالقلب، من وزن الشعيرة والبرّة والذرّة، وهذا التفاوت قد يكون على قدر العلم والجهل.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يخرج من النّار من قال لا إله إلاّ الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النّار من قال: لا إله إلاّ الله، وفي قلبه وزن برّة من خير، ويخرج من النّار من قال: لا إله إلاّ الله،**

---

(١) في (ح) «رأي العين».

(٢) (١٧/٦٦ نووي)، والترمذي: (٢٦٣٣ تحفة)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجة: (٤٢٣٩)، وأحمد: (٤/١٧٨، ٣٤٦)، والبيهقي في الشّعب: (١٥٩)، والطبراني في الكبير: (٣٤٩٠ ـ ٣٤٩١ ـ ٣٤٩٢ ـ ٣٤٩٣).

وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، بلفظ: «لو تدومون على ما تكونون عندي في الخلاء، لصافحتكم الملائكة حتى تظلكم بأجنحتها عياناً، ولكن ساعة وساعة»، انظره في السلسلة الصحيحة: (١٩٦٥).

. . . .

وفي قلبه وزن ذرّة من خير»[١]، فإنّ المراد بالخير هنا: الإيمان[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**يدخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، ثمّ يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودّوا...**» الحديث[٣].

وقد أورد البخاري رحمه الله تعالى حديث أنس رضي الله عنه تحت باب: زيادة الإيمان ونقصانه، وأخرج حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه تحت باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، وهو بمعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وذلك أنّ «الحديث لمّا كانت الزيادة والنقصان فيه باعتبار الأعمال وباعتبار التصديق، ترجم لكلّ من الاحتمالين، وخصّ حديث أبي سعيد بالأعمال، لأنّ سياقه ليس فيه تفاوت بين الموزونات، بخلاف حديث أنس، ففيه التفاوت في الإيمان القائم بالقلب من وزن الشعيرة والبرّة والذرّة»[٤].

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنّ قوله ﷺ: «**من قال: لا إلٰه إلاّ الله، وفي قلبه كذا وكذا**»، أنّ المعنى «من أقرّ بالتوحيد وصدّق، فالإقرار لا بد منه، فلهذا أعاده في كلّ مرّة، والتفاوت يحصل في التصديق على الوجه المتقدّم»[٥].

والحديثان اللذان استدلّ بهما المصنّف رحمه الله تعالى يشهدان لما تقرر، فالزيادة تكون بالتدبر في آيات الله المتلوة والمرئية، ومداومة الذكر يحصل به

---

(١) سيأتي تخريجه: (ص: ٤١١).

(٢) راجع فتح الباري للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (١/ ١٤٠).

(٣) أخرجه البخاري: (٢٢ ـ ٤٥٨١...)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، والبغوي في شرح السنة: (٤٣٥٧).

(٤) فتح الباري: (١/ ١٣٩).

(٥) المرجع نفسه: (١/ ١٤٠).

. . . .

اليقين، «ويؤيده أنّ كلّ أحد يعلم أنّ ما في قلبه يتفاضل، حتّى إنّه يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكّلا منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة، بحسب ظهور البراهين وكثرتها»[١].

«فإنّ إيمان الصدّيقين الذين يتجلّى الغيب لقلوبهم حتّى يصير كأنّه شهادة، بحيث لا يقبل التشكيك ولا الارتياب، ليس كإيمان غيرهم ممّن لم يبلغ هذه الدرجة، بحيث لو شكّك لدخله الشك، ولهذا جعل النبيّ ﷺ مرتبة الإحسان، أن يعبد العبد ربّه كأنّه يراه»[٢].

يقول الإمام المُعلميّ رحمه الله تعالى في معرض ردّه على الكوثري: «. . .تفاوت الإيمان القلبي ثابت نقلاً وعقلاً.

أما النقل فمعروف، وقد تقدمت الإشارة إلى حديث الخروج من النار.

وأمّا النظر، فإنَّ الإنسان إذا قارن بين اعتقاده أن الثلاثة من حيث العددية أقل من الستة وبين اعتقاداته الدينية التي يجزم أنه موقن بها بأن له الفرق. . . وقد صرّح النظّار بأن اليقين يتفاوت قوة وضعفاً. . . قال الشيخ محيي الدين[*]: الأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر، ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا تعترِيه الشبهة، ويؤيده أنَّ كلَّ أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى أنه يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكلاً منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها. . .»اهـ[٣].

---

(١) المرجع السابق نفسه: (١/ ٦٦).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/ ١١٣، ١١٤)، وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «والأظهر المختار أنّ التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره، بحيث لا يعتريه الشبهة». نقلاً عن فتح الباري: (١/ ٦٦).

(*) قال الألباني: كأنه النووي.

(٣) التنكيل: (٢/ ٣٦٧).

(فصل)

لقد جعل الله تعالى لكلّ شيء سبباً، فجعل «الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويقوى بالعلم، ويضعف بالجهل، ويخرج بالكفر»[١].

وأسباب زيادته متعددة ومتنوعة، إذا داوم العبد عليها، لصافحته الملائكة في الطرقات، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى:

«الإيمان أعظم المطالب وأهمّها وأعمّها، وقد جعل الله له مواد كبيرة تجلبه وتقوّيه، كما كان له أسباب تضعفه وتوهنه، ومواده التي تجلبه وتقوّيه أمران، مجمل ومفصّل.

أمّا المجمل، فهو التدبّر لآيات الله المتلوة في الكتاب والسنّة، والتأمل لآياته الكونية على اختلاف أنواعها، والحرص على معرفة الحقّ الذي خلق له العبد، والعمل بالحقّ، فجميع الأسباب مرجعها إلى الأصل العظيم.

أمّا المفصّل، فالإيمان يحصل ويقوى بأمور كثيرة:

منها، بل أعظمها معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنّة، وعلى الحرص على فهم معانيها، والتعبّد لله فيها، فقد ثبت في الصحيحين[٢]، عنه ﷺ، أنّه قال: «**إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحد، من أحصاها دخل الجنّة**».

(١) انظر الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٨٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٧٣٩٢)، ومسلم: (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وراجع الكلام على الحديث: (ص: ٣١٣).

أي: من حفظها، وفهم معانيها واعتقدها، وتعبّد الله بها دخل الجنّة، والجنّة لا يدخلها إلاّ مؤمن، فعلم أنّ ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوّته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها...

ومنها، تدبّر القرآن على وجه العموم... ومعرفة أحاديث النّبيّ ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان، وأعماله كلّها من محصّلات الإيمان ومقوّياته.

فكلّما ازداد العبد معرفة بكتاب الله وسنّة رسوله، ازداد إيمانه ويقينه، وقد يصل في علمه وإيمانه إلى مرتبة اليقين، ولهذا كان الراسخون في العلم سادة المؤمنين.

ومن طرق موجبات الإيمان وأسبابه: معرفة النّبيّ ﷺ، ومعرفة ما هو عليه من الأخلاق العالية، والأوصاف الكاملة...

ومن أسباب الإيمان ودواعيه: التفكّر في الكون، في خلق الله السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنّظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات، فإنّ ذلك داع قويّ للإيمان...

ومنها الإكثار من ذكر الله...

ومنها معرفة محاسن الدين...

ومن أعظم مقوّيات الإيمان: الاجتهاد في التحقق في مقام الإحسان.

ومنها الصلاة، والزكاة، والإعراض عن اللغو، والعفّة عن الفواحش، ورعاية الأمانات والعهود وحفظها.

فشجرة الإيمان محتاجة إلى تعاهدها كلّ وقت بالسقي، وهو المحافظة على الطاعات، وإلى إزالة ما يضرها.

ومن دواعي الإيمان وأسبابه: الدعوة إلى الله، وإلى دينه... وذلك

أنّ الدعوة إلى الله، والنّصيحة لعباده من أكبر مقوّيات الإيمان. . . فكلّما يسعى إلى تكميل العباد ونصحهم، يؤيده الله بنور منه وروح وقوة وإيمان، وقوة وتوكّل. . .

ومن أهمّ مواد الإيمان ومقوّياته: توطين النّفس على مقاومة جميع ما ينافي الإيمان من شِعب الكفر والنّفاق، والفسوق والعصيان، فالعبد المؤمن لا يزال يسعى في أمرين:

أحدهما: تحقيق الإيمان وفروعه، علماً وعملاً.

الثاني: السعي في دفع ما ينافيهما، وينقضهما أو ينقصهما. . .»[1].

فالحاصل أنّ أسباب «زيادة الإيمان أربعة:

الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته. . .

الثاني: النّظر في آيات الله الكونية والشرعية. . .

الثالث: كثرة الطّاعات وإحسانها. . .

الرابع: ترك المعصية تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ. . .

وأسباب نقص الإيمان أربعة:

الأوّل: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

الثاني: الإعراض عن النّظر في الآيات الكونية والشرعية.

الثالث: قلّة العمل الصالح.

الرابع: فعل المعاصي. . .»[2].

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان بتصرف يسير: (ص: ٢٥ ـ ٣٨)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٧٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العلاّمة العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥).

[٢٦] مَن عدم مِن إيمانه اليقين خرج من دائرة المؤمنين، وكان من جملة الكافرين، ولو نطق بالشّهادتين، وعمل أعمال المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النّساء: ١٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النّساء: ١٥٠ ـ ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

---

[٢٦] وذلك أنّ الإيمان لا يبنى على الظنّ، وقد سبق هذا المبحث عند قول المصنّف رحمه الله تعالى: «من حصل له اليقين بإخبار الرسول ﷺ كفاه ذلك اليقين»، فذكر هناك اليقين الذي هو ركن من أركان الإيمان، وذكر هنا ـ محذراً ـ ضده وهو الريب وعدم اليقين، فلو جعلت هذه الفقرة مع تلك، لكان أحسن، والله أعلم.

[٢٧] من عُدم منه النطق إباية وعناداً، لم يكن من المؤمنين، وكان من الكافرين، لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

---

[٢٧] إنّ النّطق بكلمة التوحيد شرط لازم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يقولوا لا إلٰه إلاّ الله...**» الحديث[١].

وقال ﷺ: «**يخرج من قال: لا إلٰه إلاّ الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير...**» الحديث[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«قوله: «**من قال: لا إلٰه إلاّ الله وفي قلبه...**»، فيه دليل على اشتراط النّطق بالتّوحيد»[٣]. اهـ.

فمن جمع بين معرفة القلب وتصديقه، والنّطق باللسان، وعمل الجوارح، فذلك المؤمن حقّاً، يقول الإمام الآجريّ رحمه الله تعالى:

«... ثمّ اعلموا أنّه لا تجزي المعرفة بالقلب والتصديق، إلاّ أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزي معرفة القلب ونطق اللسان، حتّى يكون عمل الجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث، كان مؤمناً، دلّ على ذلك القرآن والسنّة، وقول علماء المسلمين...»[٤].

فمن أبى النّطق بالتوحيد مع إمكانه ذلك، لم يستحقّ اسم الإيمان، ولا يتصوّر ذلك فيمن دخل قلبه الإيمان.

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٥٧).

(٢) انظر تخريجه: (ص: ٤١١).

(٣) فتح الباري: (١/ ١٤٠).

(٤) الشريعة: (٢/ ٦١١).

. . . .

يقول الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى:

«إنّ إقرار القلب وتصديقه دون نطق اللسان، لا ينجي من النار، ولا يستحقّ صاحبه اسم الإيمان في الشرع»[(١)].

ولهذا قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«لما كان القول من أركان الإيمان ومبانيه، وأصل من أصول الإيمان، كان شرطاً في النقل عن الكفر عند عدم العجز»[(٢)].

---

(١) كتاب الإيمان من الإكمال: (١/٩٦، ٩٧).

(٢) شُعب الإيمان: (١/٣٨).

[٢٨] من لم يخضع قلبه لما عرفه من عقائد الإسلام[١]، لم تفده تلك المعرفة، ولم يكن بها من المسلمين، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

---

[٢٨] إنّ من ركائز الإيمان وشروطه الانقياد لله تعالى، كما مرّ معنا، بل الذلّ والخضوع لله عزّ وجلّ هما روح الدّين، فأصل الإيمان «المعرفة بالله والتصديق له وبه، وبما جاء من عنده بالقلب واللسان، مع الخضوع له والحبّ له، والخوف منه والتّعظيم له، مع ترك التّكبّر والاستنكاف والمعاندة، فإذا أتى بهذا الأصل، فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملاً له حتّى يأتي بفرعه، وفرعه المفترض عليه أداء الفرائض واجتناب المحارم»[٢].

ويقول الإمام الحافظ ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«والإيمان... هو حقيقة مركّبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبّة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان...»[٣]. اهـ.

ويقول المولى جلّ جلاله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فمن عرف ولم يخضع ولم ينقَد، كحال «أهل الكتاب، يعرفون صحّة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحّة الشيء بهذا...

قال القرطبي: ويروى عن عمر أنّه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً

---

(١) في (ح) «من لم يخضع قلبه لعقائد الإسلام».
(٢) انظر كتاب الإيمان للحافظ الجوّال ابن منده رحمه الله تعالى: (١/ ٣٣١).
(٣) الفوائد: (ص: ١٢١).

. . . .

كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإنّي لا أدري ما كان من أمّه. قلت[1]: وقد يكون المراد ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من بين أبناء الناس كلّهم، لا يشكّ أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلّهم، ثمّ أخبر تعالى أنّهم مع هذا التحقيق والإتقان العلمي ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾، أي ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النّبيّ ﷺ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ثمّ ثبّت تعالى نبيّه ﷺ والمؤمنين، وأخبرهم بأنّ ما جاء به الرسول ﷺ، هو الحقّ الذي لا مرية فيه ولا شكّ، فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٧][2].

فأهل الكتاب لمّا عرفوا الحق ولم يخضعوا له بقلوبهم وجوارحهم، لعنهم الله تعالى، يقول الإمام ابن كثير رحمة الله عليه:

«فإنّ طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى، لأنّ من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم، والنصارى لمّا كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقهم، لأنّهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتّباع الحق ضلّوا، وكلّ من اليهود والنصارى ضالّ مغضوب عليهم، لكن أخصّ أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأخصّ أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار»[3]. اهـ.

---

(١) القائل هو الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى.

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/ ١٦٩).

(٣) المرجع نفسه: (١/ ٢٦).

[٢٩] من ضيّع الأعمال لم يخرج من دائرة الإيمان، لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

ولحديث أبي بكرة رضي الله عنه، قال: «**سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النّار، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنّه كان حريصاً على قتل صاحبه**»، رواه مسلم[١].

---

[٢٩] مراد المصنّف رحمه الله تعالى، أنّ مَن تلبّس ببعض المعاصي ـ ما لم تصل إلى الشرك والكفر ـ، فإنّ ذلك لا يخرجه من دائرة الإيمان، وهذا أصل من أصول عقائد السلف الصالح، وما ذكره رحمه الله تعالى من نصوص يشهد لهذا الأصل بلا ريب.

فقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾، أمر منه تبارك وتعالى «بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض... فسمّاهم مؤمنين مع الاقتتال[٢]، وبهذا استدلّ البخاري وغيره على أنّه لا يخرج عن

---

(١) في الفتن، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (١٨/ ١١ نووي)، والبخاري: (٣١ ـ ٦٧٨٥ ـ ٧٠٧٣)، وأبو داود: (٤٢٦٨ ـ ٤٢٦٩) مختصراً، والنسائي: (٧/ ١٢٥)، (٨/ ١٦٠)، والبيهقي: (٨/ ١٩٠)، والبغوي في شرح السنة: (٢٥٤٩)، وأحمد: (٥/ ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥١)، وابن ماجة: (٣٩٦٥)، وعبد الرزّاق في المصنّف: (٢٠٧٢٨ ـ ٢٠٧٣٨) بألفاظ متقاربة.

وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، بلفظ: «إذا تواجه المسلمان»، عند النسائي: (٧/ ١٢٤، ١٢٥)، (٨/ ١٢٦)، وصحّحه الألباني رحمه الله تعالى، كما في صحيح النسائي: (٣/ ٨٦١، ٨٦٢)، وانظر تمام تخريجه السلسلة الصحيحة: (١٢٣١).

(٢) وأمّا قوله عليه الصلاة والسّلام من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري: (٤٨)، قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، فهذا «وإن كان تضمّن الردّ على المرجئة، لكن ظاهره يقوّي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي، فالجواب: إنّ المبالغة في الردّ على المبتدع اقتضت ذلك، ولا متمسك للخوارج فيه، لأنّ ظاهره غير مراد، لكن =

. . . .

الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم.

وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: «**إنّ رسول الله ﷺ خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرّة وإلى النّاس أخرى، ويقول: إنّ ابني هذا سيِّد، ولعلّ الله تعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»...»**[1].

وأمّا كون المقتتلين في النّار، فلأنّهما ارتكبا ما يستحقّان من أجله النّار، ثمّ

= لمّا كان القتال أشدّ من السباب ـ لأنه مفضي إلى إزهاق الروح ـ عبّر عنه بلفظ أشدّ من لفظ الفسوق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج من الملّة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير معتمداً على ما تقرّر من القواعد، أنّ مثل ذلك لا يخرج عن الملّة، مثل حديث الشّفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]... أو أطلق عليه الكفر لشبهه به، لأنّ قتال المؤمن شأن الكافر.

وقيل: المراد هنا الكفر اللغوي، وهو التغطية، لأنّ حق المسلم على المسلم أن يعينه وينصره ويكفّ عنه أذاه، فلمّا قاتله كان كأنه غطّى على هذا الحق، والأولان أليق بمراد المصنف وأولى بالمقصود من التحذير من فعل ذلك والزجر عنه، بخلاف الثالث...

ومثل هذا الحديث، قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، ففيه هذه الأجوبة.. ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، بعد قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، فدلّ على أنّ بعض الأعمال يطلق عليه الكفر تغليظاً. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٥٠، ١٥١).

وحديث: «لا ترجعوا بعدي كفاراً...»، أخرجه البخاري: (١٢١)، من حديث جرير رضي الله عنه، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما برقم: (٦٨٦٨ ـ ٧٠٧٧).

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ١٨٩)، وقوله ﷺ: «إنّ ابني هذا سيّد» أخرجه البخاري: (٢٧٠٤ ـ ٣٦٢٩ ـ ٣٧٤٦ ـ ٧١٠٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وأمّا ما ورد في تفسير ابن كثير، عن أبي بكر رضي الله عنه، فلعله خطأ وقع أثناء الطبع، والله أعلم.

. . . .

مع هذا هم تحت المشيئة، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«قال العلماء: مع كونهما في النار، أنّهما يستحقّان ذلك، ولكن أمرهما إلى الله تعالى، إن شاء عاقبهما ثمّ أخرجهما من النار كسائر الموّحدين، وإن شاء عفا عنهما، فلم يعاقبهما أصلاً»(١) .اهـ.

وهذه عقيدة السلف أهل السنة والجماعة، لم يخالف أحد منهم هذا الأصل، يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«اتفق أهل السنّة على أنّ المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها، فمات قبل التوبة، لا يخلّد في النّار. . .»(٢) .اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«وعلى هذا درج مَن مضى مِن الصحابة، والتابعين، وأتباعهم، من أهل السنّة»(٣) .اهـ.

ويقول الإمام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى:

«لا نعلم أحداً من أصحاب محمدﷺ، ولا من غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثيماً»(٤) .اهـ.

وقال الإمام المروزي رحمه الله تعالى:

«والذي عندنا أنّ المعاصي لا تزيل الإيمان، ولا توجب الكفر، ولكنّها تنفي حقائق الإيمان التي نعت الله تبارك وتعالى بها أهله في مواضع من كتابه.

---

(١) فتح الباري: (١٣/ ٤٣).

(٢) شرح السنة: (١/ ١٠٣).

(٣) الاعتقاد: (ص: ١٠٣).

(٤) الحجة في بيان المحجة للإمام قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى: (٢/ ٢٩١).

. . . .

منها قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال: ٢، ٤]. . .»[١]. اهـ.

وقال قوّام السنّة الأصبهاني رحمه الله تعالى في كتابه الماتع الحجّة في بيان المحجّة[٢]:

«فصل في بيان أنّ المسلمين لا يضرّهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة منها من غير إصرار، وإن ماتوا عن عير توبة، فأمرهم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذّبهم، وإن شاء غفر لهم». اهـ.

ومن الأدلة على عدم خروج من ضيّع الأعمال عن دائرة الإيمان، شفاعته ﷺ في عصاة الموحدين ليخرجوا مِن النّار.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٣].

قال حنبل: «قلت لأبي عبد الله[٤]، ما يروى عن النّبيّ ﷺ من الشفاعة، فقال: هذه أحاديث صحاح، نؤمن بها ونقرّ، وكلّ ما يروى عن النّبيّ ﷺ بأسانيد جيّدة، نؤمن بها ونقرّ، قلت له: وقوم يخرجون من النار؟ فقال: نعم، إذا لم نقرّ بما جاء به الرسول ودفعناه، رددنا على الله أمره، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

---

(١) كتاب الصلاة: (ص: ١٩١، ١٩٢).

(٢) (٢/ ٢٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (٨٣١)، وصححه الألباني في ضلال الجنة: (ص: ٣٨٥)، وانظر اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٦/ ١١٧٣)، وأحاديث الشفاعة كثيرة جداً، وهي متواترة بحمد الله تعالى، كما قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيقه: (ص: ٤٧).

(٤) يعني إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

. . . .

ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، قلت: والشفاعة؟ قال: كم حديث يروى عن النّبيّ ﷺ في الشفاعة والحوض، فهؤلاء يكذّبون بها ويتّكلون، وهو قول صنف من الخوارج، وإنّ الله تعالى لا يخرج من النار أحداً بعد إذ أدخله، والحمد لله الذي عدل عنّا ما ابتلاهم به...»(١).

وأمّا ما استدلّ به المانعون للشفاعة، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدّثر: ٤٨]، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وغيرها من النصوص.

فقد ردّ عليهم الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى بقوله: «...أنّه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا عن بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان رسول الله ﷺ، الذي قال له ربّه عزّ وجلّ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: ٤٤].

وقد نصّ الله على صحّة الشفاعة في القرآن، فقال تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧]، فأوجب عزّ وجلّ الشفاعة إلاّ من اتّخذ عنده عهداً بالشفاعة، ونفاها عن سواه، فقد اتّخذ محمد ﷺ عهداً بالشفاعة، وصحّت بذلك الأخبار المتواترة بنقل الكوافّ لها.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

فنصّ تعالى على أنّ الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عزّ وجلّ ممّن أذن له

---

(١) اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي: (٦/ ١١٨٣).

. . . .

فيها ورضي قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ، لأنّه أفضل ولد آدم عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

فقد صحّت الشفاعة بنص القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصحّ يقيناً أنّ الشفاعة التي أبطلها الله عزّ وجلّ، هي غير الشفاعة التي أثبتها عزّ وجلّ، وإذ لا شكّ في ذلك، فالشفاعة التي أبطل عزّ وجلّ هي شفاعة الكفار، الذين هم مخلّدون في النار، قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

فإذ لا شكّ فيه، فقد صحّ يقيناً أنّ الشفاعة التي أوجب الله عزّ وجلّ لمن أذن له، واتّخذ عنده عهداً، ورضي قوله، فإنّما هي لمذنبي أهل الإسلام، وهكذا جاء الخبر الثابت. . .»[1]. اهـ.

ثمّ اعلم أخي ـ بارك الله فيك ـ أنّه «لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار، وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمماً لإمكان الجمع، بأنّ تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد، بأنّ تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله، ثمّ بشفاعة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤/ ١١١، ١١٢، ١١٣)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (١/ ٨٩)، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمة الله عليه: (٢/ ٨٩، ٥٨٨)، وشرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٨٢)، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (٢/ ١٦٩).

. . . .

الشافعين، ثمّ يغتسلون في نهر الحياة، ويدخلون الجنّة، فحينئذٍ قد حرّموا عليها، فلا يدخلونها بعد ذلك.

أو يكون المراد، أنّهم يحرّمون مطلقاً على النار التي أعدّت للكافرين، التي لا يخرج منها من دخلها. . .»[١].

«فمعنى هذه الأخبار لم يخل من أحد هذه المعاني، لأنّها إذا لم تحمل على بعض هذه المعاني، كانت على التهاتر والتكاذب، وعلى العلماء أن يتأوّلوا أخبار رسول الله ﷺ على ما قال علي بن أبي طالب: إذا حدّثتم عن رسول الله ﷺ، فظنّوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه. . .»[٢].

---

(١) معارج القبول للشيخ العلامة حافظ حكمي رحمه الله تعالى: (٢/١٦٩).

(٢) كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (٢/٨٧٨).

[٣٠] من ارتكب المعاصي سمّي فاسقاً حتّى يتوب.

لقوله تعالى: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النّور: ٤ ـ ٥].

---

[٣٠] الفاسق هو الخارج عن طاعة الله عزّ وجلّ، لذلك «قد يراد به الكافر، وقد يراد به المعاصي، ففي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٨ ـ ٢٠]، فالمراد بالفاسق: الكافر.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، فالمراد بالفاسق: العاصي، فالله عزّ وجلّ لا يرضى عن القوم الفاسقين، لا هؤلاء ولا هؤلاء، لكن الفاسقين بمعنى الكافرين لا يرضى عنهم مطلقاً، وأمّا الفاسقون بمعنى العصاة، فلا يرضى عنهم فيما فسقوا فيه، ويرضى عنهم فيما أطاعوا فيه...»[١].

فالفسق فسقان، فسق ينقل من ملّة الإسلام والتوحيد، إلى ملّة الشرك والكفر، وفسق لا يخرج صاحبه من الدين الحق، وإن كان يقدح في كماله، وهذا الذي عناه المصنّف الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى.

واعلم أخي المسلم ـ وفقني الله وإيّاك لمرضاته ـ، أنّه ليس كلّ معصية

---

(١) من كلام العلامة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الواسطية: (٢/ ٢١٠، ٣٣٧)، وراجع كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمة الله عليه: (ص: ١٦٩، ١٧٠).

. . . .

يقترفها المسلم، يسمّى بها فاسقاً، يقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٧].

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: «...وفَصّل بين الفسق والعصيان، وفي ذلك دلالة على أنّ مِن المعاصي ما لا يفسق به، وإنّما يفسق بارتكاب ما يكون منها من الكبائر، أو الإصرار على ما يكون منها من الصغائر، واجتناب جميع ذلك من الإيمان...»[١]. اهـ.

ثمّ اعلم أنّ التوبة من المعاصي ترفع عن المتلبّس بها اسم الفسق، والله غفور رحيم، كما قال الله الرحمن الرحيم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٩].

ومع هذا لا بد للمسلم المشفق أن يحذر المعاصي، فإنّ لها من الآثار القبيحة المذمومة، المضرّة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة، ما لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ[٢].

---

(١) شعب الإيمان: (١/ ٤٤).

(٢) راجع كتاب الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام العلامة ابن القيّم رحمه الله تعالى، فقد استوفى البحث وأتى على جميع أطرافه، وعرض ذلك في عبارة أخّاذة ناصعة واضحة مستوعبة.

بيان معنى الإحسان

[٣١] الإحسان في اللغة: الإتيان بما هو حسن[١].

والإحسان في الشرع: هو الإتيان بالحسنات.

والحسنات: هي فعل الواجبات والمستحبّات، وترك المحرّمات والمكروهات، والإخلاص له فيه، ومع استحضار رؤية الله تعالى له، واطّلاعه على ظاهره وباطنه، لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

ولقوله عليه الصلاة والسّلام في حديث جبريل عليه السلام، لمّا فسّر له النّبيّ ﷺ الإحسان، قال: «... **أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنّه يراك...**»، رواه البخاري ومسلم[٢].

---

(١) الإحسان مصدر، تقول: أحسَن يُحسن إحساناً، ويتعدّى بنفسه وبغيره. تقول: أحسنت كذا، إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان، إذا أوصلت إليه النفع، والأوّل هو المراد، لأنّ المقصود إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأنّ المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال التلبّس بها، ومراقبة المعبود. راجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٥٩).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٩٣).

. . . .

---

[٣١] هذا «أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمّة من قواعد المسلمين»[١]، فإنّ «معنى الإحسان هاهنا: الإخلاص، وهو شرط في صحّة الإيمان والإسلام»[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى:

«وأمّا الإحسان الذي فيه أن تعبد الله كأنّك تراه، فهذا مقام من ميّز بين المحظور والمأمور، فإنّ العبد إذا صار كأنّه يشاهد ربّه فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، ووالى أولياءه، وعادى أعداءه، هذا مشهد الإلٰهية الذي دعت إليه الرسل، حيث أمروا بعبادة الله وحده وطاعته. . .»[٣]. اهـ.

وقد أشار حديث جبريل عليه السلام إلى مقامين:

«**أحدهما:** مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إيّاه، واطّلاعه عليه، وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في علمه، وعمل عليه، فهو مخلص لله، لأنّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

والثّاني: مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، وهو أن يتنوّر القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتّى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان»[٤].

وهذان المقامان «يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقد عبّر في رواية عمارة بن القعقاع، بقوله: «**أن تخشى الله كأنّك تراه**»[٥].

---

(١) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٥٩).
(٢) شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله تعالى: (١/ ١١).
(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/ ٣٥١).
(٤) انظر جامع العلوم والحكم: (١/ ١٢٩).
(٥) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٥٩)، ورواية عمارة بن القعقاع، أخرجها مسلم: (١/ ١٨١ نووي)، رقم: (١٠).

. . . .

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«والإحسان يكون في عبادة الله، ويكون في معاملة الخلق، فالإحسان في عبادة الله، فسّره النبيّ ﷺ حين سأله جبريل: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»، أي فإن لم تصل إلى هذه الحال، فاعلم أنّه يراك، والذي يعبد الله على هذه المرتبة، يعبده عبادة خوف ورهب، لأنّه يخاف من يراه.

وأمّا الإحسان بالنّسبة لمعاملة الخلق، فقيل في تفسيره: بذل النّدى، وكفّ الأذى، وطلاقة الوجه...»[1]. اهـ.

وقد ورد ذكر الإحسان «في القرآن في مواضع:

تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالتقوى أو بالعمل.

فالمقرون بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣]...

والمقرون بالإسلام، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢]...

والمقرون بالتقوى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النّحل: ١٢٨].

ويذكر مفرداً، كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس: ٢٦]،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية: (١/٢٢٥، ٢٢٦)، وبذل الندى: أي المعروف سواء كان مالياً أو بدنياً أم جاهاً، وكفّ الأذى: أن لا تؤذي الناس بقولك ولا بفعلك، وطلاقة الوجه: أن لا تكون عبوساً عند الناس، ويدخل في ذلك: إحسان المعاملة في البيع والشراء، والإجارة والنكاح... انظر المرجع نفسه: (١/٢٢٦).

. . . .

وقد ثبت في صحيح مسلم، عن النّبيّ ﷺ تفسير الزيادة بالنّظر إلى وجه الله عزّ وجلّ في الجنّة[1]، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان، لأنّ الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربّه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنّه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النّظر إلى الله عياناً في الآخرة. . .»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (١٨١)، والترمذي: (٢٥٥٥ ـ ٣١٠٤)، وابن ماجة: (١٨٧)، وأحمد: (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣)، من حديث صهيب رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزّ وجل».

(٢) انظر جامع العلوم والحكم: (١/ ١٢٥، ١٢٦).

عقائد الإيمان

(عقيدة الإيمان بالله، منها مسائل كثيرة:

المسألة الأولى: وجوده تعالى وقدمه وبقاؤه:)(١)

[٣٢] هو الموجود الحقّ لذاته، الذي لا يقبل وجوده العدم، فهو القديم الذي لا بداية لوجوده، وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده، لقوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ولقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد: ٢ ـ ٤] ولقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ولقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

---

(١) ما بين قوسين غير مثبت في (ص).

. . . .

---

[٣٢] إنّ وجود الله تبارك وتعالى مركوز في الفطر، فلا تنكره إلاّ الفطر الإبليسيّة، ووجوده سبحانه وتعالى لذاته، وكلّ الموجودات مفتقرة في وجودها لإيجاد الله تعالى لها.

يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]:

«وهذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده شكّ، فإنّ الفطرة شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإنّ الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شكّ واضطرار، فتحتاج إلى النّظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته، بأنّه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سابق، فإنّ شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إلٰه إلاّ هو، خالق كلّ شيء وإلٰهه ومليكه.

والمعنى الثاني: في قولهم[1]: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾، أي أفي إلاهيته وتفرّده بوجوب العبادة له شكّ، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحقّ العبادة إلاّ هو وحده لا شريك له؟ فإنّ غالب الأمم كانت مقرّة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنّونها تنفعهم، أو تقرّبهم من الله زلفى. . .»[2]. اهـ.

فكلّ ما في الكون يشهد بوجود ربّ خالق حكيم، فهذه الكواكب النيّرات في السموات «ثوابت وسيّارات، والشمس والقمر، والليل والنهار واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر حتّى يطول هذا ويقصر هذا، ثمّ يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السّماء واتّساعها وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر،

---

(١) أي في قول رسل الله تعالى ﷺ.

(٢) انظر التفسير: (٢/ ٤٨٠).

. . . .

فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثّمار والزّروع والأزاهير، وصنوف النّبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار، وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخّر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلاّ هو، ولا ربّ سواه»[١].

فالعبد المؤمن «لا فرح له أعظم من فرحه بوجود ربّه، وأنسه به، وطاعته له، وإقباله عليه، وطمأنينته بذكره، وعمارة قلبه بمعرفته، والشوق إلى لقائه، فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعّم بالتّوجّه إليه، إلاّ الله سبحانه»[٢].

واعلم أخي المسلم، أنّ قول المصنّف رحمه الله تعالى: «فهو القديم الذي لا بداية لوجوده»، تعبير غير مرضي عند أهل العلم، وإن كان قاله بعض الأفاضل وخيرة العلماء، فالأولى التعبير بما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾.

يقول العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّه ليس من أسماء الله تعالى «القديم»، وإنّما هو من استعمال المتكلّمين، فإنّ القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن، هو المتقدّم على غيره، فيقال هذا قديم للعتيق، وهذا جديد للحديث، ولم يستعملوا هذا الاسم إلاّ في المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأوّل قديم وإن كان مسبوقاً بغيره كما حققه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»: (١/ ٢٤٥)، والشارح في شرحه[٣]،

---

(١) المرجع السابق: (٢/ ٣٩٤).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيّم رحمه الله تعالى: (ص: ٧٥).

(٣) أي الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله تعالى في شرح العقيدة الطحاوية.

. . . .

لكن أفاد الشيخ ابن مانع هنا فيما نقله عن ابن القيّم في «البدائع»، أنّه يجوز وصفه سبحانه بالقدم بمعنى أنّه يخبر عنه بذلك، وباب الأخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية.

قلت: ولعلّ هذا هو وجه استعمال شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الوصف في بعض الأحيان...»[١].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**اللهم ربّ السموات السبع، وربّ العرش العظيم، ربّنا وربّ كلّ شيء، منزّل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحبّ والنّوى، لا إله إلاّ أنت، أعوذ بك من شرّ كلّ شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء...**» الحديث[٢].

ويقول ابن القيّم رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾:

«فمعرفة هذه الأسماء الأربعة: الأوّل والآخر، والظّاهر والباطن، هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبالغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه... فأوّلية الله عزّ وجلّ سابقة على أوّلية كلّ ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كلّ ما سواه، فأوّليته سبقه لكلّ شيء، وآخريته بقاؤه بعد كلّ شيء. وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوّه على كلّ شيء، ومعنى الظّهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه... فمدار هذه الأسماء الأربعة، أوّليته وآخريّته، فأحاطت أوّليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكلّ ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلاّ والله فوقه، وما من باطن إلاّ والله بعده...

---

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٣٣، ٣٤)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ رحمه الله تعالى: (١/ ٧٧)، ولعله أيضاً وجه استعمال المصنف رحمه الله تعالى لهذه الكلمة.

(٢) أخرجه مسلم: (١٧/ ٣٥، ٣٦ نووي).

. . . .

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأوّل في آخريّته، والآخر في أوّليته، والظّاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، لم يزل أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. . .»[١]. اهـ.

وينبغي على المسلم الموحّد، أن يتعبّد الله تعالى بأسمائه وصفاته، والتّعبّد باسمه الأوّل والآخر على مرتبتين:

«**المرتبة الأولى**: أن تشهد الأوّلية منه تعالى في كلّ شيء، والآخرية بَعْدَ كلّ شيء، والعلو والفوقية فوق كلّ شيء، والقرب والدنو دون كلّ شيء، فالمخلوق يحجبه مثله عمّا هو دونه، فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والربّ جلّ وجلاله ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه.

المرتبة الثانية: أن يعامل كلّ اسم بمقتضاه، فيعامل سبقه تعالى بأوّليته لكل شيء بفضله وإحسانه، والأسباب كلّها بما يقتضيه ذلك من إفراده وعدم الالتفات إلى غيره، والوثوق بسواه، والتوكّل على غيره، فمن ذا الذي شفع لك في الأزل، حيث لم تكن شيئاً مذكوراً، حتّى سمّاك باسم الإسلام، ووسمك بسمة الإيمان، وجعلك من أهل قبضة اليمين. . . فعصمك عن العبادة للعبد. . . وكانت أوّليتها منه بلا سبب. . .

ثمّ تعبّد له باسمه الآخر، بأن تجعله وحده غايتك التي لا غاية لك سواه، ولا مطلوب لك سواه، فكما انتهت إليه الأواخر، وكان بعد كلّ آخر، فكذلك اجعل نهايتك إليه، فإنّ إلى ربّك المنتهى، إليه انتهت الأسباب والغايات فليس وراءه مرمى ينتهي إليه»[٢].

---

(١) طريق الهجرتين: (ص: ٣٨).

(٢) المرجع نفسه: (ص: ٣٨، ٣٩)، راجعه لتقف على كيفية التعبّد باسمه الظاهر والباطن.

(المسألة الثانية: سبق وجوده لكل وجود:)[1]

[٣٣] وهو الموجود، الذي سبق وجوده كلّ وجود، فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثمّ خلق ما شاء من مخلوقاته[2]، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصّلت: ٩ ـ ١٢].

---

[٣٣] قول المصنّف رحمه الله تعالى: «وهو الموجود الذي سبق وجوده كلّ وجود»، هذا نعت وصفة لوجود الله تبارك وتعالى، فقد نعته بالسبق لكلّ وجود، كما وصفه قبلُ بأنّهُ لا يقبل العدم، وهذا وذاك معنى قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾.

ثمّ قال رحمه الله تعالى: «فكان تعالى وحده، ولا شيء معه، ثمّ خلق ما شاء من مخلوقاته»، ثمّ ذكر رحمه الله الآيات الدالة على خلق المخلوقات.

وفي هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ: «**كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان**

---

(١) ما بين قوسين غير موجود في (ص) ولا في (ح)، وإنما أضفته زيادة في التوضيح، وهكذا المسألة التي ستأتي بعدها.

(٢) في (ح) «هو الذي لم يسبق وجوده عدم، فلا بداية لوجوده، والباقي في حقه تعالى معناه: هو الذي لا يلحق وجوده عدم، فلا نهاية لوجوده، ووجود الله تعالى حق لذاته بلا بداية ولا نهاية، وهو الموجود الذي سبق وجوده كل وجود، فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته»، ثم ذكر الآيات.

. . . .

عرشه على الماء، وكتب في الذكر كلّ شيء، وخلق السموات والأرض»[١].

فوجود الله تعالى سبق كلّ الموجودات، وكلّ ما سوى الله عزّ وجلّ مفتقر في وجوده إلى إيجاد الله تعالى له.

ثمّ قال المصنّف رحمه الله تعالى: «. . .ثمّ خلق ما شاء من مخلوقاته».

فقوله: «ما شاء الله»، قد يكون احترازاً عن الترجيح فيما اختلف فيه السلف رحمهم الله تعالى: ما خلق الله أولاً؟

«فذهب كثير من السلف والخلف إلى أنّ العرش متقدّم على القلم واللوح، مستدلين بهذا الحديث[٢]، وحملوا قوله: «**أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»**[٣]، على هذا الخلق المذكور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق: (٣١٩١)، وفي التوحيد: (٧٤١٨)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «في الرواية الآتية في التوحيد: «ولم يكن شيء قبله»، وفي رواية غير البخاري: «ولم يكن شيء معه»، والقصة متحدة فاقتضى ذلك أنّ الرواية وقعت بالمعنى، ولعلّ راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه من صلاة الليل، كما تقدم من حديث ابن عباس: «أنت الأوّل فليس قبلك شيء»، ولكن رواية الباب أصرح في العدم، وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش، ولا غيرهما، لأنّ كلّ ذلك غير الله تعالى».اهـ. انظر فتح الباري: (٦/ ٣٤٧)، وراجع: (١٣/ ٥٠١ وما بعدها)، وقول الحافظ رحمه الله تعالى: «ولكن رواية الباب أصرح في العدم»، أي رواية: «ولم يكن شيء غيره»، التي معنا.

(٢) أي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه المتقدم.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير: (٣٣١٩)، وأحمد: (٥/ ٣١٧)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال أبو عيسى الترمذي: «حسن غريب».

. . . .

عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. . .»[١].

غير أنّ الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى يرى أنّ أوّل المخلوقات على الإطلاق هو الماء.

فقال رحمه الله تعالى: «وقوله ﷺ لأبي هريرة لمّا سأله ممّا خلق الخلق؟ فقال له: «**من الماء**»، يدلّ على أنّ الماء أصل جميع المخلوقات ومادتها، وجميع المخلوقات خلقت منه.

وفي المسند من وجه آخر[٢]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقرّت عيني، فأنبئني عن كلّ شيء، فقال: «**كل شيء خلق من ماء**».

وقد حكى ابن جرير وغيره، عن ابن مسعود وطائفة من السلف: أنّ أوّل المخلوقات الماء. . .»[٣]. اهـ.

وقال أيضاً: «والخلاف في أنّ الماء، هل هو أوّل المخلوقات أم لا مشهور، وحديث أبي هريرة يدل على أنّ الماء مادة جميع المخلوقات.

وقد دلّ القرآن على أنّ الماء مادة جميع المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، وقول من قال أنّ المراد بالماء النطفة التي يخلق منها الحيوانات، بعيد لوجهين:

أحدهما: أنّ النطفة لا تسمّى ماء مطلق بل مقيّداً، لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٢/ ١٦٧)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٣٤٥).

(٢) (٢/ ٢٩٥، ٣٢٣، ٣٢٤، ٤٩٣).

(٣) كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: (ص: ٢٩).

. . . .

دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق: ٦ ـ ٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات: ٢٠].

والثاني: أنّ من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة، كدود الخل والفاكهة ونحو ذلك، فليس كلّ حيوان مخلوقاً من نطفة، والقرآن دلّ على خلق جميع ما يدبّ، وما فيه حياة من الماء، فعلم بذلك أنّ أصل جميعها الماء المطلق، ولا ينافي هذا قول الله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧]، وقول النّبيّ ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور**»[1]، فإنّ حديث أبي هريرة دلّ على أنّ أصل النور والنار الماء، كما أنّ أصل التراب الذي خلق منه آدم الماء، فإنّ آدم خلق من طين، والطين تراب مختلط بماء، والتراب خلق من ماء، كما تقدّم عن ابن عبّاس وغيره.

وزعم مقاتل، أنّ الماء خلق من نور، وهو مردود بحديث أبي هريرة هذا وغيره، ولا يستنكر خلق النار من الماء، فإنّ الله عزّ وجلّ جمع بقدرته بين الماء والنار في الشجر الأخضر[2]، وجعل ذلك من أدلة القدرة على البعث...»[3]. اهـ.

---

(١) انظر تخريجه: (ص: ٣٢١).

(٢) كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٨٠]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً، ثمّ ذا ثمر وينع، ثمّ أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، كذلك هو فعّال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.

قال قادة في قوله: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون»، يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه». اهـ. انظر التفسير: (٣/ ٥٤٢).

(٣) لطائف المعارف: (ص: ٣١، ٣٢)، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٦/ ٣٤٧، ٣٤٨).

. . . .

فكلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى قويّ، وله وجه من الدليل، وعلى كلّ حال، «سواء كان الراجح هذا أم ذاك، فالاختلاف المذكور يدلّ بمفهومه على أنّ العلماء اتّفقوا على أنّ هناك أوّل مخلوق»[1]، والله تعالى أعلم.

---

(١) من كلام العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى، انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٣)، وقال قبل ذلك: «ذكر الشارح هنا أنّ العلماء اختلفوا هل القلم أوّل المخلوقات، أو العرش؟ على قولين لا ثالث لهما، وأنا وإن كان الراجح عندي الأول، كما كنت صرحت به في تعليقي عليه: (ص: ٢٩٥) [٢٦٤ ـ ٢٦٥]، فإني أقول الآن سواء...». اهـ.
وقد علمت أخي المسلم أنّ هناك قولاً ثالثاً مشهوراً، كما قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى.

(المسألة الثالثة: غناؤه عن كل وجود:)

[٣٤] فهو الغنيّ بذاته عن جميع المخلوقات، وهي المفتقرة كلّها ابتداءً ودواماً إليه، لقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧]، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ ـ ٣٢]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

---

[٣٤] إنّ من عقائد أهل السنة أنّ كلّ الموجودات محتاجة إلى الله تعالى في جميع الحركات والسكنات، وهو جلّ جلاله الغنيّ عنهم بذاته، فهو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه.

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«قال الله سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ بيّن سبحانه في هذه الآية أنّ فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم، لا ينفكّ عنهم، كما أنّ كونه غنيّاً حميداً ذاتيّ له، فغناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته، لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد لربّه لذاته، لا لعلّة أوجبت تلك الحاجة، كما أنّ غنى الربّ سبحانه لذاته، لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغنى أبداً وصف له ذاتي

فالخلق فقير محتاج إلى ربّه بالذّات لا بعلة، وكلّ ما يذكر ويقرر من أسباب الفقر والحاجة، فهي أدلّة على الفقر والحاجة، لا علل لذلك، إذ ما بالذّات لا

. . . .

يعلل، فالفقير بذاته محتاج إلى الغني بذاته. . . والمقصود أنّه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنّها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدّسة وحقيقته أنّه غنيّ حميد، فالفقر المطلق من كلّ وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كلّ وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي، فيستحيل أن يكون العبد إلاّ فقيراً، ويستحيل أن يكون الربّ سبحانه إلاّ غنيّاً، كما أنّه يستحيل أن يكون العبد إلاّ عبداً والربّ إلاّ ربّاً. . .»[1].اهـ.

وهكذا كلّ المخلوقات، من العالم العلوي والسفلي، محتاجة ومفتقرة في حركاتها وسكناتها إلى ربّها وخالقها يصرّفها كيف يشاء، «فالإنسان وكلّ مخلوق فقير إلى الله بالذّات، وفقره من لوازم ذاته، يمتنع أن يكون إلاّ فقيراً إلى خالقه. . . فالعبد فقير إليه من جهة ربوبيته ومن جهة ألوهيته»[2].

ولهذا كان أحبّ الخلق إلى الله تعالى «أكملهم عبودية وأعظم شهوداً لفقره، وضرورته وحاجته إلى ربّه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من دعائه ﷺ: «**أصلح لي شاني كلّه، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك**»[3]، وكان يدعو: «**يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك**»[4]، يعلم ﷺ

---

(١) طريق الهجرتين: (ص: ٢١، ٢٢)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (١/ ٣٨. . .).

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، انظر مجموع الفتاوى: (١/ ٣٥).

(٣) أخرجه أحمد: (٥/ ٤٢)، وأبو داود: (٥٠٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد: (٧٠١)، والنسائي في العمل والليلة: (٦٥٦ ـ ٢٠٢)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «حديث حسن»، كما في حاشية الأدب المفرد.

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (٣/ ١١٣، ٢٥٧)، والترمذي: (١٢٤٠)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٢٨٨)، وابن ماجة: (٢٨٣٤)، والآجرّي في الشريعة: (٣١٧)، وابن أبي عاصم في السنة: (٢٢٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في الظلال: (١/ ٤٤، ٩٨).

. . . .

أنّ قلبه بيد الرحمٰن عزّ وجلّ، لا يملك شيئاً، وأنّ الله سبحانه يصرّفه كما يشاء كيف يشاء، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤].

فضرورته ﷺ إلى ربّه، وفاقته إليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه، ومنزلته عنده. . . ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة، وأعظمهم عنده جاهاً، وأرفعهم عنده منزلة، لتكميله مقام العبودية والفقر إلى ربّه»[١].

(١) طريق الهجرتين: (ص: ٢٣، ٢٤).

عقيدة الإثبات والتنزيه

[٣٥] نثبت[1] له ما أثبته لنفسه على لسان رسله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزّهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته، لقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**بعث رسول الله ﷺ عشرة، منهم: خبيب الأنصاري، فلمّا خرجوا من الحرم ليقتلوه، قال:**

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أيّ جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإلٰه وإن يشأ يبارك على أوصال شِلو ممزّع

فلمّا قتل هو وأصحابه، أخبر النّبيُّ ﷺ أصحابَه خبرهم يوم أصبحوا»، رواه البخاري[2].

ولقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: ٢ ـ ٥]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٧٣ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل: ٧٣ ـ ٧٤]، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم

---

(١) في (ح) «نثبت لله تعالى».

(٢) برقم: (٣٩٨٩ ـ ٧٤٠٢)، والبيهقي في كتاب الاعتقاد: (ص: ٦)، وقوله: «شلو ممزّع»، الشلو: العضو، أي عضو متقطّع، انظر فتح القاموس المحيط: مادة (شلو).

بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

[٣٥] هذا الذي ذكره المصنّف رحمه الله تعالى هو منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى في التعامل مع نصوص الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنّة، يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وينفون عنه ما نفاه هو تعالى عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ، إذ الله عزّ وجلّ أعلم بنفسه، ثمّ إنّ ورسوله ﷺ ما ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النّجم: ٣ ـ ٤].

ويقول المصنّف رحمه الله تعالى وهو يشرح بيتين في التوحيد لأحدهم:

فنحن معشر فريق السنّة ... السالكين في طريق الجنّة

نقول بالإثبات والتنزيه ... من غير تعطيل ولا تشبيه

قال: «المعطّلون، هم الذين ينفون الصفات الإلهية، والمشبهون هم الذين يشبهونها بصفات المخلوقات، وكلاهما على ضلال، أمّا السنّيون: فهم الذين يثبتونها له تعالى، وينزّهونها عن التشبيه بالمخلوقات.

والتعطيل: تعطيل اللفظ عن دلالة معناه الحقيقي، أو الخروج به معنى آخر، والتشبيه: تشبيه الله بمخلوقاته، فنحن نثبت لله ما أثبته لنفسه من أقوال أو أفعال أو صفات، ولا نشبّهه في شيء من ذلك بالمخلوقات، ولا غرابة في إثبات شيء مع عدم تكييفه، فالإنسان يثبت أنّ بين جنبيه نفساً، ولكن لا يستطيع تكييفها، كذلك نثبت صفات الله بلا كيف»[1]. اهـ.

وقد استدلّ الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى بهذه الجملة من

---

(١) نقل هذا الكلام عن المصنف رحمه الله تعالى تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان في تعليقه على العقائد الإسلامية للمصنف: (ص: ٥٨)، وقوله: «والتعطيل، تعطيل اللفظ عن دلالة معناه الحقيقي. . .»، إلى آخر كلامه، لعله للأستاذ محمد الصالح رمضان، يشرح كلام شيخه، وسواء كان كلام التلميذ أم كلام الشيخ، فهو عينه كلام السلف، وهو يخرج من مشكاة واحدة، فجزاهما الله تعالى عن عقيدة التوحيد خير الجزاء.

. . . .

الآيات الكريمات، ليثبت ما جاء فيها من أسماء وأفعال وصفات، كالنّفس، وخلق الخلق السويّ، والتقدير والهداية، وإخراج المرعى، وأنّه تعالى فعّال لما يريد.

وقد أشار رحمه الله تعالى من خلال الآيات الثلاث الأخيرة، إلى حرمة ضرب الأمثال لله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، فإنّ ذلك من التقوّل على الله تعالى بغير علم وبغير حقّ، والسلامة أن تثبت وتنزّه، وتكون قاعدتك في ذلك كلّه، قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، تضمنت المنهج الصحيح للتعامل مع نصوص الأسماء والصفات.

وَهذا المنهج يقوم على ركيزتين:

الأولى: تنزيه بلا تعطيل، ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

الثانية: إثبات بلا تمثيل، ودلّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وأمّا حديث خبيب رضي الله عنه، ففيه إثبات الذّات لله تعالى، فكما أنّ لله عزّ وجلّ ذاتاً لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك له سبحانه صفاتاً لا تشبه صفات الخلق، «فإنّ ذات الله تسمّى بأسماء وتوصف بأوصاف، ووجود ذات مجردة عن الأوصاف أمر مستحيل، فلا يمكن أن توجد ذات مجردة عن الأوصاف أبداً»[1].

والله تبارك وتقدّس «أعلم بذاته، وهو موصوف غير مجهول، وموجود غير مدرك، ومرئيّ غير محاط به، لقربه كأنّك تراه، يسمع ويرى، وهو العليّ الأعلى، وعلى العرش استوى تبارك وتعالى، ظاهر في ملكه وقدرته، قد حجب عن الخلق كنه ذاته، ودلّهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تكيّفه، وهو

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ٧٤)، وراجع مدارج السالكين لابن القيّم رحمه الله تعالى: (٣/ ٣٦١)، وشرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٩٧).

. . . .

بكلّ شيء محيط، وعلى كلّ شيء قدير»(١).

وهكذا ما جاء من الصفات في الآيات ألتي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى، كالنّفس لله تعالى، فقد أثبتها له أعلم الخلق به ﷺ، فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما، أنّ النّبيّ ﷺ حين خرج إلى صلاة الصبح، وجويرية جالسة في المسجد، فرجع حين تعالى النّهار، فقال: «**لم تزالي جالسة بعدي؟ قالت: نعم، قال: قد قلت بعدك أربع كلمات، لو وزنت لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ومداد كلماته، ورضى نفسه، وزنة عرشه**»(٢).

وجلّ ربّنا «أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعزّ أن يكون عدماً لا نفس له.

قال جلّ ذِكره لنبيّه ﷺ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فأعلمنا ربّنا أنّ له نفساً كتب عليها الرحمة. . .

وقال جلّ ذِكره لكليمه موسى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤٠ ـ ٤١]، فثبت أنّ الله له نفساً اصطنع لها كليمه موسى عليه السلام. . .

وقال روح الله عيسى بن مريم مخاطباً ربّه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فروح الله عيسى بن مريم يعلم أنّ لمعبوده نفساً. . .»(٣).

---

(١) انظر الحجة في بيان المحجة: (١/ ١٨٥، ١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم: (١٧/ ٤٤ نووي)، والترمذي في الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ، والنسائي في السهو، باب نوع آخر من التسبيح، وأبو داود في الصلاة، باب: التسبيح بالحصى، وأحمد: (٢٥٨).

(٣) انظر كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (١/ ١١، ١٢).

. . . .

وهكذا باقي صفات الله تعالى وأفعاله الواردة في الآيات التي استدلّ بها المصنّف رحمه الله تعالى.

وليس مراده رحمه الله تعالى إحصاء الصفات والأسماء، وإنّما الغرض تقرير المنهج الذي ينبغي أن يتّبع، والذي كان عليه السلف في التعامل مع آيات وأحاديث الصفات، فهو إثبات من دون تشبيه، وتنزيه من دون تعطيل.

يقول الإمام البغوي رحمة الله الواسعة عليه:

«فهذه ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، معتقداً أنّ الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنّة، تلقّوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنّبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكّلوا العلم فيها إلى الله عزّ وجلّ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الرّاسخين في العلم، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. . .»(١). اهـ.

وقال إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

«لا يوصف الله إلاّ بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث»(٢). اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«مذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون ما وصف به نفسه ووصفه به

---

(١) شرح السنة: (١/ ١٧٠، ١٧١)، وانظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ١١٣، ١١٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٥/ ٢٠).

. . . .

رسوله، فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته. . .»[١]. اهـ.

فقد «أعاذ الله تعالى أهل السنّة من التحريف والتشبيه والتكييف، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتّبعوا قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. . .»[٢].

ويلتزمون في ذلك قاعدة «على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»[٣].

ويتمسكون بما قاله الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: «إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له»[٤].

ويدينون الله تعالى بما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «ما صحّ عن رسول الله ﷺ قاله، فلا يقال فيه: لم، وكيف»[٥].

وقال الإمام أبو يوسف، صاحب أبي حنيفة رحمة الله عليهما:

«فقد أمرنا الله أن نوحّده، وليس التوحيد بالقياس، لأنّ القياس يكون في

---

(١) مجموع الفتاوى: (٥/ ٢٠).

(٢) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ١٦٣، ١٦٤).

(٣) من كلام الإمام الزهري رحمه الله تعالى، انظر عقيدة السلف: (ص: ١٩٠)، وراجع شرح السنة للبغوي: (١/ ١٧١)، وفتح الباري للحافظ ابن حجر: (١٣/ ٥٠٣)، وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «وهذا كلام جامع مانع»، انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٣١).

(٤) انظر عقيدة السلف: (ص: ١٩٦).

(٥) انظر الردّ على الجهمية من كتاب الإبانة للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى: (٣/ ٢٠٣)، رقم: ١٥٧.

. . . .

شيء له شبه ومثل، والله لا شبيه له ولا مثل، تبارك الله أحسن الخالقين»[1]. اهـ.

ويقول الإمام ابن عبد البرّ رحمه الله تعالى:

«أهل السنّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلّها في القرآن والسنّة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلاّ أنّهم لا يكيّفون شيئاً من ذلك، ولا يحدّون فيه صفة محدودة»[2]. اهـ.

فتوحيد الأسماء والصفات يقوم على «أسس ثلاثة:

الأول: أنّ أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته كلّها توقيفية، لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو النّفي، إلاّ بإذن من الله ورسوله.

الثاني: أنّ الله عزّ وجلّ في كلّ ما ثبت له من الأسماء والصفات، لا يماثل شيئاً من خلقه، ولا يماثله شيء.

الثالث: أنّ صفاته سبحانه وتعالى كمال كلّها...»[3].

«فقد ثبت ما ادّعيناه من مذهب السلف رحمة الله عليهم، بما نقلناه عنهم جملة وتفصيلاً، واعتراف العلماء من أهل النقل كلّهم بذلك، ولم أعلم عن أحد منهم خلافاً في هذه المسألة»[4].

فهذا دين الأمة، وقول أهل السنّة في الصفات، «فمن لم يشفه القرآن، ولم تنفعه السنّة وما فيهما من النور والبيان، والهدى والضياء، وتنطّع وتعمّق وقال

---

(١) انظر الحجة في بيان المحجة: (١٤٢/١٤).

(٢) التمهيد: (١٤٥/٧).

(٣) من مقدمة كتاب دلائل التوحيد للإمام العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٥٣)، وانظر أضواء البيان للإمام العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: (٤١١/٣)، وكذا رسالته في منهج دراسة الأسماء والصفات.

(٤) من كلام الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى، انظر كتابه «ذمّ التأويل»: (ص: ٢٣٨).

. . . .

برأيه، وقاس على الله وعلى رسوله بفعله وهواه، داخل الله في علمه، ونازعه في غيبه، ولم يقنع بما كشف له عنه حتّى خالف الكتاب والسنّة، وخرق إجماع الأمّة، وضلّ ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً، واتّبع غير سبيل المؤمنين، ولاّه الله ما تولّى، وأصلاه جهنّم وساءت مصيراً»[١].

فائدة:

قال الشيخ العلاّمة ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«قد جمع الله فيما وصف وسمّى به نفسه بين النّفي والإثبات، وذلك لأنّ تمام الكمال لا يكون إلاّ بثبوت صفات الكمال، وانتفاء ما يضادها من صفات النقص، فصفات الله عزّ وجلّ قسمان: ثبوتية وسلبية، أو إن شئت، فقل: مثبتة ومنفية، والمعنى واحد ما دام السلب في اللغة بمعنى واحد، فالاختلاف في اللفظ لا يضر.

فالمثبتة: كلّ ما أثبته الله لنفسه، وكلّها صفات كمال، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه.

وأمّا الصفات المنفية، أو السلبية، فكثيرة، ولكن الإثبات أكثر، وهذا ليس نفياً مجرداً، بل هو نفي يتضمن عكسه، وهو: المدح والثناء...»[٢]. اهـ.

---

(١) من كلام الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى، انظر الإبانة: (٢/ ٧٧٣)، وقال الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى: «وهذا دين الأمة، وقول أهل السنة في هذه الصفات، أن تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد، فمن تجاوز المروي فيها، وكيّف شيئاً منها، ومثلها بشيء من جوارحنا... فقد ضلّ واعتدى، وابتدع في الدين ما ليس منه، وفرّق إجماع المسلمين، وفارق أئمة الدين...»اهـ. انظر الرسالة الوافية: (ص: ٥٨، ٥٩).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ١٤١، ١٤٨).

[٣٦] ولا تحيط العقول بذاته ولا بصفاته ولا بأسمائه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولقوله ﷺ: **«لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»**(١).

ولقوله ﷺ في دعاء الكرب: **«اللَّهم إنِّي عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي وغمّي»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٣ نووي)، وأبو داود: (٨٧٩ ـ ١٤٢٤ عون المعبود) والترمذي: (٣٥٦٢ ـ ٣٥٦٣ تحفة)، والنسائي: (١/ ١٠٢)، (٣/ ٤٢٩)، وابن ماجة: (١١٧٩)، ومالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الدعاء، والدارقطني: (١/ ١٤٤)، وأحمد: (١/ ٩٦)، (٦/ ٥٨، ٢٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه الترمذي: (٣٥٦١)، وأبو داود: (١٤٢٧)، والنسائي: (١/ ٢٥١)، (٣/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وابن ماجة: (١١٧٩)، وأحمد: (١/ ٩٦، ١١٨، ١٥٠)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٣٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الإرواء: (٢/ ١٧٥).

(٢) أخرجه أحمد: (٣٩١)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٥٠٩)، والطبراني في الكبير: (١٠/ ٢١٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة: (٣٤٠)، من حديث أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إلا ابن السني، أخرجه من طريق عبد الرحمٰن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في طبعته للمسند: (٥/ ٢٦٦)، وقال الحاكم رحمه الله تعالى: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه».

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «أبو سلمة، لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة».

وترجم له في الميزان: (٦/ ٣٨٧)، فقال: «والحق أنه مجهول الحال، وابن حبان =

. . . .

---

[٣٦] وذلك «أنّ صفات الله عزّ وجلّ من الأمور الغيبية، والواجب على الإنسان نحو الأمور الغيبية، أن يؤمن بها على ما جاءت، دون أن يرجع إلى شيء سوى النصوص»(١).

وهذا راجع إلى أنّ العقل مخلوق من مخلوقات الله تعالى، شأنه كشأنها، له قدراته المحدودة، وخصائصه الثابتة، فكما أنّه لا يمكن للعين أن تبصر ما يبعد عنها مسافات بعيدة، ولا يمكن للأذن أن تسمع ما يدور بين المتناجيين، ولا يمكن لليد أن تحمل ما لا تطيق، فكذلك لا يمكن، بل ولا يطلب من العقل أن يدرك ما لا يمكنه.

فدور العقل في العقيدة السلفية، هو دور الرضا والتسليم لنصوص الكتاب

= يذكر أمثاله في الثقات، ويحتج به في الصحيح، إذا كان ما رواه ليس بمنكر».
وردّه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى بصنيع أهل الحديث في احتجاجهم بتوثيق ابن حبان للراوي، إذا لم يكن مجروحاً بشيء ثابت، لا سيما وأنّ البخاري ترجم له في الكنى: [٣٤١]، ولم يذكر فيه جرحاً. وقد رجح رحمه الله تعالى سماع عبد الرحمٰن من أبيه، فزال بذلك احتمال الإرسال.
وهذا الذي رجحه الشيخ أبو الأشبال رحمه الله تعالى، هو الذي جزم به الشيخ الألباني رحمة الله عليه، مؤكداً أنّ الحديث على شرط مسلم، وذكر أسماء جماعة من الأئمة ممّن شهدوا بسماع عبد الرحمٰن من أبيه. انظر السلسلة الصحيحة: (١٩٨)، والمسند شرح العلامة أحمد شاكر رحمه الله تعالى: (٣٦٩٠).
وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعريﷺ، عند ابن السني في العمل والليلة: (٣٤٣)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «وجملة القول، أن الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده، فكيف إذا انظّم إليه حديث أبي موسىﷺ، وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه البار ابن القيّم رحمهما الله تعالى».اهـ. انظر السلسلة الصحيحة، القسم الأول من الجزء الأول: (١/ ١/ ٣٨٧).

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ٧٤).

....

والسنّة، والتفكر يكون في مخلوقات الله تعالى، وما يستدل به على وحدانية الله عزّ وجلّ، وعلمه وقدرته وحكمته، والبعث والنشور، فالبحث العقلي ليس مذموماً على الإطلاق.

وأمّا أن يقحم الإنسان عقله في مجالات الغيب، وذات الله تبارك وتعالى، وصفاته وأسمائه وأفعاله، فهذا انزلاق خطير، بل هو إهانة للعقل نفسه.

وقد ميّز الله سبحانه وتعالى الإنسان، بأن منحه العقل الذي يستطيع أن يعرف به ربّه، ويميّز بين ما ينفعه وما يضرّه، ومن رحمته تعالى بعباده، أنّه لم يكلهم إلى العقل وحده في معرفة الخير والشر، فإنّه لا يستطيع الاستقلال بنفسه في معرفة طريق الخير، بل أرسل الرسل عليهم الصلاة والسّلام، وأنزل عليهم الكتب، تشمل على أوامر الله تعالى ونواهيه التي فيها سعادتهم، وتعرّف إلى عباده بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله عليهم الصلاة والسّلام.

فالعقل الموفق، هو العقل الذي يدعو صاحبه إلى موافقة أمر ربّه تعالى المفترض عليه، والطاعة والانقياد لحكمه، والتسليم لما جاء من وصف لذاته[١].

فـ «كل من تعرّض لمعرفة الذات العلية بعقله، فقد تعرّض لأمر يعجز عنه، ولا يمكنه بلوغ الأرب منه، والمرء إذا عجز عن معرفة كنه نفسه، بل عن اكتناه أبسط الأشياء لديه، فعن اكتناه الحقّ تعالى بالأولى»[٢].

قال قوّام السنّة الأصبهاني رحمه الله تعالى:

«. . . واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة، هو مسألة العقل، فإنّهم أسسوا دينهم على العقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول.

وأمّا أهل السنّة، قالوا: الأصل في الدين الاتّباع، والمعقول تبعاً، ولو كان

---

(١) اقتباس ما مقدمة دلائل التوحيد.

(٢) دلائل التوحيد، لعلامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٢٧٥).

. . . .

أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئاً حتّى يعقلوا، ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين، من ذكر صفات الله، وما تعبّد الناس به من اعتقاد، وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ، من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار، وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا تدرك حقائقها بعقولنا، وإنّما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين وعقلناه وفهمناه، فللّه الحمد في ذلك والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكننا إدراكه وفهمه، ولم تبلغه عقولنا، آمنّا به وصدّقناه، واعتقدنا أنّ هذا من قِبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، وقال الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]. . .

ثمّ نقول لهذا القائل الذي يقول بني ديننا على العقل وأمرنا باتّباعه، أخبرنا إذا أتاك أمر من الله يخالف عقلك، فأيّهما تأخذ، بالذي تعقل، أو بالذي تؤمر؟ فإن قال بالذي أعقل، فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام، وإن قال آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله. . . وهذا معنى قول القائل من أهل السنّة: «إنّ الإسلام قنطرة لا تعبر إلاّ بالتسليم»، فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفّانا على ملّة رسول الله ﷺ، بمنّه وكرمه. . .»[1]. اهـ.

وبهذا تعلم أخي المسلم أنّ «طريق أهل السنّة: أن لا يعدلوا عن النّص الصحيح، ولا يعارضوا بمعقول»[2].

الحجّة في بيان المحجّة: (١/ ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩).

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٥٠٠)، وراجع: (١/ ٢٣١)، وما بعدها.

[٣٧] فمن صفاته تعالى: الحياة، لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

---

[٣٧] سبق معنا أنّ صفات الله تعالى ثبوتية وسلبية، أو مثبتة ومنفية، فالثبوتية، هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان عبده ورسوله ﷺ.

والصفات السلبية، هي ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه، أو على لسان نبيّه ﷺ.

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنّ الصفات الثبوتية الواردة في الكتاب والسنّة قسمان، ذاتية وفعلية، «فالذاتية نوعان: معنوية وخبرية.

فالمعنوية، وهي التي دلّت على معنى، مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، وغيرها.

والخبرية، مثل: اليدين، والوجه، والعينين، وغيرها، وسمّيت صفات ذاتية لأنّها ملازمة للذّات لا تنفكّ عنها.

وأمّا الصفات الفعلية، فهي الصفات المتعلقة بمشيئة، وهي نوعان: صفات لها سبب معلوم، كالرضى وغيرها، وصفات ليس لها سبب ومعلوم، كالنزول وغيره.

ومن الصفات ما هو صفة ذاتية وفعلية باعتبارين، فالكلام صفة فعلية باعتبار آحاده، لكن باعتبار أصله صفة ذاتية، لأنّ الله لم يزل ولا يزال متكلّماً، لكنّه يتكلّم بما شاء متى شاء.

وسمّيت صفات فعلية، لأنّها من فعله سبحانه وتعالى...»[1].

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٧٨، ٧٩)، للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى، وراجع «القواعد المثلى» له: (ص: ٢١ ـ ٢٥)، وشرح العقيدة الطحاوية: (ص: ٦٨ طبعة الألباني)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٥/ ٥١٨)، (٦/ ٦٨، ٧٥، ٧٧، ١١٤، ٢١٧، ٢٣٧...).

. . . .

وقد بدأ المصنف رحمه الله تعالى في الكلام على بعض الصفات المعنوية، ثمّ أشار إلى بعض الصفات الفعلية، كالاستواء والنزول، ولم يرد رحمه الله تعالى حصر هذه الصفات الفعلية، وإنّما أراد التمثيل.

فمن صفاته تبارك وتعالى «الحياة، التي بان بها من الأموات، والقدرة التي أبدع بها الأجناس والذوات، والعلم الذي أحكم به جميع الموضوعات، والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات، والكلام الذي باين فيه أهل السكوت والخرس وذوي الآفات، والبقاء الذي سبق المكونات، وباين معه جميع الفانيات»[١].

فمن مستلزمات الذات المقدسة: الحياة، فالله تعالى حيّ لا يموت أبداً، فهو الدائم الباقي السرمدي الأبديّ، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:

«فهو الحيّ، أي ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال، لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه...»[٢]. اهـ.

فالله سبحانه وتعالى حيّ قيّوم، حيّ بحياة باقية، لا يشبه الحيّ بحياة زائلة، فصفة الحياة الباقية، مختصّة به تعالى دون خلقه، فإنّهم يموتون.

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنّ هذين الاسمين، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، «فيهما الكمال الذاتي، والكمال السلطاني، فالذاتي في قوله: ﴿ٱلْحَىُّ﴾،

---

(١) من كلام الإمام أبي عمرو الداني رحمه الله تعالى، انظر الرسالة الوافية: (ص: ٤٧)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٨٩)، والعقيدة في الله للشيخ عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى: (ص: ١٨٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ١٦٥).

. . . .

والسلطاني في قوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾، لأنّه يقوم على كلّ شيء، ويقوم به كلّ شيء»[1].

وعليهما «مدار الأسماء الحسنى كلّها، وإليهما يرجع معانيها، فإنّ الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا تتخلّف عنها صفة منها إلاّ لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمّها، استلزم إثباتها إثبات كلّ كمال يضادّ نفيه كمال الحياة.

وأمّا القيّوم، فهو متضمّن كمال غناه وكمال قدرته، فإنّه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلاّ بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتمّ انتظام»[2].

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٦٧).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٩١، ٩٢).

[٣٨] ومن صفاته تعالى: القدرة على إيجاد كلّ ممكن وإعدامه[١]، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

---

[٣٨] إنّ من صفات الله تعالى القدرة، فهو القادر ذو القوّة الذي لا يعجزه شيء، كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذريات: ٥٨]، وقال أهل التفسير، أنّ المعنى في وصفه تعالى بالقوة، أنّه القادر البليغ الاقتدار على كلّ شيء[٢].

وعن جابر رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه الاستخارة في الأمور كلّها، كما يعلّم السورة من القرآن، يقول: «**إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من دون الفريضة، ثمّ ليقل: اللهمّ إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب...**» الحديث[٣].

قال الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله تعالى:

«وأمّا أهل السنّة، فعندهم أنّ الله على كلّ شيء قدير، وكلّ ممكن فهو مندرج في هذا... وهذا الأصل، هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنّه لا يؤمن بأنّه ربّ كلّ شيء، إلاّ من آمن بأنّه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها، إلاّ من آمن بأنّه على كلّ شيء قدير...»[٤]. اهـ.

---

(١) في (ح) «لو إعدامه».

(٢) راجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٤٠).

(٣) أخرجه البخاري: (١١٦٢ ـ ٦٣٨٢ ـ ٧٣٩٠)، والترمذي في الصلاة، باب: في صلاة الاستخارة، وأبو داود: في الصلاة، باب: في الاستخارة، وابن ماجة: (١٣٨٣)، وأحمد: (٣/ ٣٤٤).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١١٧).

. . . .

فـ«القوّة من صفات الذات، وهي بمعنى القدرة، ولم يزل سبحانه وتعالى ذا قوة وقدرة، ولم تزل قدرته موجودة قائمة به، موبجة له حكم القادرين، والمتين بمعنى القويّ، وهو في اللغة: الثابت الصحيح.

وقال البيهقي: القويّ: التام القدرة، لا ينسب إليه عجز في حالة من الأحوال، ويرجع معناه إلى القدرة، والقادر هو الذي له القدرة الشاملة، والقدرة صفة قائمة بذاته، والمقتدر: هو التام القدرة، الذي لا يمتنع عليه شيء»[1].

فائدة:

قال العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى رحمة واسعة في تعليقه على العقيدة الطحاوية:

«قال الشيخ ابن مانع رحمه الله: يجيء في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير، وليس ذلك بصواب، بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنّة: وهو على كلّ شيء قدير، لعموم مشيئته وقدرته تعالى، خلافاً لأهل الاعتزال، الذين يقولون: إنّ الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصي، بل وقعت من العبد بإرادته، لا بإرادة الله. . .»[2]، تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٤١).

(٢) العقيدة الطحاوية: شرح وتعليق: (ص: ٣٥).

[٣٩] ومن صفاته تعالى: الإرادة والمشيئة المطلقة في جميع الممكنات، فيخصص ما شاء بما شاء.

لقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

---

[٣٩] إنّ صفة الإرادة والمشيئة من مقتضيات ربوبيته سبحانه وتعالى، فـ «مهما أراد فعله، لا معقّب لحكمه، ولا يسأل عمّا يفعل، لعظمته وقدرته وحكمته وعدله»(١).

وعن أبي هريرةﷺ، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**لا يقل أحد: اللهمّ اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنّه يفعل ما يشاء لا مكره له**»(٢).

وعن عبادة بن الصامتﷺ، قال: «**بايعت رسول الله ﷺ في رهط، فقال: أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترينه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن رضي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا، فهو كفّارة وطهور، ومن ستره الله، فذلك إلى الله، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له**»(٣).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/ ٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٤٤٩ ـ ٧٤٧٧)، ومسلم في الذكر والدعاء والدعوة والاستغفار، باب: العزم في الدعاء، ولا يقل إن شئت (٢٦٧٩)، والبغوي في شرح السنة: (١٣٩١ ـ ١٣٩٢)، وله شاهد من حديث أنس عند مسلم: (٢٦٧٨).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «ومعنى الأمر بالعزم: الجدّ فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه، ولا يعلق ذلك بمشيئة الله، وإن كان مأموراً في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى، وقيل: معنى العزم: أن يحسن الظنّ بالله في الإجابة...»اهـ. فتح الباري: (١١/ ١٦٨).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٨٠١ ـ ٧٤٦٨).

. . . .

وهذه هي عقيدة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسّلام، أنّ ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج شيء عن إرادته ومشيئته تعالى.

قال الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى:

«فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أنّ هذه طريقة الأنبياء عليهم السلام، وبذلك تعبّدهم الله، وأخبر به عنهم في كتابه، أنّ المشيئة لله وحده، ليس أحد يشاء لنفسه شيئاً من خير أو شرّ، ونفع وضرّ، وطاعة ومعصية، إلاّ أن يشاء الله، وبالتبرّي إليه من مشيئتهم ومن حولهم وقوتهم ومن استطاعتهم[1]، وبذلك أخبر عن نوح عليه السلام حين قال له قومه: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فقال نوح عليه السلام مجيباً لهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٢ ـ ٣٤]. . .»[2]. اهـ.

وقال الإمام الطحّاوي رحمه الله تعالى في عقيدته السلفية:

«كلّ شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلاّ ما شاء الله لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن»[3].

«يعني أنّ مشيئته تعالى وإرادته، شاملة لكلّ ما يقع في هذا الكون، من خير أو شرّ، وهدى أو ضلال، والآيات الدّالة على ذلك كثيرة معروفة. . . والمقصود بهذه الفقرة الردّ على المعتزلة النافين لعموم مشيئته تعالى.

---

(١) أي أنّ الله تعالى تعبّد الأنبياء كذلك بأن يتبرأوا من مشيئتهم ومن حولهم ومن قوتهم ومن استطاعتهم.

(٢) كتاب الإبانة، قسم القدر: (١/ ٢٨٧).

(٣) انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق، للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٣٦، ٣٧).

. . . .

لكن يجب أن يعلم أنّه لا يلزم من ذلك أنّ الله يحب كلّ ما يقع، فالحبّ غير الإرادة، وإلاّ كان لا فرق عند الله تعالى بين الطائع والعاصي، وهذا ما صرّح به بعض كبار القائلين بوحدة الوجود، من أنّ كلاّ من الطائع والعاصي، مطيع لله في إرادته! ومذهب السلف والفقهاء وأكثر المثبتين للقدر من أهل السنّة وغيرهم، على التفريق بين الإرادة والمحبّة»[1].

ونقل الإمام البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان أنّ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال:

«المشيئة إرادة الله، وقد أعلم الله خلقه أنّ المشيئة له دونهم، فقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، فليست للخلق مشيئة إلاّ أن يشاء الله»[2]. اهـ.

وذلك أنّ الله تعالى خالق أفعال العباد[3]، فلا يفعلون إلاّ ما يشاء، وهذا أصل قامت عليه البراهين.

قال الإمام ابن بطّال رحمه الله تعالى:

«هذه المسألة مبنية على القول بأنّه سبحانه خالق أفعال العباد، وأنّهم لا يفعلون إلاّ ما يشاء، وقد دلّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وغيرها من الآيات، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ثمّ أكّد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فدلّ على أنّه فعل اقتتالهم الواقع منهم لكونه مريداً له، وإذا كان هو الفاعل لاقتتالهم فهو المريد

---

(١) المرجع السابق، وراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (٨/٥٨، ٦١...)، وشفاء العليل لابن القيّم رحمه الله تعالى: (ص: ٤٧، ٤٨)، وفتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٥٥٠)، وشرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٧٩).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/٥٤٨).

(٣) وستأتي هذه المسألة بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

. . . .

لمشيئتهم والفاعل، فثبت بهذه الآية أنّ اكتساب العباد إنّما هو بمشيئة الله وإرادته، ولو لم يرد وقوعه ما وقع»[1].اهـ.

هذا... وإنّ الإرادة الواردة في كتاب الله تعالى نوعان: «إرادة دينية شرعية، وإرادة كونية قدرية.

فالأوّل كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٥٤٩، ٥٥٠)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى في معرض ردّه على المعتزلة: «...وأمّا قوله في الأنعام: «سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا» [١٤٨]، فقد تمسك بها المعتزلة، وقالوا إنّ فيها رد على أهل السنة، والجواب: أنّ أهل السنة تمسكوا بأصل قامت عليه البراهين، وهو أنّ الله خالق كلّ مخلوق ويستحيل أن يخلق المخلوق شيئاً، والإرادة شرط في الخلق، ويستحيل ثبوت المشروط بدون شرطه، فلمّا عاند المشركون المعقول، وكذّبوا المنقول الذي جاءتهم به الرسل، وألزموا الحجة بذلك، تمسكوا بالمشيئة والقدر السابق، وهي حجة مردودة، لأنّ القدر لا تبطل به الشريعة، وجريان الأحكام على العباد بأكسابهم، فمن قدّر عليه بالمعصية كان ذلك علامة على أنه قدّر عليه العقاب إلا أن يشاء أن يغفر له من غير المشركين، ومن قدّر عليه بالطّاعة كان ذلك علامة على أنه قدّر عليه بالثواب.
وحرف المسألة أنّ المعتزلة قاسوا الخالق على المخلوق وهو باطل، لأنّ المخلوق لو عاقب من يطيعه من أتباعه عدّ ظالماً، لكونه ليس مالكاً له للحقيقة، والخالق لو عذب من يطيعه لم يعدّ ظالماً؛ لأنّ الجميع ملكه، فله الأمر كله يفعل ما يشاء ولا يسأل عمّا يفعل.
وقال الراغب: يدلّ على أنّ الأمور كلها موقوفة على مشيئة الله، وأنّ أفعال العباد متعلقة بها وموقوفة عليها، ما اجتمع الناس على تعليق الاستثناء به في جميع الأحوال...».اهـ فتح الباري: (١٣/ ٥٤٩).

. . . .

فإنّ الإرادة هنا بمعنى المحبّة والرضى، وهي الإرادة الدينية، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأمّا الإرادة الكونية القدرية، فمثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الكائنات في هذه الإرادة والإشاءة لا يخرج عنها خير ولا شرّ، ولا عرف ولا نكر، وهذه الإرادة والإشاءة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي، وأمّا الإرادة الدينية فهي مطابقة للأمر الشرعي لا يختلفان. . .»[١].

«فصار الفرق بين الإرادتين من وجهين:

١ ـ الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم.

٢ ـ الإرادة الشرعية تختص فيما يحبّ الله، والكونية عامة فيما يحبّه وفيما لا يحبّه. . .»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (١٨/ ٧٧، ٧٨)، وانظر شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٢٢٢، ٢٢٣)، وشرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٧٩). وقال الحافظ ابن حجر: «وقال بعضهم الإرادة على قسمين: إرادة أمر وتشريع، وإرادة قضاء وتقدير، فالأولى تتعلق بالطاعة والمعصية سواء وقعت أم لا، والثانية شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية. . .»اهـ. فتح الباري: (١٣/ ٥٥٠).

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ٢٢٣)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١١٠)، لتقف على المعاني المستنبطة من قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

[٤٠] ومن صفاته تعالى: العلم الذي تنكشف له جميع المعلومات، من الواجبات والجائزات والمستحيلات، فيعلمها على ما هي عليه من الحالات، وتستوي عنده الجليات والخفيات، لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: ٣٨].

---

[٤٠] إنّ الله تبارك وتعالى هو العالم الذي أحاط بكلّ شيء علمه، وهو سبحانه وتعالى عليم بعلم مضاف إليه من صفات الذّات، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النّساء: ١٦٦]، وقال سبحانه: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

قال ابن بطّال رحمه الله تعالى: «في هذه الآيات إثبات علم الله تعالى، وهو من صفات ذاته، خلافاً لمن قال إنّه عالم بلا علم»[١].اهـ.

«فأعلمنا الله أنّه أنزل القرآن بعلمه، وخبّرنا جلّ ثناؤه أنّ الأنثى لا تحمل ولا تضع إلاّ بعلمه[٢]، فأضاف الله جلّ وعلا إلى نفسه العلم الذي خبّرنا أنّه أنزل القرآن بعلمه. . .»[٣].

وفي حديث الاستخارة قالﷺ: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك... وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب...**» الحديث.

والله «يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وإن كان يعلم أنّهم لا يردّون، ولكن أخبر أنّهم لو ردّوا لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ

---

(١) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٤٣).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصّلت: ٤٧].

(٣) كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (١/ ٢٢).

. . . .

ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]، وفي ذلك ردّ على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنّه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده، وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان، إن شاء الله تعالى»[1].

ثمّ إنّ الله تعالى موصوف بأنّه بكلّ شيء عليم أزلاً وأبداً لم يتقدّم علمه بالأشياء جهالة، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

فقد ثبت بدليل النقل والعقل أنّ الله تعالى موصوف بالعلم، فأمّا الدليل النقلي ما تقدم من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

وأمّا «الدليل العقلي على علمه تعالى: أنّه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، ولأنّ إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصوّر المراد، وتصوّر المراد هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

ولأنّ المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأنّ الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم، ولأنّ من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً. وهذا له طريقان:

أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أنّ الخالق أكمل من المخلوق... ونعلم ضرورة أنّا لو فرضنا شيئين، أحدهما عالم والآخر غير عالم، كان العالم أكمل، فلو لم يكن الخالق عالماً، لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٣٢)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى في حديث ابن مسعود ﷺ: «حدثنا الصادق المصدوق...» الحديث، قال: «وفيه أنّ الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص المفصلة...»اهـ. فتح الباري: (١١/ ٥٩٧).

. . . .

الثاني: أن يقال كلّ علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه، بل هو أحقّ به، والله تعالى له المثل الأعلى، لا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيل ولا في قياس شمول، بل كلّ ما ثبت للمخلوق من كمال، فالخالق به أحقّ، وكلّ نقص تنزّه عنه مخلوق ما، فتنزيه الخالق عنه أولى...»[1].

ومن نفى علم الله تعالى المطلق وفق القواعد السابقة الذكر، شمله قول الله تعالى لأهل الشقاء: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصّلت: ٢٢].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منّا الذي كنتم تفعلونه، بل كنتم تجاهرون بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم، لأنّكم كنتم لا تعتقدون أنّه يعلم جميع أفعالكم، ولهذا قال

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٢٥، ١٢٦).

وقياس التمثيل هو: قياس يستوي فيه الأصل والفرع، وقياس الشمول، هو قياس يستوي فيه جميع أفراده. وإنما يستعمل قياس الأولى، فكلّ كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكلّ عيب ونقص نفي عن المخلوقات، فيجب نفيه عن الله تعالى بطريق الأولى.

فقد «اتفق أهل السنة على أنّ القياس لا يجري في التوحيد، إن أدّى إلى البدعة والإلحاد وتشبيه الخالق بالمخلوق، وتعطيل أسماء الله وصفاته وأفعاله، وإنما يصح القياس في باب التوحيد إذا استدلّ به على معرفة الصانع وتوحيده، ويستخدم في ذلك قياس الأولى، لئلا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، ولئلا يتماثلان أيضاً في شيء من الأشياء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]». انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، للشيخ محمد بن حسين بن حسن الجيزاني: (ص: ١٨٩)، وراجع غير ملزم تسهيل المنطق، للشيخ عبد الكريم بن مراد الأثري: (ص: ٤٨، ٥٥).

. . . .

تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢ ـ ٢٣]، أي هذا الظن الفاسد، وهو اعتقادكم أنّ الله تعالى لا يعلم كثيراً ممّا تعملون، هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم...»[1]. اهـ.

فهؤلاء الأشقياء ـ نعوذ بالله من حالهم ـ، قادهم ظنّهم بالله تعالى بأنّه لا يعلم أعمالهم إلى جهنّم وبئس المصير، وأمّا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيقولون: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

(١) انظر التفسير: (٤/٨٦).

[٤١] ومن صفاته تعالى: السمع الذي تنكشف به جميع المسموعات.

ومن صفاته تعالى: البصر الذي تنكشف به جميع المبصرات.

لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

ولحديث أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: «**كنا مع النَّبيّ ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبّرنا، فقال: اربعوا[1] على أنفسكم فإنّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً**»، رواه البخاري[2].

---

[٤١] قال الإمام قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى: «أهل السنة يعتقدون أنّ الله وحده لا شريك له، ولا مثيل له، وأنّه لم يزل متصفاً بصفاته الحسنى، وأنّه سميع بسمع، بصير ببصر، عليم بعلم، متكلّم بكلام»[3]. اهـ.

«وقد أعلمنا ربّنا الخالق الباري أنّه يسمع قول من كذب على الله، وزعم أنّ الله فقير، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران: ١٨١]، فكذبهم الله في مقالتهم تلك، فردّ الله ذلك عليهم، وخبّر أنّه الغنيّ وهم الفقراء، وأعلم عباده المؤمنين أنّه السميع البصير.

---

(١) في (ح) «ارباوا» ولعله خطأ في الطبع.

(٢) (٢٩٩٣ ـ ٢٩٩٤ ـ ٤٢٠٢ ـ ٦٣٨٤ ـ ٦٤٠٩)، ومسلم: (١٧/ ٢٥، ٢٦، ٢٧ نووي)، وأبو داود: (١٥٢٦ ـ ١٥٢٧)، والترمذي: (٣٥٢٨ تحفة)، وأحمد: (٤/ ٣٩٤، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٧، ٤١٨).
وقوله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم»، أي ارفقوا بها، ويقال: اربع على نفسك، أي انتظر. ويقال معناه: امسكوا عن الجهر، وقفوا عنه، يقال: ربّع الرجل بالمكان، إذا وقف عن السير وأقام. انظر شرح السنة للبغوي: (٥/ ٦٧).

(٣) الحجة في بيان المحجة: (٢/ ٤٣٣)، ومثله قول الإمام الحجة إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى: «إنّ الله سميع بسمع، بصير ببصر، قادر بقدرة»، انظر شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي رحمه الله تعالى: (٣/ ٤٥٠).

. . . .

فكذلك خبّر المؤمنين أنّه قد سمع قول المجادِلة تحاور النّبيّ ﷺ والمجادَلة، وخبّرت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، أنّه يخفى عليها بعض كلام المجادلة مع قربها منها، فسبّحت خالقها الذي وسع سمعه الأصوات، وقالت: «سبحان من وسع سمعه الأصوات»[١].

فسمع الله جلّ وعلا كلام المجادلة، وهو فوق سبع سموات، مستو على عرشه، وقد خفي بعض كلامها على من حضرها وقرب منها. . .»[٢].

وهذا ولله الحمد والمنّة قول أهل السنّة قاطبة، لا يعرف فيه مخالف.

قال ابن بطّال رحمه الله تعالى معلّقاً على كلام أمّنا عائشة رضي الله عنها السابق:

«غرض البخاري في هذا الباب: الردّ على من قال إنّ معنى «سميع بصير» علم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أنّ السماء خضراء ولا يراها، والأصمّ الذي يعلم أنّ في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ولا شكّ أنّ من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممّن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصحّ أنّ كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً، وكونه سميعاً بصيراً يتضمن

---

(١) ذكره البخاري رحمه الله تعالى تعليقاً في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: «وكان الله سميعاً بصيراً»، عن الأعمش، عن تميم، عن عروة، عن عائشة، قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات».

قال الحافظ رحمه الله تعالى عن تميم هذا: «هو ابن سلمة الكوفي، تابعي صغير، وثقه يحيىٰ بن معين، ووصل حديثه المذكور أحمد والنسائي وابن ماجة باللفظ المذكور، وأخرجه ابن ماجة أيضاً من رواية أبي عبيدة بن معن، عن الأعمش بلفظ: «تبارك»، وسياقه أتمّ. . . قال ابن التين: قول البخاري: «قال الأعمش مرسل»، لأنه لم يلقه، قال الشيخ أبو الحسن: ولهذا لم يذكره في تفسير سورة المجادلة»اهـ، وتسمية هذا مرسلاً مخالف للاصطلاح، والتعليل ليس بمستقيم، فإنّ في الصحيح عدّة أحاديث معلقة لم تذكر في تفسير الآية التي تتعلق بها. . .». فتح الباري: (١٣/ ٤٥٧).

(٢) انظر كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (١/ ١٠٧).

. . . .

أنّه يسمع بسمع، ويبصر ببصر، كما تضمّن كونه عليماً أنّه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيراً، وبين كونه ذا سمع وبصر، قال: وهذا قول أهل السنة قاطبة. . .»[1]. اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«السميع من له سمع يدرك به المسموعات، والبصير من له بصر يدرك به المرئيات، وكلّ منهما في حقّ الباري صفة قائمة بذاته. . .»[2]. اهـ.

وهذا ما يؤكده حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ: **«أنّه قرأ قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النّساء: ٥٨]، **فوضع إصبعه الدعاء وإبهامه على عينيه وأذنه»**[3].

قال الإمام اللالكائي معلّقاً على الحديث المتضمن لإشارته ﷺ: «يعني سميع بسمع، بصير ببصر. . .»[4]. اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«أراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٥٦).

(٢) نقلاً عن المرجع نفسه.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في الجهمية (٤٧٢٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد: (١/ ٩٧، ٩٨)، قال الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: «وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه»، انظر شرح اعتقاد أهل السنة: (٣/ ٤٥٥)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم» فتح الباري: (١٣/ ٤٥٦).

(٤) انظر اعتقاد أهل السنة والجماعة: (٣/ ٥٤١، ٥٤٢)، وراجع شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ٨٥).

. . . .

الإنسان، يريد أنّ له سمعاً وبصراً، لا أنّ المراد به العلم، فلو كان كذلك لأشار إلى القلب، لأنّه محل العلم، ولم يرد بذلك الجارحة، فإنّ الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين. . .»[1]. اهـ.

فـ «قد أثبت لنفسه أنّه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كلّ صفة لله جلّ وعلا وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيّه ﷺ، لجهلهم بالعلم.

وقال عزّ وجلّ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤]، فأعلم الله عزّ وجلّ أنّ من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

فبمعبود الجهمية عليهم لعائن الله كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر، والله قد ثبّت لنفسه أنّه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كلّ صفة لله وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيّه ﷺ لجهلهم بالعلم، وذلك أنّهم وجدوا

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٥٦)، وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات، واحذر أخي المسلم طبعة زاهد الكوثري، فقد دنسها بتأويلاته وتدليساته.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «. . .وقوله البصير، يعني المدرك لجميع المبصرات، ويطلق البصير بمعنى العليم، فالله سبحانه وتعالى بصير يرى كلّ شيء وإن خفي، وهو سبحانه بصير بمعنى: عليم بأفعال عباده، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]، والذي نعمل بعضه مرئي وبعضه غير مرئي، فبصر الله إذا ينقسم إلى قسمين، وكله داخل في قوله: البصير. . .». اهـ انظر شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٢٠٨).

. . . .

في القرآن أنّ الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه، فتوهّموا لجهلهم بالعلم أنّ من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه، قد شبّهه بخلقه. . .»[(١)].

قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى:

«وجدت الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه، فأعلم عباده المؤمنين أنّه سميع بصير، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وذكر عزّ وجلّ الإنسان فقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]. . .»[(٢)].

ونحن معشر أهل السنة نثبت وننزه، ونقول: «إنّ الله سميع بصير، كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا، ونقول: من له سمع وبصر من بني آدم، فهو سميع بصير، ولا نقول أنّ هذا تشبيه المخلوق بالخالق. . .»[(٣)].

فوائد:

الفائدة الأولى:

قال العلاّمة الشيخ العثيمين رحمة الله عليه:

«السميع له معنيان، أحدهما بمعنى المجيب، والثاني بمعنى السامع للصوت.

أمّا السميع بمعنى المجيب، فمثّلوا له بقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، أي لمجيب الدعاء.

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله تعالى: (١/ ٥٨).

(٢) المرجع نفسه: (١/ ٥٩).

(٣) المرجع نفسه.

. . . .

وأمّا السمع بمعنى إدراك الصوت، فإنّهم قسّموه إلى عدّة أقسام:

الأوّل: سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله عزّ وجلّ، وأنّه ما من صوت إلاّ ويسمعه الله.

الثاني: سمع يراد به النّصر والتأييد.

والثالث: سمع يراد به الوعيد والتهديد.

مثال الأوّل: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، فهذا فيه بيان إحاطة سمع الله تعالى بكلّ مسموع...

ومثال الثاني: كما في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

ومثال الثالث، الذي يراد به التهديد والوعيد، قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، فإنّ هذا يراد به تهديدهم ووعيدهم، حيث كانوا يسرون ما لا يرضى من القول.

والسمع بمعنى إدراك المسموع من الصفات الذاتية، وإن كان المسموع قد يكون محدثاً.

والسمع بمعنى النّصر والتأييد من الصفات الفعلية، لأنّه مقرون بسبب.

والسمع بمعنى الإجابة من الصفات الفعلية أيضاً...»[١].

الفائدة الثانية:

قال الإمام ابن بطّال رحمه الله تعالى:

«في هذا الحديث[٢] نفي الآفة المانعة من السمع، والآفة المانعة من النّظر،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية: (١/٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨)، وانظر: (١/٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) أي حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى تحت هذا الباب.

. . . .

وإثبات كونه سميعاً بصيراً قريباً، يستلزم أن لا تصحّ أضداد هذه الصفات عليه»[(١)]. اهـ.

الفائدة الثالثة:

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:

«أمّا الرؤية فنستفيد من الإيمان بها: الخوف والرجاء، الخوف عند المعصية، لأنّ الله يرانا، والرجاء عند الطاعة، لأنّ الله يرانا.

ولا شكّ أنّه سيثيبنا على هذا، فتقوى عزائمنا بطاعة الله، وتضعف إرادتنا لمعصيته.

وأمّا السمع، فالأمر فيه ظاهر، لأنّ الإنسان إذا آمن بسمع الله، استلزم إيمانه كمال مراقبة الله تعالى فيما يقول خوفاً ورجاء؛ خوفاً فلا يقول ما يسمع الله تعالى منه من السوء، ورجاء فيقول الكلام الذي يرضي الله عزّ وجلّ...»[(٢)].

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/٤٥٨)، وقوله ﷺ: «تدعون سميعاً بصيراً قريباً»، عنق الراحلة للراكب قريب جدا، فالله تعالى أقرب من هذا إلى الإنسان، ومع هذا فهو فوق سماواته على عرشه، ولا منافاة بين القرب والعلو، لأنّ الشيء قد يكون بعيداً قريباً، هذا بالنسبة للمخلوق، فكيف بالخالق؟! فالرب عزّ وجلّ قريب مع علوّه، أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته. انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (٢/ ٥٥، ٨٩ وما بعدها).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٣٣٠، ٣٣١).

[٤٢] ومن صفاته تعالى: الكلام، الذي يدل على جميع المعلومات، لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

---

[٤٢] من عقائد أهل السنة والجماعة، «أنّ الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحروف وصوت، لا يماثل أصوات المخلوقين»[(١)].

هذا هو «مذهب أهل الحق، وممّا اتّفق عله أهل التوحيد والصدق، أنّ الله لم يزل متكلماً بكلام مسموع مفهوم مكتوب، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، وقال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلاّ يكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان**»[(٢)]. . . الحديث.

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «**لمّا قتل عبد الله ـ يعني أباه ـ، قال رسول الله ﷺ: يا جابر! ألا أخبرك بما قال الله لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلّم أحداً إلاّ من وراء حجاب، وكلّم أباك كفاحاً...**»[(٣)] . . . »[(٤)].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الطويل، يقول رسول الله ﷺ: «**..ثمّ أعود الرابعة، فاحمده بتلك المحامد، ثمّ أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلاّ الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأخرجنّ منها من قال: لا إله إلاّ الله...**»[(٥)].

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري: (٧٤٤٣ ـ ٧٥١٢)، ومسلم: في الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة (١٠١٦)، والترمذي: (٢٤١٧)، وابن ماجة: (١٨٥)، والبغوي في شرح السنة: (٤٣٣١)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجة: (١٩٠ ـ ٢٨٠٠)، والترمذي: (٤٠٩٧)، وكفاحاً: مواجهة ليس بينهما حجاب، انظر النهاية: (٣/ ١٨٥).

(٤) انظر قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، للإمام العلامة صدّيق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ٦٩).

(٥) أخرجه البخاري: (٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، والبغوي في شرح السنة: (٤٣٣٤).

. . . .

و«الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين فمن بعدهم، جمّة كثيرة متظاهرة بتحقيق كلام الله وتثبيته. . .»[(١)].

«والوصف بالتكلّم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص.

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[(٢)] [الأعراف: ١٤٨]».

فثبت بنص الكتاب والسنة، أنّ من صفات الله تعالى الكلام، «وأنّه يتكلّم متى شاء إذا شاء، ولم يقع في معناه خلاف في عهد الصحابة ﷺ، ولم يظهر الكلام فيه وإنكاره إلاّ في أوائل القرن الثاني، أظهره الجعد بن درهم فيما أظهر من نفي صفات الباري عزّ وجلّ، وقد ترتب على هذا القول بدعة خلق القرآن، وهي من أعظم الفتن التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية. . . وهذه البدعة ـ أعني تعطيل الله عزّ وجلّ عن صفة الكلام، وأنّه لم يتكلّم عزّ وجلّ بالقرآن ولا بغيره ـ، لا شكّ أنّ ذلك من أعظم الكفر وأشنعه، إذ أنّهم فرّوا من تشبيه الله عزّ وجلّ ببعض خلقه إلى تشبيهه ببعض آخر، وهو الجماد، نعوذ بالله من خذلانه. . .»[(٣)].

وقال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى:

«فلا ينكر كلام الله عزّ وجلّ إلاّ من يريد إبطال ما أنزل الله عزّ وجلّ، وكيف يعجز عن الكلام من علّم العباد الكلام وأنطق الأنام. . .»[(٤)].اهـ.

---

(١) انظر الردّ على الجهمية للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله تعالى: (ص: ١٥٨).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٧٥)، وراجع الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٦٩).

(٣) هامش على كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة: (١/ ٣٢٨)، وانظر العقيدة السلفية في كلام ربّ البرية، للشيخ الجديع وفقه الله تعالى.

(٤) الرد على الجهمية: (ص: ١٥٥)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (١٢/ ٣٢).

. . . .

وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ رد على كلّ من ينكر كلام الله تعالى، فقد قال أئمتنا «هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة.

قال النّحّاس: أجمع النّحويّون على أنّ الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً، فإذا قال: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة التي تعقل...»[1].

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«وعلى العبد أن يعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى عظيم له عظمة، كبير له كبرياء، عزيز له عزّة، حيّ له حياة، باق له بقاء، عالم له علم، ومتكلّم وله كلام، قويّ له قوّة، وقادر وله قدرة، وسميع وله سمع، بصير له بصر...»[2]. اهـ.

تلك هي بعض الصفات الذاتية التي ذكرها المصنف الإمام ابن باديس رحمه الله تعالى، وهذه الصفات تدرك بالفكر والسمع.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

«أمّا الصفات السمعية العقلية ممّا تدرك بالفكر والرويّة، كالحياة والقدرة والخلق والوجود، ولذا سمّيت عقلية لإدراك العقل الصحيح لها، ولو لم يأت بها خبر، والخلاف فيها قليل...»[3]. اهـ.

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٥٨٥).

(٢) شرح السنة: (١/ ١٧٧).

(٣) التبصير في معالم الدين: (ص: ١٣٩)، وقال رحمه الله تعالى: «وذلك أنّ الذي ذكرنا قبل من صفاته، لا يعذر بالجهل به أحد بلغ حدّ التكليف، كان ممّن أتاه من الله تعالى ذكره رسول أم لم يأته رسول، عاين من الخلق غيره، أو لم يعاين أحداً سوى نفسه». (ص: ١٣٢).

(فصل)[1]

[٤٣] قال المصنف رحمه الله تعالى: «ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأنّ ظاهرها المتعارف في حقّنا غير مراد.

---

[٤٣] هذه بعض الصفات الفعلية التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى، ولم يرد الحصر كما هو ظاهر كلامه، وإنّما أراد التمثيل وذلك وفق المنهج الذي ذكره قبل، «نثبت ما أثبته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته».

---

(١) قال الأستاذ محمد الصالح رمضان: «قوله: ونثبت الاستواء والنزول... إلى قوله: غير مراد، قال: كان في الأصل بعد صفة الكلام... ومن غير استشهاد عليه بالآيات والأحاديث، فرأيت إثباته هنا تحت هذا العنوان ـ أي بعد قول المصنف: فهو الغني بذاته...، ثمّ تأتي بقية الصفات كما رتبها الأستاذ الإمام مستدلاً عليها بالآيات والأحاديث، وأرجو ألا يكون هذا من التحكم وسوء تصرف»اهـ.

قلت: لقد أحسن الأستاذ رمضان جزاه الله تعالى خيراً بصنيعه وترتيبه هذا، وقد ساق مع ذلك الأدلة على الاستواء والنزول في تعليقه على العقائد الإسلامية الذي هو أصل هذا الكتاب فبارك الله فيه، ولكنني رأيت أن أعيد هذه الفقرة إلى ترتيبها الأصلي كما وضعه الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، وذلك لحسن ترتيبها كذلك، فقد جاءت مباشرة بعد الصفات الذاتية العقلية، وعادة العلماء أن يقرنوا بين الصفات في التأليف، ويظهر بوضوح مخالفة المصنف للأشاعرة الذين ينفون الصفات إلا السبع المشهورة. والله أعلم.

. . . .

فيكون إثبات النزول والاستواء على هذا المنهج، وكذا سائر الصفات الفعلية التي لم يذكرها المصنف رحمه الله تعالى، كالضحك والغضب، والإتيان والمجيء، وغيرها من الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان نبيّه ﷺ.

فأمّا صفة الاستواء، فقد «أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين، أنّ الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه»(١).

وقد أخبر الله عزّ وجلّ عن استوائه على عرشه في سبعة مواضع في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

وقال عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) من كلام الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى، انظر الإبانة، قسم الرد على الجهمية: (٣/ ١٣٦).

. . . .

ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

وأمّا الأحاديث عن رسول الله ﷺ، فمنها عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إنّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق، إنّ رحمت سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش**»(١).

وعنه رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فاغفر له**»(٢).

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى مفسّراً للحديث:

«وفيه دليل على أنّ الله عزّ وجلّ في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة»(٣).اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري: (٣١٩٤ ـ ٧٤٠٤ ـ ٧٤٢٢ ـ ٧٤٥٣ ـ ٧٥٥٣ ـ ٧٥٥٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، (٢٧٥١)، والترمذي: (٣٥٤٣)، وابن ماجة: (٤٢٩٥)، وأحمد: (٢/ ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٩٣، ٣٥٨، ٣٨١، ٣٩٧، ٤٣٣، ٤٦٦)، والبغوي في شرح السنة: (٤١٧٧ ـ ٤١٧٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (٢/ ٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: (١١٤٥)، ومسلم في الصحيح، في صلاة المسافرين، ومالك في الموطأ، باب: في القرآن: (٣٠).

(٣) التمهيد: (٧/ ١٢٩)، وانظر الرد على الجهمية للإمام الدارمي رحمه الله تعالى: (ص: ٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية للحافظ ابن القيّم رحمه الله تعالى: (ص: ٦٧).

ومن الأدلة على استواء الله تعالى على عرشه، حديث الإسراء والمعراج، فقد استدلّ به أئمة السنة على ذلك، وهو أوّل حديث ذكره الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى في كتابه العجاب، اجتماع الجيوش الإسلامية، وقال إنه متواتر، انظره: (ص: ٣٨)، وراجع قطف الثمر للإمام صديق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ١١٤)، والفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ١٧ ـ ٥١).

. . . .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى:

«قال أبو نصر السجزي في كتاب «الإبانة»: وأئمتنا، كسفيان، ومالك، والحمّادين، وابن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، متفقون على أنّ الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكلّ مكان، وأنّه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنّه يغضب، ويرضى، ويتكلّم بما شاء...»[1]. اهـ.

«وليس في كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من السلف، لا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا عن أئمة الدين، حرف واحد يخالف ذلك، ولم يقل أحد منهم إنّ الله ليس في السماء، أو أنّه ليس على العرش»[2].

واعلم أخي المسلم أنّ كون الله تعالى مستو على عرشه لا يعارض قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فإنّ الله عزّ وجلّ أراد إثبات علمه على خلقه، وأنّه معهم بعلمه، وهو مستو على عرشه.

يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مفسراً لهذه الآية:

«قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه، واطّلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١٧/٦٥٦)، وقد نقل الإجماع على عقيدة الاستواء الإمام الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى في كتابه «محجّة الواثقين، ومدرجة الوامقين»، انظر الفتوى الحموية الكبرى: (ص: ٦٣).

(٢) انظر قطف الثمر للإمام صديق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ٥٣)، وراجع أقوال السلف في ذلك «الفتوى الحموية الكبرى»: (ص: ٢٨ ـ ٤٣ وما بعدها)، وانظر أقوال الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، والأئمة، وأهل اللغة، والفلاسفة، والشعراء في علو الله تعالى، اجتماع الجيوش الإسلامية: (ص: ٤٩ وما بعدها).

. . . .

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾، أي من سرّ ثلاثة، ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾، أي مطّلع عليهم يسمع كلامهم وسرّهم ونجواهم، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله به وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أنّ المراد بهذه الآية معية علمه تعالى، ولا شكّ في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه محيط بهم وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه وتعالى مطّلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء، ثمّ قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم»[1]. اهـ.

فثبت أنّ المراد من الآية إثبات علم الله تعالى المطلق بخلقه، ولهذا قال إمام دار الهجرة، الإمام مالك رحمه الله تعالى: «الله في السماء وعلمه في كلّ مكان، لا يخلو منه شيء»[2].

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله تعالى:

«سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، فكان من مذهبهم: أنّ الله على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكلّ شيء علمه»[3]. اهـ.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٩٠).

(٢) إسناده صحيح، انظر الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٥٢)، وإثبات صفة العلو للمقدسي: (ص: ١٢٦)، والتمهيد لابن عبد البر: (٧/ ١٣٨)، والسير للذهبي: (٨/ ١٠١)، والشريعة للآجرّي؛ (ص: ٢٨٩)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام: (٥/ ٥٣).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٨٤)، وراجع مختصر العلو للإمام الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٢٠٤)، واعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (١/ ١٧٦).

. . . .

وقال الإمام الحجة إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى:

«إجماع أهل العلم أنّه تعالى على العرش استوى، ويعلم كلّ شيء في أسفل الأرض السابعة»[١].اهـ.

وقال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى:

«فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سماواته، بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلٰهه الذي يعبد، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد، ولا يبعد عنه شيء، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، سبحانه وتعالى عمّا يصفه المعطلون علواً كبيراً»[٢].اهـ.

ولهذا قال الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: (١١/ ٣٧٠)، وقد أورده في كتاب العلو، انظر المختصر: (ص: ١٩٤)، وقال رحمه الله تعالى معقباً على قول الإمام إسحاق بن راهويه: «اسمع ويحك إلى هذا الإمام، كيف نقل الإجماع على هذه المسألة الشريفة» مختصر العلو: (ص: ١٩٤)، وراجع اجتماع الجيوش الإسلامية: (ص: ٨٨).

وقول الإمام ابن راهويه: «ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة»، مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، فقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، أي سبعاً كذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين»، أخرجه البخاري: (٢٤٥٣ ـ ٣١٩٥)، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وفيه أن الأرضين السبع طباق كالسموات، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، خلافاً لمن قال إن المراد بقوله سبع أرضين سبعة أقاليم» فتح الباري: (٥/ ١٣٠)، وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند» انظر التفسير: (٤/٣٤٧)، وراجع البداية والنهاية: (١/ ٣١).

(٢) الرد على الجهمية: (ص: ٤٧).

. . . .

«نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنّه هاهنا، وأشار إلى الأرض»(١). اهـ.

قال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى معقباً على قول ابن المبارك:

«وممّا يحقّق قول ابن المبارك، قول رسول الله ﷺ للجارية: «**أين الله؟**»، يمتحن بذلك إيمانها، فقالت: «في السماء»، قال رسول الله ﷺ: «**أعتقها، فإنّها مؤمنة**»، والآثار في ذلك عن رسول الله ﷺ كثيرة، والحجج متظاهرة، والحمد لله على ذلك. . .»(٢). اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«والحجة لقول ابن المبارك رحمه الله، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، فلماذا يحفون حول العرش، إلاّ لأنّ الله عزّ وجلّ فوقه، ولو كان في كلّ مكان، لحلّقوا بالأمكنة كلّها لا بالعرش دونها، ففي هذا بيان بيّن للحدّ(٣)، وأنّ الله فوق العرش، والملائكة حوله حافّون يسبّحون ويقدّسونه، ويحمل عرشه بعضهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ

---

(١) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ١٨٦).

(٢) الرد على الجهمية للدارمي: (ص: ٤٧)، وحديث الجارية، أخرجه مسلم في صحيحه: (٥٣٧)، كتاب المساجد وموضع الصلاة فيها، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، وأبو داود: في الصلاة، باب: تشميت العاطس في الصلاة، والنسائي: (٣/ ١٤، ١٩)، وأحمد: (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، والبيهقي: (٧/ ٣٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة: (٤٨٩)، والدارمي في الرد على الجهمية: (ص: ٢١، ٢٢)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٣) أي جهة العلو، وإلا فقد قال الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى: «وهو على العرش بلا حد، كما استوى على العرش كيف شاء، المشيئة إليه والاستطاعة إليه: «ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير» انظر الإبانة، قسم الرد على الجهمية: (٢/ ٣٤)، وراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (٥/ ١٦٢، ١٦٣).

. . . .

وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧]. . .»[(١)].اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمة الله عليه:

«والمقصود أنّه تعالى وصف نفسه أيضاً بالمعية والقرب، والمعية معيتان: عامة وخاصة.

فالأولى: كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والثانية: كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النّحل: ١٢٨] وإلى غير ذلك من الآيات.

وأمّا القرب فهو كقوله: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقد افترق الناس في هذا المقام أربع فرق. . .».

فذكر رحمه الله تعالى بعض الفرق الضالة، ثمّ قال: «وأمّا القسم الرابع، فهم سلف الأمة وأئمتها، أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم، أثبتوا أنّ الله تعالى فوق سماواته، وأنّه على عرشه بائن من خلقه وهم منه بائنون، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وأيضاً قريب مجيب، ففي آية النجوى دليل على أنه عالم بهم.

وكان النّبيّ ﷺ يقول: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**»[(٢)]، فهو سبحانه مع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، ولا يلزم في هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم، كما قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾

---

(١) الرد على الجهمية: (ص: ٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره برقم (١٣٤٢)، والترمذي في الدعوات، باب: ما جاء ما يقول إذا ركب دابة، وأبو داود في الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا سافر، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

. . . .

[الفتح: ٢٩]، أي معه على الإيمان، لا أنّ ذاتهم في ذاته، بل هم مصاحبون له، وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، يدل على موافقتهم في الإيمان وموالاتهم، فالله تعالى عليم بعباده، وهو معهم أينما كانوا، وعلمه بهم من لوازم المعية... وفي القرآن: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف: ٨٠]، فإنّه يراد برؤيته وسمعه إثبات علمه بذلك...»[١]. اهـ.

والقاعدة والميزان في الاستواء وغيرها من الصفات، قول الإمام مالك رحمه الله تعالى رحمة واسعة: «الاستواء معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[٢].

وهو قول أهل السنة جميعاً، قال الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى معلقاً على قول الإمام مالك:

«وهو قول أهل السنة قاطبة، أنّ كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأنّ استواءه معلوم، كما أخبر به في كتابه، وأنّه كما يليق به لا نتعمّق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنّه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أنّ الله جلّ جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً

---

(١) مجموع الفتاوى: (٥/ ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣).

(٢) وهو قول لشيخه ربيعة الرأي، وانظر الرد على الجهمية من كتاب الإبانة للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى: (٣/ ١٦٤) رقم: (١٢١)، وصححه الألباني رحمه الله تعالى في مختصر العلو: (ص: ١٣٢)، قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك وأبي جعفر الترمذي، وأمّا أم سلمة فلا يصح» (ص/ ٨١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وقد روي عن أم سلمة موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» انظر مجموع الفتاوى: (٥/ ٣٦٥)، وقول الإمام مالك، أخرجه اللالكائي: (٣/ ٣٩٨).

. . . .

كبيراً...»[١]. اهـ.

وقال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى:

«وصدق مالك، لا يعقل منه كيف، ولا يجهل منه الاستواء، والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية...»[٢]. اهـ.

وقال الحسن رحمه الله تعالى:

«وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة، وأشدّه استعاباً، لأنّ فيه نبذ التكييف، وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتمّ أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه»[٣]. اهـ.

«وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنّا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دلّ عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء، ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول، ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة، ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك، ولا نعلم كيفية ذلك»[٤].

فـ «لا نحتاج في هذا الباب إلى قول أكثر من هذا، أن نؤمن به، وننفي الكيفية عنه ونتّق الشكّ فيه، ونوقن بأنّ ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ولا نتفكر في ذلك، ولا نسلط عليه الوهم والخاطر والوسواس، وتعلم حقاً يقيناً أنّ كلّ ما تصور في همك ووهمك من كيفية أو تشبيه، فالله سبحانه يخالفه وغيره.

---

(١) مختصر العلو: (ص: ١٤١، ١٤٢).

(٢) الرد على الجهمية: (ص: ٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٥/ ٣١٠).

(٤) انظر شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ٣٢)، وراجع مجموع الفتاوى: (٥/ ٢١٩).

. . . .

نقول: هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكلّ شيء»[(١)].

ولهذا «قال أهل السنة: الإيمان بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة»[(٢)].

ولأبي الخطّاب رحمه الله تعالى قصيدة في المعتقد[(٣)]، قول فيها:

قالوا أتزعم أن على العرش استوى ... قلت الصواب كذاك خبر سيدي

قالوا فما معنى استواه أبن لنا ... فأجبتهم هذا سؤال المعتدي

وعليه، «فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات، وصدّق هذا الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات، لزمه الإقرار بأنّ الله بكماله فوق عرشه، فوق سماواته»[(٤)].

---

(١) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى: (٢/ ١٠٩)، وقد ذكره من كلام الإمام يحيىٰ بن عمار رحمه الله تعالى، ويقول الإمام العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: «إنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا آية من سورة الفرقان، وهي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾، يتأملوا معها قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ فإن قوله في الفرقان: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، يدل دلالة واضحة أن الله الذي وصف نفسه بالاستواء خبير بما وصف به نفسه، لا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها، ويفهم منه الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير، نعم هو والله ليس بخبير»اهـ. انظر رسالته: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: (ص: ٢٦)، وراجع مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله تعالى: (١/ ٣٤)، ففيه كلاماً شبيهاً بكلام الشنقيطي.

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني رحمه الله تعالى: (٢/ ٢٧٣).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (١٩/ ٣٤٩)، وقوله: قالوا فما معنى استواه، أي سألوا عن كيفية الاستواء، وإلا فقد سبق قول الإمام مالك رحمه الله تعالى وغيره من السلف، أن المعنى معلوم والكيف مجهول.

(٤) الرد على الجهمية للإمام الدارمي رحمه الله تعالى: (ص: ٧٠).

. . . .

«ومن اعتقد أنّه ليس في السموات إله يعبد، ولا على العرش إله يصلّ له ويسجد، وأنّ محمداً لم يعرج به إلى ربّه، ولا نزل القرآن من عنده، فهو معطّل فرعوني، فإنّ فرعون كذّب موسى في أنَّ ربّه فوق السموات، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

ومحمدﷺ صدّق موسى، فأقرّ أنّ ربّه فوق السموات، فلمّا كان ليلة المعراج عرج به إلى الله، وفرض عليه ربّه خمسين صلاة، وذكر أنّه رجع إلى موسى، وأنّ موسى قال: ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف لأمّتك، وهذا الحديث في الصحاح[(١)]، فمن وافق فرعون، وخالف موسى ومحمداً فهو ضال، ومن مثّل الله بخلقه فهو ضال، ومن جحد شيئاً ما وصف الله به نفسه فهو كافر»[(٢)].

وقد صدق ونصح الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى عندما قال: «فقد وضح الحق في هذه المسألة بحمد الله تعالى من الحجج القاطعة من الآيات الباهرة، والأخبار المتواترة، وإجماع الصحابة، كما ذكروه في أشعارهم ومنثور كلامهم من قول أئمتهم وعامتهم وروايتهم للسنة في ذلك قائلين لها، مؤمنين بها، مصدّقين بما فيها، ولم ينكر ذلك منهم منكر، ولا اعترض منهم عليه معترض، ثمّ من بعدهم عصراً بعد عصر، حتّى قال الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم: هذا ما

---

(١) كما في حديث أنس بن مالكﷺ عند البخاري: (٣٢٠٧ ـ ٣٨٨٧)، ومسلم: (١٦٤)، والنسائي: (١/ ٢١٧)، وأحمد: (٤/ ٢٠٨، ٢١٠)، والطبراني في الكبير: (١٩/ ٥٩٩)، وابن حبان: (٤٨).

(٢) قطف الثمر للعلامة صديق حسن خان: (ص: ٣٩، ٤٠)، وقال رحمه الله تعالى: «وفي الصحيحين قصة المعراج، وهي متواترة، وفيه أعظم دلالة على علوه تعالى فوق سبع سمواته» اهـ. (ص: ٥١).

. . . .

أدركنا عليه العلماء، حجازاً وعراقاً، وشاماً ومصراً، ولم يخالف في ذلك غير مبتدع غال، أو مفتون ضال...»[١]. اهـ.

فوائد:

الفائدة الأولى:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«...فالأصل أنّ علوّه على المخلوقات وصف لازم له، كما أنّ عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأمّا الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾، ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأمّا علوه على المخلوقات، فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية، المعلومة بالعقل مع السمع...»[٢]. اهـ.

الفائدة الثانية:

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى:

«وعلوه عزّ وجلّ قسمان: علو ذات، وعلو صفات.

فأمّا علو الذات، فإنّ معناه أنّه فوق كلّ شيء بذاته، ليس فوقه شيء، ولا حذاءه شيء، وأمّا علو الصفات، فهي ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النّحل: ٦٠]، يعني أنّ صفاته كلّها عليا، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه»[٣]. اهـ.

الفائدة الثالثة:

قال الشيخ محمد شكري الألوسي:

«العرش لغة: سرير الملك.

---

(١) إثبات صفة العلو: (ص: ١٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى: (٥/ ٣١٢).

(٣) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ١٧٣).

. . . .

وفي الشرع: سرير ذو قوائم، له حملة من الملائكة فوق السموات مثل القبة، والدليل على أنّ له قوائم ما ورد، «**لا تخيّرون بين الأنبياء، فإنّ الناس يصعقون، وأكون أوّل من يصعق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور**»[١].

وعلى أنّ له حملة من الملائكة، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]»[٢]. اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٣٩٨ ـ ٤٦٣٨ ـ ٦٩١٧ ـ ٧٤٢٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وأما قوله: «مثل القبة»، فلما أخرجه أبو داود: (٤٧٢٦)، والدارمي في الرد على الجهمية: (ص: ٢٤)، والبغوي في شرح السنة: (٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة: (٥٧٥ ـ ٥٧٦)، والطبراني في الكبير: (١٥٤٧)، من طريق إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير، عن أبيه، عن جده، قال محققاً الطحاوية: «وهذا سند ضعيف، لعنعنة بن إسحاق، ولجهالة جبير بن محمد، فإنه لم يوثقه غير ابن حبان، وللحافظ ابن عساكر جزء سماه: بيان وجوه التخليط في حديث الأطيط» اهـ. انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٣٦٦).
وقال محققاً شرح السنة للبغوي وفقهما الله تعالى: «وجبير بن محمد مجهول وقد تفرد به، فالحديث ضعيف لا تقوم به الحجة». اهـ (١/ ١٧٦)، وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/ ٢٠).

(٢) انظر كتابه: «ما دلّ عليه القرآن ممّا يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان» (ص: ٩٣)، وقال عند قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، قال: «ولا تصل إلى حقيقة عظمته الأفهام ولا الأوهام... ووصفه بالعظيم، ويحق له ذلك، لأنه لا يعلم مقدار عظمته إلا الله تعالى، وعن ابن عباس: «إنه لا يقدره أحد»...». اهـ (ص: ٤٩).
والأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما صحيح، انظر مختصر العلو للألباني رحمه الله تعالى: (ص: ١٠٢)، رقم: (٣٦)، وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «وقد روي مرفوعاً، والصواب أنه موقوف على ابن عباس». اهـ. انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٣٦٩)، وراجع الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ٧).

. . . .

وقال العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّ العرش خلق عظيم، كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية، ولذلك أضافه تعالى إلى نفسه في قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، وفيه آيات أخر... وهو لغة: سرير الملك، ومن أوصافه في القرآن: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وأنّه على الماء، وفي السنة أنّ أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وأنّ له قوائم، وأنّه سقف جنة الفردوس، جاء ذلك في أحاديث صحيحة... وذلك ممّا يبطل تأويل العرش بأنّه عبارة عن الملك وسعة السلطان...

ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبيّن أنّ خلقه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجة إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي محيطاً به حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه، فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها، فالربّ تعالى أعظم شأناً وأجلّ من أن يلزم من علوّه ذلك، بل لوازم علوّه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل وإحاطته عزّ وجلّ به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق...»[١].اهـ.

---

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٥، ٥٦)، وأمّا حديث صفة الملك، فلما أخرجه أبو داود: (٤٧٢٧)، والخطيب في التاريخ: (١٠/ ١٩٥)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عزّ وجلّ من حملة العرش، إنّ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام»، قال محققاً شرح العقيدة الطحاوية وفقهما الله تعالى: «إسناده صحيح» (٢/ ٣٦٨).

. . . .

الفائدة الرابعة:

قال الإمام أبو سليمان داود بن علي ـ وهو ابن زيّاد اللغوي ـ رحمه الله تعالى:

«كنّا عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل، فقال له: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، فقال هو على عرشه كما أخبر عزّ وجلّ، فقال: يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه، إنّما معناه: استولى، قال: اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلاّ أن يكون له مضاد، فإن غلب أحدهما قيل استولى، أما سمعت النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد»[١]. اهـ

وقال رحمه الله تعالى:

«أرادني أحمد بن أبي داود أن أجد له في لغة العرب، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ بمعنى استولى، فقلت: والله ما أصبت هذا...»[٢]. اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«إنّه لم يثبت أنّ لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

ثمّ استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنّه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنّه بيت موضوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنّه لو احتج

---

(١) انظر اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (٣/ ٤٤٢)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٩٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (١٣/ ٤٩٧)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقال غيره: لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش، لأنه غالب على جميع المخلوقات». اهـ.

. . . .

بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده؟! وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفّر في كتابه «الإفصاح»، قال: سئل الخليل، هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: «هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتنا»، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله، فحينئذٍ حمله على ما لا يعرف حمل باطل...»[1]. اهـ.

ولهذا «قال أهل السنة: الاستواء هو العلو»[2].

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى:

«فنحن نؤمن بخبر الله جلّ وعلا، أنّ خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقل قولاً غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنّه استولى على عرشه لا استوى، فبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود، كما أمروا أن يقولوا حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جلّ وعلا، كذلك الجهمية»[3]. اهـ.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٥/ ٩٣، ٩٤)، وقد ذكر رحمه الله تعالى اثني عشر وجهاً في إبطال هذا القول البدعي، فانظره هناك.

(٢) انظر الحجة في بيان المحجة للإمام قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى: (٢/ ٢٧٥)، وهو قول مجاهد وأبي العالية، راجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٩٣).

(٣) كتاب التوحيد: (١/ ٢٣٣)، وقال الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: «...واليهود لم ينكروا أن اللفظ الذي قاله الله لهم هو: حطة، ولكنهم حرفوه بالزيادة المذكورة، وأهل هذه المقالة لم ينكروا أن كلمة القرآن هي استوى، ولكن حرفوها وقالوا معناها استولى، وإنما أبدلوها بها لأنها أصلح في زعمهم من لفظ كلمة القرآن، لأن كلمة القرآن توهم غير اللائق، وكلمة استولى في زعمهم هي المنزهة اللائقة بالله، مع أنه لا يعقل تشبيه أشنع من تشبيه استلاء الله على عرشه المزعوم باستلاء بشر على العراق، وهل كان أحد يغالب الله على عرشه حتى غلبه على العرش واستولى عليه؟ وهل =

. . . .

الفائدة الخامسة:

قال العلاّمة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:

«إنّ الإنسان إذا علم بأنّ الله تعالى فوق كلّ شيء، فإنّه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحينئذٍ يخافه ويعظّمه، وإذا خاف الإنسان ربّه وعظّمه، فإنّه يتّقيه ويقوم بالواجب ويدع المحرّم»[1].اهـ.

= يوجد شيء إلا والله مستول عليه، فالله مستول على كل شيء، وهل يجوز أن يقال إنه تعالى استولى على كل شيء غير العرش؟ فافهم».اهـ انظر الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد: (٤٥، ٤٦).

(١) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٤٠٠).

. . . .

ثمّ اعلم أخي المسلم أنّ القاعدة والقول في النزول، كالقاعدة والقول في الاستواء، وقد ثبت في ذلك عن النبيّ ﷺ أحاديث.

منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النّبيّ ﷺ، قال: «**ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فاغفر له**»[(١)].

وقد ذكر الحافظ ابن القيّم رحمه الله تعالى تسعة وعشرين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم، كلّهم رووا حديث النزول[(٢)].

وقال الإمام اللالكائي رحمة الله عليه: «رواه عن النّبيّ ﷺ عشرون نفساً»[(٣)].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «وقد ألفت في أحاديث النزول جزء، وذلك متواتر أقطع به»[(٤)].

فأحاديث نزول الربّ جلّ جلاله، رواها «الأئمة المحدثون الثقات، والمثبتون والفقهاء الورعون، الذين نقلوا إلينا شريعة الإسلام ودعائمه، مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وما يتلوا ذلك من سائر الأحكام، من النكاح، والطلاق، والبيوع، والحلال، والحرام، فلن يطعن

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٢٠٥).

(٢) انظر مختصر الصواعق: (٢/ ٢٣٠، ٢٣١).

(٣) مجمل اعتقاد السلف: (٣/ ٤٨١).

(٤) مختصر العلو: (ص: ١١٦)، وقال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى: «وخبر نزول الربّ كلّ ليلة إلى السماء الدنيا خبر متفق على صحته» عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ص: ١٩٨)، وراجع الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٥٧).

. . . .

عليهم فيما رووه من هذه الأحاديث إلاّ خبيث مخبث، ضال مضل ملحد، يريد إبطال الشريعة، وتكذيب الأمة»[١].

«فلمّا صحّ خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرّ به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته، إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أنّ صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق، كما أنّ ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عمّا يقول المشبّهة والمعطّلة علواً كبيراً، ولعنهم لعناً كبيراً»[٢].

ولهذا لمّا سئل الإمام أبو جعفر الترمذي الزاهد عن حديث النزول، قال: «النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٣]. اهـ.

---

(١) من كلام الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى، انظر الإبانة، قسم الرد على الجهمية: (٣/ ٢٠٢)، وراجع كتاب الشريعة للإمام الآجرّي رحمه الله تعالى: (٣/ ١١٢٥، ١١٢٦).

(٢) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ٢٣٢).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (٣/ ٥٤٧)، وراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: (١/ ٣٦٥)، وأبو جعفر هذا اسمه: محمد بن أحمد ابن نصر، وكان من كبار فقهاء الشافعية، ومن أهل العلم والفضل والزهد في الدنيا، أثنى عليه الدارقطني وغيره، انظر الصارم المنكي في الرد على السبكي، للإمام ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى: (ص: ١٩٢).

وقد سبق عنه الكلام نفسه في الاستواء، مما يؤكد لك أخي المسلم أن ذلك كان منهجهم في صفات الله تعالى كلها.

. . . .

قال الإمام الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى:

«وقال في النزول، كما قال مالك في الاستواء، وهكذا القول في سائر الصفات»[١]. اهـ.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«فقول السائل: كيف النزول؟ بمنزلة قوله: كيف استوى؟ وقوله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق ويرزق؟ وقد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال عن أئمة الإسلام، مثل مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن. . .»[٢]. اهـ.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى:

«قال لي الأمير عبد الله بن طاهر[٣]: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: **«ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى السماء الدنيا»**، كيف ينزل؟ قلت: أعزّ الله الأمير، لا يقال لأمر الربّ كيف؟ إنّما ينزل بلا كيف»[٤]. اهـ.

وكما اتّفق السلف على إثبات صفة الاستواء، كذلك اتّفقوا على إثبات النزول لله تبارك وتعالى، فكلمتهم مجتمعة والحمد لله تعالى في إثبات كل صفة أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

---

(١) الصارم المنكي: (ص: ١٩٢).

(٢) شرح حديث النزول: (ص: ٣٢).

(٣) انظر ترجمته: (تاريخ بغداد: (٩/ ٤٨٣)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/ ٦٨٤)، ووفيات الأعيان لابن خلكان: (٣/ ٨٣)، والبداية والنهاية: (١٠/ ٣٠٢).

(٤) عقيدة السلف للصابوني: (ص: ١٩٤)، وانظر شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (ص: ٥١).

. . . .

يقول الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى:

«واعلم أنّ السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من الخلف، متّفقون على إثبات نزول الربّ تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، وكذلك هم مجمعون على إثبات الإتيان والمجيء، وسائر ما ورد من الصفات من الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولم يثبت عن أحد من السلف أنّه تأوّل شيئاً من ذلك... وحديث النزول متواتر عن رسول الله ﷺ...»[1]. اهـ.

فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«والنزول المذكور في الحديث النّبويّ على قائله أفضل الصلاة والسلام، الذي اتّفق عليه الشيخان، البخاري ومسلم، واتّفق علماء الحديث على صحته،

---

(١) الصارم المنكي: (ص: ١٩١)، وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول». انظر مجموع الفتاوى: (٥/ ٣٢٢)، وشرح حديث النزول: (ص: ٦).

وقال ابن القيّم رحمه الله تعالى: «وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفونها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وإعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع، حيث جعلوها عضين، وأقرّوا ببعضها وأنكروا بعضاً من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه، كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه». انظر أعلام الموقعين: (١/ ٨٣، ٨٤).

. . . .

هو: **«إذا بقي ثلث الليل الأخير»**، وأمّا رواية النصف والثلثين، فانفرد بها مسلم في بعض طرقه، وقد قال الترمذي: إنّ أصحّ الروايات عن أبي هريرة: **«إذا بقي ثلث الليل الأخير»**.

وقد روي عن النّبيّ ﷺ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة كما ذكرنا قبل هذا، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث، والذي لا شكّ فيه: **«إذا بقي ثلث الليل الأخير»**.

فإن كان النّبيّ ﷺ قد ذكر النزول أيضاً إذا مضى ثلث الليل الأول، وإذا انتصف الليل، فقوله حق، وهو الصادق المصدوق، ويكون النزول أنواعاً ثلاثة»[1]. اهـ.

---

(١) شرح حديث النزول: (ص: ١٠٢، ١٠٣)، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٣/ ٣١)، طبعة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

وقد وصف الله تعالى نفسه بالنزول عشية عرفة من حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء» الحديث. أخرجه مسلم في الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (برقم ١٣٤٨)، وابن ماجة: (٣٠١٤).

وأما نزول الرب تعالى إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان ويوم عاشوراء، فلا يصح في ذلك شيئاً انظر: ضعيف سنن ابن ماجة (١٠٥) رقم (٢٦١)، والمشكاة (١٣٠٨)، والسلسلة الضعيفة: (٨/ ١٥٤ رقم: ٢١٣٢).

. . . .

(فصل) تلخيص ما سبق

لقد فرض الله تبارك وتعالى «على عباده المؤمنين طاعة رسوله ﷺ، وقبول ما قاله وما جاء به، والإيمان بكلّ ما صحت به عنه الأخبار، والتسليم لذلك بترك الاعتراض فيها، وضرب الأمثال والمقاييس، إلى قول لِمَ وكيف؟»[1].

«ثمّ القول الشامل في جميع هذا الباب، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون[2]، لا يتجاوز القرآن والحديث. . .

ومذهب السلف: أنّهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أنّ ما وصف الله به من ذلك، فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث مقصود المتكلم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء، لا في نفسه المقدسة المذكورة

---

(١) انظر الإبانة للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى، قسم: الرد على الجهمية: (٣/ ٢٠١).

(٢) وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، سادات المهاجرين وأفاضل الأنصار الذين صحبوا رسول الله ﷺ، ونقلوا لنا دينه من كتاب وسنة وهدي، فلا مطمع لأحد أن يهتدي من دون منهجهم وطريقتهم، فجزاهم الله تعالى عنا وعن الإسلام خير الجزاء وحشرنا الله في زمرتهم.

. . . .

بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، كما نتيقن أنّ الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكلّ ما أوجب نقصاً أو حدوثاً، فإنّ الله منزّه عنه حقيقة، فإنّه سبحانه مستحقّ للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولافتقار المحدَثِ إلى محدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فيعطّلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته...

واعلم أنّه ليس في العقل الصريح، ولا في النقل الصحيح، ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها، فذلك سهل يسير.

ثمّ المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة، من المتأولين لهذا الباب في أمر مريج، فإنّ من أنكر الرؤية يزعم أنّ العقل يحيلها، وأنّه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أنّ لله علماً وقدرة ونحو ذلك، يقول إنّ العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، يزعم أنّ العقل أحال ذلك، وأنّه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أنّ الله ليس فوق العرش، يزعم أنّ العقل أحال ذلك، وأنّه مضطر إلى التأويل.

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء، أنّه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أنّ العقل جوّز وأوجب ما يدّعي الآخر أنّ العقل أحاله.

. . . .

فيا ليت شعري، بأيِّ عقل يوزن الكتاب والسنة؟! فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس، حيث قال: أو كلّما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء...»[١].

وما أحسن ما قاله الإمام العلاّمة ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان، حتّى يؤمن بصفات الربّ جلّ جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل بربّه، فالإيمان بالصفات وتعرفها، هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإيمان»[٢]. اهـ.

فالقاعدة في هذا الباب ـ أعني باب الأسماء والصفات والأفعال ـ أن تعتقد أخي المسلم ـ وفقني الله وإياك ـ أنّ الله واحد في أسمائه، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، كما هو سبحانه واحد في ذاته، وقد عقد المصنف الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى بعد هذا المبحث فصلاً بهذا المعنى، وجعله كالقاعدة في هذا الباب الجليل العظيم الخطير، ممّا يدل على فقهه وحسن ترتيبه رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٥/ ٢٠، ٢١، ٢٢).

(٢) مدارج السالكين: (٣/ ٣٦٣).

[٤٤] وهو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

فلا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في ذاته.

ولا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في أسمائه.

ولا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في صفاته.

ولا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في أفعاله.

لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

---

[٤٤] لقد جعل المصنف رحمه الله تعالى هذا الفصل ـ كما مر معنا ـ كالقاعدة في كلّ ما ذكر من الأسماء والصفات والأفعال، وهو منهج عام في باقي الأسماء والصفات.

فمذهب السلف الصالح، أن صفات الله تعالى، لا يشبهه فيها ولا يدانيه أحد من خلقه، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلاّ أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد**»(١).

---

(١) رواه أحمد: (٥/ ٣٦٠)، وأبو داود في الصلاة، باب: الدعاء، والترمذي: (٣٤٧١)، والنسائي: (٣/ ٥٢)، وابن ماجة: (٣٨٥٧)، والبغوي في شرح السنة: (١٢٥٩ ـ ١٢٦٠)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٥٠٤)، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث بريدة رضي الله عنه.

. . . .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلاّ على الله عزّ وجلّ، لأنّه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. . .»[1].اهـ.

ويقول الإمام ابن الأثير رحمه الله تعالى: «في أسماء الله تعالى: الواحد، هو الفرد الذي لم يزل، ولم يكن معه آخر.

قال الأزهري: الفرق بين الواحد والأحد، أنّ الأحد بني لنفي لا يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءني أحد.

والواحد: اسم بني لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول: جاءني أحد.

فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد المنفرد بالمعنى، وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثيل، ولا يجمع هذين الوصفين إلاّ الله تعالى»[2].اهـ.

فـ «من هذين النصين وأشباههما في كتب اللغة، نستطيع أن ندرك أنّ هذه المادة (وحد)، تدور حول انفراد الشيء بذاته أو بصفاته أو بأفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٢٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث: (٥/ ١٥٩)، وانظر قول الأزهري شرح السنة للبغوي: (٥/ ٣٨)، حيث قال: «قال الأزهري: الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، والواحد بني على انقطاع النظير، والوحيد بني على الوحدة والانفراد».اهـ وانظر للفائدة التنكيل للمعلمي (٢/ ٢٧٨).

(٣) انظر مقدمة دلائل التوحيد للشيخ العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٤٨).

. . . .

وقال قوّام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى:

«التوحيد مصدر وحّد يوحّد، ومعنى وحدت الله، اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته، لا نظير له ولا شبيه.

وقيل معنى وحدته: علمته واحداً، وقيل: سلبت عنه الكيفية والكمية، فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له في إلٰهيته وملكه وتدبيره، لا شريك له ولا ربّ سواه، ولا خالق غيره. . .»[1]. اهـ.

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ٤٢١)، وقال الإمام السعدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، قال: «. . .واشتملت على أنّ الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات». اهـ انظر القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، للشيخ عبد الرزاق العباد حفظه الله تعالى: (ص: ٢١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية نفسها: «قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هل تعلم للربّ مثلاً أو شبيهاً، وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم». اهـ انظر التفسير: (٣/ ١٢٤).

التوحيد العلمي والعملي

[٤٥] التوحيد: هو اعتقاد وحدانية الله وإفراده بالعبادة.

والأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي، ولا يكون المسلم مسلماً إلاّ بهما، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

---

[٤٥] قال الإمام يوسف بن عبد الهادي رحمه الله تعالى:

«فإنّ التوحيد: هو التجرد والتفريد، وأكثر الخلق لا يعلم حقيقة التوحيد، فإنّ التوحيد: أن توحد المعبود بلفظك فتجعله واحداً، وتوحده بعبادتك فتجعله واحداً، ولا تعبد غيره...»(١). اهـ.

«ولباب التوحيد أن يرى العبد الأمور كلّها لله تعالى، ثمّ يقطع الالتفات إلى الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره»(٢).

وقد سئل أبو العباس بن سريج ما التوحيد؟ قال: «توحيد أهل العلم

---

(١) مسألة في التوحيد: (ص: ٨٠).

(٢) انظر تجريد التوحيد المفيد، للإمام العلامة أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي رحمه الله تعالى: (ص: ١٩).

. . . .

وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل من المسلمين: الخوض في الأعراض والأجسام، وإنّما بعث النّبيّ ﷺ بإنكار ذلك...»[١].

وصدق الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، لما قال:

«سألت مالكاً عن الكلام في التوحيد؟ فقال مالك: محال أن يظن بالنّبيّ ﷺ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النّبيّ ﷺ: «**..فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله عزّ وجلّ**»، فما عصم به الدم والمال، فهو حقيقة الدين...»[٢].اهـ.

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنّ «التوحيد الذي دعت إليه الرسل نوعان: توحيد الإثبات والمعرفة[٣]، وتوحيد الطلب والقصد[٤].

فالأوّل هو إثبات حقيقة ذات الربّ تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه... وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كلّ الإفصاح.

والثاني هو توحيد الطلب والقصد، وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام

---

(١) انظر الحجة في بيان المحجة: (١/ ١٠٧)، وراجع اعتقاد الشافعي للإمام الهكاري رحمه الله تعالى: (ص: ٢٧).

(٢) اعتقاد الشافعي للهكاري رحمه الله تعالى: (ص: ٢٧)، وانظر سير أعلام النبلاء: (١٠/ ٢٦).

(٣) وهو ما عبر عنه المصنف رحمه الله تعالى بالتوحيد العلمي.

(٤) وهو ما عبر عنه المصنف رحمه الله تعالى بالتوحيد العملي، وسيأتي الكلام حولهما بإذن الله عزّ وجلّ.

. . . .

بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكمّلاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[١].

والتوحيد العلمي، أو توحيد الإثبات والمعرفة يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ولهذا قسم بعض أهل العلم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية أو العبادة[٢].

وأنواع التوحيد الثلاثة اتفقت عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام[٣]، بل

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٤٢، ٤٣)، ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام مماثل، راجع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (ص: ١٥).

(٢) يقول الدكتور الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى: «...أما تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات، هو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد إرادة وطلب وهو توحيد الألوهية، فهذه عقيدة المسلمين قاطبة، المؤمنين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ». انظر القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد: (ص: ١٦).

«وهذا التقسيم للتوحيد كان جلياً عند السلف، لا يجهله الصبيان ولا النساء، وإنما جهل لما فَسَدَ اللسان واختلطت العربية بالأعجمية، فصار الناس لا يعرفون معنى الإلٰه ومعنى العبادة، ولا معنى الرب، عند ذلك احتاج العلماء إلى إيضاحه...»، من كلام الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله تعالى، ضمن سلسلة أشرطة لشرح كتاب فتح المجيد، الشريط الأول، الوجه الثاني.

فانظر أخي بارك الله فيك، إلى مقدار علم من ينكر أقسام التوحيد، كذاك السقاف وحزبه.

(٣) راجع مدارج السالكين للإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى: (١/ ٢٤).

. . . .

دلّ استقراء القرآن الكريم على أنّ توحيد الله تعالى ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة[1].

يقول الشيخ عبد الرزّاق العباد حفظه الله تعالى:

«ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة، قول الله تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥]...»[2]. اهـ.

فهذه الآية الكريمة قد «اشتملت على أصول عظيمة، على توحيد الألوهية والعبادة، وأنه تعالى الإله المعبود، وعلى أنّ ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده[3]، ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ الدالة على السبب، أي كما أنّه ربّ كلّ شيء، فليكن هو المعبود حقاً، فاعبده...

واشتملت على أنّ الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت، جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات...»[4].

«وبهذا يعلم أنّ هذا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله

---

(١) انظر أضواء البيان: (٣/ ٤١٠ ـ ٤١٤)، والإسلام دين كامل: (ص: ٧)، كلاهما للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى.

(٢) القول السديد، (ص: ٢٠).

(٣) سيأتي الكلام حول هذه المسألة إن شاء الله تعالى عند قول المصنف رحمه الله تعالى: «ووحدانيته تعالى في ربوبيته تستلزم وحدانيته في ألوهيته»، انظر: (ص: ١٧٧).

(٤) من كلام العلاّمة السعدي رحمه الله تعالى، في كتابه: «المواهب الربانية من الآيات القرآنية» (ص: ٤٤، ٤٥)، نقلاً عن القول السديد للشيخ عبد الرزاق العباد وفقه الله تعالى: (ص: ٢٠، ٢١).

. . . .

تعالى، وليس أمراً اصطلاحياً أنشأه بعض العلماء»[١]، ولهذا قال الشيخ العلاّمة بكر بن عبد الله أو بو زيد حفظه الله تعالى:

«هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف، أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم، وقرره الزبيدي في «تاج العروس»، وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان» في آخرين، رحم الله الجميع.

وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كلّ فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم، وفعل، وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهذا من أنواع الاستقراء. . .»[٢]. اهـ.

---

(١) القول السديد للشيخ عبد الرزّاق البدر: (ص: ٣٠)، وراجع هذا الكتاب المفيد، لتقف على زيف مقالة ذاك السقاف، الذي زعم أنّ تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام تثليت، وقد جاء القرآن بنفي ذلك بالبراهين والحجج، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

(٢) التحذير من مختصرات الصابوني: (ص: ٣٠)، هامش (٢)، وقد نقل هذا الكلام من كتاب «الاعتقاد» له، وقال: «يسر الله طبعه، آمين».

[٤٦] ومن توحيد الله تعالى: توحيده في ربوبيته[١].

وهو العلم بأن لا خالق غيره، ولا مدبّر للكون، ولا متصرّف فيه سواه، لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

ولقوله ﷺ: «**لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ**»، رواه الشيخان[٢].

---

[٤٦] ذكر المصنف رحمه الله تعالى قبل هذا توحيد الأسماء والصفات، وذكر هنا توحيد الربوبية مشيراً إلى الخلق والتدبير، وبعده تعرض لتوحيد الألوهية، وكأنّه رحمة الله عليه يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، موافقاً في ذلك ما اصطلح عليه طائفة من أهل العلم، كما مرّ معنا آنفاً.

وتوحيد الربوبية هو «إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة: في الخلق، والملك، والتدبير... فإن قلت كيف تجمع بين ما قررت، وبين إثبات الخلق لغير الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ومثل قوله ﷺ في المصورين: «**يقال لهم أحيوا ما خلقتم**»[٣]، ومثل قوله تعالى في

---

(١) في (ح) «ومن توحيده تعالى في ربوبيته، وهو العلم...».

(٢) أخرجه البخاري: (٨٤٤ ـ ١٤٧٧ ـ ٢٤٠٨ ـ ٥٩٧٥ ـ ٦٣٣٠ ـ ٦٤٧٣ ـ ٦٦١٥ ـ ٧٣٩٢)، ومسلم: (٤/ ١٩٤، ١٩٥ نووي) و(٥/ ٩٠، ٩١ نووي)، وأبو داود: (٨٤٨ ـ ١٥٠٥)، والترمذي: (٢/ ١٩٤ تحفة)، والنسائي: (٣/ ٧٠، ٧١، ٧٣)، وابن ماجة: (٨٧٩)، وأحمد: (٤/ ٩٣، ٩٥، ١٠١، ٢٤٥...)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وانظر إرواء الغليل: (٢/ ٦٤).

(٣) أخرجه البخاري: (٢١٠٥ ـ ٣٢٢٤ ـ ٥٩٥٧ ـ ٥٩٦١ ـ ٥١٨١ ـ ٧٥٥٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، ومالك في الموطأ، في الاستئذان، باب: ما جاء في الصور والتماثيل، والبيهقي: (٧/ ٢٦٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء أو التشبيه =

. . . .

الحديث القدسي: **«ومن أظلم ممّن ذهب يخلق كخلقي»**[(١)].

فكيف تجمع بين قولك أنّ الله منفرد بالخلق، وبين هذه النصوص؟ فالجواب أن يقال: إنّ الخلق هو الإيجاد، وهذا خاص بالله تعالى، أما تحويل الشيء من صورة إلى أخرى، فإنه ليس بخلق حقيقة، وإن سمي خلقاً باعتبار التكوين، لكنه في الواقع ليس بخلق تام...

فإن قلت: كيف تجمع بين قولك إنّ الله منفرد بالملك، وبين إثبات الملك للمخلوقين، مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦]، فالجواب إنّ الجمع بينهما من وجهين:

الأول: أن ملك الإنسان للشيء ليس عاماً شاملاً...

الثاني: أن ملكي لهذا الشيء ليس ملكاً حقيقياً أتصرف فيه كما أشاء، وإنّما أتصرف فيه كما أمر الشرع، وكما أذن المالك الحقيقي، وهو الله عزّ وجلّ...

وأمّا التدبير، فللإنسان تدبير ولكن نقول: هذا التدبير قاصر، كالوجهين السابقين في الملك...»[(٢)].

واعلم أخي المسلم ـ وفقك الله تعالى لمرضاته ـ أن هذا التوحيد ـ أعني

= في الصورة فقط» فتح الباري: (١٣/ ٦٥٥)، وقال: «التشبيه في فعل الصورة وحدها لا من كل وجه» (١٠/ ٤٧٤).

(١) أخرجه البخاري: (٥٩٥٣ ـ ٧٥٥٩)، ومسلم: (٦/ ١٦٢)، وأحمد: (٢/ ٢٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤)، ولا يغيب عن ذهنك أخي المسلم قول المصنف الشيخ عبد الحميد: «وهو الواحد في ذاته وصفات وأفعاله»، فالله تعالى واحد في خلقه، واحد في تدبيره، واحد في ملكه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

. . . .

توحيد الربوبية ـ مفطورة عليه قلوب العباد، يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل ﷺ، فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. . .»(١). اهـ.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وهذا التوحيد، توحيد الربوبية العامة، كان المشركون يقرّون به، فهو وحده لا ينجي من النار، ولا يدخل الجنة، بل التوحيد المنجي شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، بحيث يقرّ بأنّ الله سبحانه هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأنّ محمداً رسوله. . .»(٢). اهـ.

ثمّ ها هنا «أمر لا بد من تقريره وإيضاحه، وهو أنّ قول أهل العلم في المشركين بأنّهم يعترفون بتوحيد الربوبية، ليس المراد به أنّهم اعترفوا بهذا القسم من التوحيد على التمام والكمال، فهذا لا يقول به أحد من أهل العلم، وإنّما مرادهم تقرير ما ثبت في القرآن عن المشركين من اعترافهم بالخالق الرازق المدبّر لشؤون الخلق، فهذا من صفات الربوبية وخصائصها، وقد آمن واعترف به المشركون، ثمّ هذا أيضاً ليس حكماً عاماً مطرداً على جميع المشركين، إذ منهم من وجد عنده حتى الشرك في الربوبية، ومنهم من آمن ببعض خصائص الربوبية دون بعض، ومنهم من كان يؤمن ـ إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخالق الرازق ـ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٥، ٢٦).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/ ٣٥٨)، وقال رحمه الله تعالى: «ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقرّ به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً، فضلاً عن أن يكون وليّاً لله، أو من سادات الأولياء». اهـ انظر مجموع الفتاوى: (٣/ ١٠٢).

. . . .

بالمعاد وبعث الأبدان والحساب، كما قال زهير:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينتقم

وبعضهم يؤمن - إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخالق الرازق - بالقدر[١]، كما قال عنترة:

يا عبل أي من المنية مهرب إن كان ربي في السماء قضاها»[٢]

«ثمّ أيضاً، فإنّ إيمان المشركين بربوبية الله لو كان كاملاً تاماً، فإنّه لا ينفعهم ما لم يفردوا الله بالعبادة ويخلصوا الدين له، ويذروا ما هم عليه من عبادة الأوثان، ولهذا فهم لا يخرجون بهذا الإيمان - أعني الإيمان بربوبية الله - عن وصف الكفر والشرك، ما لم يوحّدوا الله بالعبادة. . .»[٣].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٣/ ٩٨).

(٢) القول السديد للشيخ عبد الرزاق البدر وفقه الله تعالى: (ص: ٨٧)، وفي قول عنترة أنّ الله تعالى في السماء، وانظر دلائل التوحيد للإمام العلاّمة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٧١).

(٣) القول السديد: (ص: ٨٨).

[٤٧] ومن توحيده تعالى، توحيده في ألوهيته.

وهو العلم بأنّه تعالى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلّها إليه، لقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ولقوله ﷺ: «... **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، رواه الترمذي وغيره[١].

---

[٤٧] يقول العلاّمة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:

«ويسمى توحيد الألوهية، ويسمى توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله فهو توحيد ألوهية، وهو باعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة...»[٢].اهـ.

وهذا النوع من التوحيد «هو الذي وقعت فيه جميع المعارك بين الرسل والأمم»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي: (٢٦٣٥ تحفة)، وأحمد: (١/ ٢٠٣، ٢٠٧)، والطبراني في الكبير: (١١٢٤٣ ـ ١١٣١٦ ـ ١٢٩٨٨)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٥٤١، ٥٤٢)، والآجرّي في الشريعة: (ص: ١٩٨)، وأبو نعيم في الحلية: (١/ ٣١٤)، والبيهقي في الآداب: (٩٣٣)، وفي شعب الإيمان: (٢/ ٢٧، ٢٨) و(٧/ ٢٠٣)، وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وقال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في سند الترمذي: «طريق حسنة جيدة» انظر جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٦٢).
وقد ذكر في (ح) قوله ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على ضرك أو نفعك، لا يضرونك ولا ينفعونك إلا بشيء قد كتبه الله لك».
وقد روي عن النبيّ ﷺ أنه وصّى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ولكن في أسانيدها كلها ضعف. انظر جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٦١).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٢٤).

(٣) الإسلام دين كامل، للإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: (ص: ٨).

. . . .

يقول الحافظ ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، وعليه الثواب والعقاب، والشرائع كلها تفاصيله وحقوقه، وهو توحيد الإلٰهية والعبادة، وهو الذي لا سعادة للنفوس إلاّ بالقيام به علماً وعملاً وحالاً، وهو أن يكون الله وحده أحبّ إلى العبد من كلّ ما سواه، فيعبده بمعاني الحب والخوف والرجاء، بما يحبه ويرضاه، وهو ما شرعه على لسان رسوله، لا بما يريده العبد ويهواه، وتلخيص ذلك في كلمتين: «إيّاك أريد بما تريد»، فالأولى: توحيد الإخلاص، والثانية: اتباع للسنة وتحكيم للأمر. . .»[1]. اهـ.

وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى أنّ الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كلهم أمروا أقوامهم، وفيمن أرسلوا فيهم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فهو سبحانه وتعالى المتفرد بالعبودية والألوهية، وهو المعبود الحق، وما دونه من معبود وجب الكفر به والتبري منه.

فقال الله جلّ جلاله عن أول الرسل نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٥ ـ ٢٦].

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

وقال عزّ وجلّ عن صالح عليه السلام: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

وقال تبارك وتعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٣٩٧، ٣٩٨)، وانظر: (٣/ ٤٤٦) منه.

. . . .

وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾﴾ [هود: ٨٤].

ولمّا ذكر الله تعالى قصة قوم لوط عليه السلام وذكر فرعون وقومه في سورة هود، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: ١٠٠ ـ ١٠١]، فكان سبب هلاكهم ودمارهم باتبعهم تلك الآلهة، لذلك خسروا الدنيا والآخرة[١].

فالله تعالى وتقدس هو المعبود الحق، والتوحيد هو «مفزع أعدائه وأوليائه، فأمّا أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وأمّا أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه[٢] يونس، فنجّاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجّوا به ممّا عُذّب به المشركون في الدنيا، وما أعدّ لهم في الآخرة، ولمّا فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه، لأنّ الإيمان عند المعاينة لا يقبل.

هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد[٣]، فلا يلقي في الكرب العظام إلاّ الشرك، ولا ينجي منها إلاّ التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها...»[٤].

---

(١) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/ ٤١٧).

(٢) أي توحيد الألوهية.

(٣) لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت، لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء إلا استجيب له». أخرجه الترمذي: (٤٥٠٠)، وأحمد: (١/ ١٧٠)، والحاكم: (١/ ٥٠٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر صحيح الترمذي للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (٣/ ١٦٨).

(٤) الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٦١).

. . . .

فلا مطمع لمخلوق في الجنة إلاّ بتحقيق أنواع الوحيد الثلاثة، ولهذا قال المصنف الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى: «ولا يكون المسلم مسلماً إلاّ بهما»، إشارة إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وقبلهما توحيد الأسماء والصفات.

فإذا عرفت أخي المسلم أنّ توحيد الربوبية هو الإقرار بأنّ الله تعالى هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر لجميع الأمور، المتصرف في كلّ مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ.

وإذا عرفت أنّ توحيد الأسماء والصفات، هو أن يدعى الله تعالى بما سمّي به نفسه، ويوصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمدﷺ، وينفي عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلك شيئان، ويعمهما اسم الإلحاد:

أحدهما: نفي ذلك عن الله عزّ وجلّ، وتعطيله عن صفات الكمال، ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة.

ثانيهما: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفت أنّ توحيد الإلٰهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، ونفي العبادة عن كلّ ما سوى الله تبارك وتعالى، فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عزّ وجلّ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين، وفيه الخصومة بين الرسل وأممها[1].

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى: (ص: ٤) وما بعدها، وانظر كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وكتاب الشرك ومظاهره للعلامة الشيخ مبارك الميلي الجزائري. =

. . . .

فمن وحّد الله تعالى «في ذاته وفي عبادته وفي صفاته، فهو الموحّد الذي تشمله كلّ الفضائل الخاصة بالموحّدين، ومن أخلّ بشيء منه فهو الذي يتوجّه إليه مثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فاحفظ هذا فإنّه أهمّ شيء في العقيدة»[1].

= وقال الشيخ العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى: «إنّ نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك، الأول: الشرك في الربوبية، وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقاً آخر سبحانه وتعالى، كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأنّ للشرّ خالقاً غير الله سبحانه، وهذا النوع في هذه الأمة قليل والحمد لله، وإن كان قريباً منه قول المعتزلة: «إن الشر إنما هو من خلق الإنسان»، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة...» الحديث، وهو مخرج في مصادر عدة عندي، أشرت إليها في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» رقم: (٤٣١٨: [٤٤٤٢]). انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٣١، ٣٢).

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٣٢، ٣٣).

[٤٨] ووحدانيته تعالى في ربوبيته، تستلزم وحدانيته تعالى في ألوهيته، فالمنفرد بالخلق، والرزق، والعطاء، والمنع، ودفع الضرّ، وجلب النّفع، هو الذي يجب أن يفرد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذل مع الفقر والحاجة للعزيز القادر المنعم، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢].

ولقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النّمل: ٥٩ ـ ٦٤].

---

[٤٨] اعلم أخي المسلم أنّ توحيد الله تعالى في ربوبيته هو الباب لتوحيده تبارك وتعالى في ألوهيته والمدخل إليه، والدليل عليه، ومنه يوصل إليه.

يقول الإمام العلاّمة ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«باب توحيد الإلٰهية هو توحيد الربوبية، فإنّ أوّل ما يتعلق القلب، يتعلق بتوحيد الربوبية، ثمّ يرتقي إلى توحيد الإلٰهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتجّ عليهم به، ويقررهم به، ثمّ

. . . .

يخبر أنّهم ينقضونه بشركهم به في الإلٰهية...»[1].اهـ.

والآيات من سورة النمل التي استدلّ بها المصنف رحمه الله تعالى، تشهد بكلّ وضوح لهذه العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى وهو يقرر هذا المعنى:

«... والقرآن مملوء من تقرير هذا الوحيد[2] وبيانه، وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنّه يقرر توحيد الربوبية، ويبيّن أنه لا خالق إلاّ الله، وأنّ ذلك مستلزم أن لا يعبد إلاّ الله، فيجعل الأوّل دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون للأول ويتنازعون في الثاني، فبيّن لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلاّ الله، وأنّه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك فلمَ تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى؟!، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ ...﴾ الآيات، يقول الله في آخر كلّ آية: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى أنه استفهام: هل مع الله إلٰه؟ كما ظنه بعضهم، لأنّ هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى، كما قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكانوا يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، لكنهم ما كانوا يقولون إنّ معه إلٰه ﴿جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا

---

(١) مدارج السالكين: (١/ ٤١١)، وقد مرّ معنا قول الإمام السعدي رحمه الله تعالى: «إن ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده» (ص: ١٦٩).

(٢) أي توحيد الألوهية.

. . . .

رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾، بل هم مقرّون بأنّ الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات. . .»[1].اهـ.

فائدة:

إنّ توحيد «الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ ـ ٣]، وكما يقال: رب العالمين، وإلٰه المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟

مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾، ونوع لواحد في قوله: «...**افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**».

إذا ثبت هذا، فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه: من إلٰهك، لأنّ الربوبية التي أقرّ بها المشركون ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٣٦، ٣٧)، ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «إلٰه مع الله، أي أإلٰه مع الله يعبد، وقد تبيّن لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرازق. ومن المفسرين من يقول معنى قوله: «أإلٰه مع الله» فعل هذا، وهو يرجع إلى معنى الأول، لأن تقدير الجواب: أنهم يقولون ليس ثمّ أحد فعل هذا معه، بل هو المنفرد به، فيقال فكيف تعبدون معه غيره، وهو المستقل المنفرد بالخلق والرزق والتدبير؟ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ الآية. وقوله تعالى ههنا: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، (أمّن) في هذه الآيات كلها تقديره: أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق، وإن لم يذكر الآخر، لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك. وقد قال الله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. . .».اهـ انظر التفسير: (٣/ ٣٤٦).

. . . .

أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصّلت: ٣٠]، [الأحقاف: ١٣]، فالربوبية في هذا هي الألوهية، وليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران، فينبغي التفطن لهذه المسألة...»[1].

---

(١) من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، نقلاً عن القول السديد للشيخ عبد الرزاق العباد وفقه الله تعالى: (ص: ٩١، ٩٢)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام الأول: (١٠/ ٢٨٣، ٢٨٤).

[٤٩] ومن توحيده تعالى، توحيده في شرعه، فلا حاكم، ولا محلل، ولا محرّم سواه، لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يونس: ٦٧]، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النّساء: ٥٩].

---

[٤٩] لقد دلت الآيات الكريمات التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى بمجموعها على أنّ الحاكم والمشرّع هو الله تبارك وتعالى لا شريك له، فهو الذي خلق عباده، وهو أعلم بما يصلح لهم وما لا يصلح من تشريعات وأحكام، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، كما دلت آية النساء على وجوب الردّ إلى الله والرسول عند التنازع، فلا حاكم ولا مشرّع إلاّ الله تعالى.

وذلك أنّ الإسلام قد نزع من أيدي العباد السلطة التي تملك التحليل والتحريم، وجعلها من حق الربّ جلّ جلاله وحده لا شريك له، فلا أحد يملك أن يحرّم أو يحلل شيئاً، ومن فعل ذلك فقد اعتدى على ربوبية الله تعالى، ونازعه في صفة من صفاته.

يقول الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى:

«وصحّ أنّ من نفى شيئاً أو أوجبه، فإنّه لا يقبل منه إلاّ ببرهان، لأنّه لا موجب ولا نافي إلاّ الله تعالى، فلا يجوز الخبر عن الله تعالى إلاّ بخبر وارد من قِبله تعالى، إمّا في القرآن، وإمّا في السنة، والإباحة تقتضي مبيحاً، والتحريم

. . . .

يقتضي محرّماً، والفرض يقتضي فارضاً، ولا مبيح ولا محرِّم ولا مفترض إلاّ الله تعالى خالق الكلّ، ومالكه لا إلٰه إلاّ هو. . . »[1].اهـ.

ولذلك كانت مهمة العلماء لا تعدو بيان حكم الله تبارك وتعالى، من حلال وحرام ومباح ومكروه ومستحب، ولا يملكون لأنفسهم حق التشريع، ولهذا كانوا يكرهون الفتيا لأنّها توقيع عن ربّ العالمين.

فقد سأل رجل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال: يا أبا عبد الله تقول: لا أدري؟! قال: نعم، فأبلغ من وراءك أنّي لا أدري[2].

وكانوا «يكرهون التسرع في الفتوى، ويودّ كلّ واحد منهم أن يكفيه إيّاه غيره، فإذا رأى أنّها قد تعيّنت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة، أو قول الخلفاء الراشدين ثمّ أفتى.

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدّث إلاّ ودّ أنّ أخاه كفاه الحديث، ولا مفت ودّ أنّ أخاه كفاه الفتيا»[3].

وقال القاضي أبو يوسف رحمه الله تعالى:

«أدركت مشايخنا من أهل العلم يكرهون الفتيا، أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام، إلاّ ما كان في كتاب الله عزّ وجلّ بيّناً بلا تفسير.

---

(١) النبذ في أصول الفقه: (ص: ٢٢).

(٢) انظر أعلام الموقعين للإمام الحافظ ابن القيّم رحمه الله تعالى: (١/ ٦٤).

(٣) المرجع نفسه.

. . . .

حدثنا ابن السائب، عن الربيع بن خثيم ـ وكان من أفضل التابعين ـ، أنّه قال: إيّاكم أن يقول الرجل، إنّ الله أحلّ هذا أو رضيه، فيقول الله له: لم أحلّ هذا ولم أرضه! أو يقول: إنّ الله حرّم هذا، فيقول الله: كذبت، لم أحرمه ولم أنه عنه...»[(١)]. اهـ.

هؤلاء هم علماء الإسلام، أمّا علماء أهل الكتاب، من يهود ونصارى، فقد نصّبوا أنفسهم أرباباً من دون الله تعالى، يحللون ويحرمون ما لم يأذن به الله تعالى، قال سبحانه وتعالى عن بعض أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«إنّهم اتّبعوهم فيما حللوا وحرّموا... ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾، أي الذي إذا حرّم الشيء فهو الحرام، ومل حلّله فهو الحلال، وما شرعه اتُبع، وما حكم به نفذ»[(٢)].

هذا، وقد وصف الله تعالى حكمه بأنّه أحسن حكم وأعدله، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فهذا «استفهام إنكار، أي لا حكم أحسن من حكمه تعالى، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنّه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر على كلّ شيء، الحكيم

---

(١) كتاب الأم للإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (٧/٣١٧)، وانظر أعلام الموقعين: (١/ ٧٠، ٧١). والمقصود التحذير من تحريم ما لم يحرم الله، وتحليل ما لم يحل، وأما تحريم ما حرم الله أو تحليله فهذا حق.

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/٣١٨).

. . . .

في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. . .»[١].

فلمّا كان حكم الله تعالى بهذه الصفة، حذّر الله تعالى من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله ورسوله، «فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن وهو الحق إلى ضده من الباطل»[٢].

فقال الحكيم العليم: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كلّ خير، الناهي عن كلّ شرّ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ممّا يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتّى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متّبعاً يقدّمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتّى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير»[٣].

---

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (ص: ٣٤٨).

(٢) المرجع نفسه، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال: «أي وهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين في الحكم بين عباده». اهـ انظر التفسير: (٢/ ١٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٦٣)، وقال الشيخ العلاّمة حامد الفقي رحمه الله تعالى معلقاً على كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «ومثل هذا وشرّ منه، من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدّمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو بلا شكّ كافر مرتد إذا أصرّ عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أيّ اسم تسمّى به، ولا أيّ عمل من ظواهر أعمال =

. . . .

ولمّا كان الحكم والتشريع حقّ من حقوق الله تبارك وتعالى، قال أهل العلم أنّ من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلّ الله، أو تحليل ما حرّم الله، فقد اتّخذهم أرباباً من دون الله[1].

وقد نهى الله تعالى عن سلوك طريق المشركين الذين نبذوا حكم الله تعالى، وحلّلوا وحرّموا بآرائهم وأهوائهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«نهى تعالى عن سلوك المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك، ممّا كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، ويدخل في هذا كلّ من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئاً ممّا حرّم الله، أو حرّم شيئاً ما أباحه الله بمجرد رأيه وتشّهيه. . .»[2]. اهـ.

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنّ حكم النّبيّ ﷺ هو حكم الله تعالى من فوق سابع سماء سواء بسواء، فما حرّمه رسول الله ﷺ فالله حرّمه، وما أحلّه رسول الله ﷺ فالله أحلّه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد نفى الله تعالى الخيار عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ

= الصلاة والصيام ونحوها». اهـ انظر هامش فتح المجيد: (ص: ٣٤٨)، وراجع تحكيم القوانين للشيخ العلاّمة محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: (ص: ٦).

(١) انظر كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع فتح المجيد: (ص: ٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٤٢).

. . . .

أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فقد سوّى في ذلك بين حكم الله وبين حكم رسوله ﷺ.

وفي ذلك يقول أيضاً رسول الله ﷺ: **«ألا وإنّ ما حرّم رسول الله، مثل ما حرّم الله»**(١).

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«لم أسمع أحداً ـ نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم ـ يخالف في أن فرض الله عزّ وجلّ اتّباع أمر رسول الله ﷺ، والتّسليم لحكمه، لأنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل لأحد بعده إلاّ اتّباعه، وأنّه لا يلزم قول بكلّ حال إلاّ بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأنّ ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أنّ الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ...»(٢).اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

«وقد أمر الله جلّ وعزّ بطاعته ـ أي الرسول ﷺ ـ، واتّباعه أمراً مطلقاً مجملاً، لم يقيّد بشيء، كما أمرنا باتّباع كتابه، ولم يقل وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ...»(٣).

وقد عدّوا من خالف السنّة من المعتدين الظالمين، قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى:

---

(١) أخرجه ابن ماجة: (١٢)، والترمذي: (٢٦٦٤) عن المقدام بن معدي كرب، وقال: حديث حسن غريب. ومفهوم الحديث أنّ ما أحلّ رسول الله ﷺ مثل ما أحل الله.

(٢) انظر جماع العلم للإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ص: ١١، ١٢).

(٣) جامع بيان العلم وفضله: (٢/ ١٩٠، ١٩١).

. . . .

«إذا نصّ النّبيّ ﷺ على أنّ حكم كذا في أمر كذا، لم يجز أن يتعدّى بذلك الحكم ذلك الشيء المحكوم فيه، فمن خالف ذلك فقد تعدّى حدود الله ونعوذ بالله من ذلك»[1]. اهـ.

وذلك أنّ «السنّة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كلّ وجه، فيكون توارد القرآن والسنّة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرّمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام.

فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائداً على القرآن، فهو تشريع مبتدأ من النّبيّ ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحلّ معصيته، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم، لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به، وإنّه إذا لم تجب إلاّ فيما وافق القرآن، لا فيما زاد عليه، لم يكن له طاعة خاصة تختصّ به، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]»[2].

فظهر لك أخي المسلم ـ وفقك الله تعالى ـ أنّ توحيد الله في الحكم والتشريع، أن تتلقى الأحكام من القرآن والسنة، فهما في منزلة واحدة، إذ الكلّ وحي من الله تعالى، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

---

(١) النبذ في أصول الفقه: (ص: ١١٠).

(٢) انظر أعلام الموقعين للإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى: (٢/ ٣٢٣)، ويقول الله تعالى مخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

. . . .

لذلك أمرنا ربّنا تبارك وتعالى بالردّ إلى الله والرسولﷺ عند التنازع، أي لكتابه وسنة رسولهﷺ، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾، فانظر أخي المسلم ماذا قال ربنا: ﴿فِي شَيۡءٖ﴾[١] مهما قلّ أو كثر، وقد جعل هذا الرد عند التنازع إلى الله ورسوله من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عزّ وجلّ بأنّ كلّ شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه، أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلاّ الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾، فدلّ على أنّ من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير، ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، أي وأحسن عاقبة ومآلاً كما قال السدّي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاءً، وهو قريب»[٢]. اهـ.

---

(١) يقول ابن القيّم رحمه الله تعالى: «فإن تنازعتم في شيء»، نكرة في سياق الشرط، تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجلّه، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله بيان ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً، لم يأمر بالردّ إليه، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند التنازع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع...». انظر أعلام الموقعين: (١/ ٨٤).

(٢) انظر التفسير: (١/ ٤٦٠).

. . . .

هذا، وقد أخبر الله تعالى أنّ من لم يرض بحكم الله تعالى ورسوله، وتحاكم إلى غيرهما، فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«ذكر في سبب نزول هذه الآية، أنّها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد، وذلك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل في جماعة من المنافقين ممّن أظهر الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعمّ من ذلك كلّه، فإنّها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا»[1]. اهـ.

ويقول الإمام الحافظ ابن القيّم رحمه الله تعالى مبيّناً معنى الطاغوت:

«والطاغوت، كلّ ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كلّ قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنّه طاعة الله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم انصرفوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول، إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله، إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة، وهم الصحابة ومن

---

(١) التفسير: (١/ ٤٦٠).

. . . .

تبعهم، ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً. . .»[1]. اهـ.

فإذا عرفت هذا أخي المسلم، فاعلم أنّ توحيد الله تعالى في شرعه، أن تعتقد أنّه لا مشرّع إلاّ الله، فلا يحلل ولا يحرّم إلاّ الله، وأنّ ما قضى به رسول الله ﷺ فهو عينه حكم الله تعالى، يجب أن تتلقّاه «بكمال التسليم له والانقياد لأمره، وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمّله معارضة خيال باطل نسمّيه معقولاً، أو يحمّله شبهة أو شكّاً، أو يقدّم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيوحّده بالتحكيم، والتسليم، والانقياد، والإذعان، كما وحّد المُرسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذلّ والإنابة والتوكّل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد إلاّ بهما:

توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرض بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظّمه، فإن أذنوا له نفّذه وقبل خبره، وإلاّ فإن طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وإلاّ حرفه عن مواضعه

---

(١) انظر أعلام الموقعين: (١/ ٨٥)، ويقول الشيخ العلامة حامد الفقي رحمه الله تعالى: «الذي يستخلص من كلام السلف ﷺ: أنّ الطاغوت كلّ ما صرف العبد وصدّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شكّ: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه، وغيرها من كلّ ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، ممّا أخذت القوانين تحللها وتحريمها بنفوذها ومنفذيها، والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، إمّا قصداً أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت». اهـ. انظر هامش كتاب فتح المجيد: (ص: ٢٤٣).

. . . .

وسمّى تحريفه تأويلاً وحملاً! فقال: نؤوله ونحمله، فلإن يلقى العبدُ ربَّه بكلّ ذنب ـ على الإطلاق ما خلا الشرك ـ خير من أن يلقاه بهذه الحال»[١].

ومن توحيد الله تعالى في شرعه الردّ إليه وإلى رسوله ﷺ عند التنازع، وبذلك يسلم لك أخي المسلم توحيدك وإيمانك، وتكون من الفائزين إن شاء الله تعالى[٢].

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ وفقك الله لمرضاته ـ أنّ ما يتصوّره كثير من المسلمين اليوم، من أنّ مسألة الحكم بما أنزل الله تعالى إنّما هي متعلقة بأمور الدولة والمحاكم فقط، وتجده في بيته ونفسه وتعامله مع غيره، لا يحكّم شرع الله تعالى من كتاب وسنة، فهذا قد جعل حاكمية الله تعالى قاصرة على قضايا الدولة دون غيرها، فضيّق واسعاً.

وأمثال هؤلاء لم يفهموا حقيقة هذا التوحيد ـ أعني توحيد الله في حكمه ـ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل زوجها**

---

(١) من كلام العلامة ابن القيّم رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] انظر مدارج السالكين: (٣/ ٣٨٧، ٣٨٨).

(٢) كما أنّ من الردّ إلى سنته ﷺ، الردّ إلى أولي الأمر، وهم أكابر علماء المسلمين من الذين سبقونا في العلم والإيمان، فهم الذين نقلوا إلينا أحكام الإسلام كتاباً وسنة وفقهاً، كما بينت ذلك الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولي الأمر هم الصحابة رضي الله عنهم، فالردّ إليهم في فقه الاستدلال في الأحكام والسنن وأصول الاعتقادات قيد لا مناص منه، فهم الذين بلغوا لنا حكم الله ورسوله ﷺ. انظر مجلة السلفية: (ص: ٥).

. . . .

ولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيّده وهو مسؤول عنه، ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: (٨٩٣ ـ ٢٤٠٩ ـ ٢٥٥٨ ـ ٢٧٥١ ـ ٥١٨٨ ـ ٥٢٠٠)، ومسلم في صحيحه، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر برقم (١٨٢٩)، والبغوي في شرح السنة: (٢٤٦٩).

وقوله ﷺ: «. . .وعبد الرجل راع على مال سيّده» الحديث، فيه جواز قول السيّد عبدي ولكن مع الكراهة، لما صحّ من حديث أبي هريرة ﷺ عند البخاري: (٢٥٥٢)، والبغوي: (٣٣٨٢)، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يقل أحدكم: أطع ربّك، وَضّىءْ ربّك، وليقل: سيّدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي»، فقد أخرج البخاري الحديث في كتاب العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق، وقوله عبدي وأمتي.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معلقاً على صنيع الإمام البخاري رحمه الله تعالى: «. . .والمراد بالكراهية، كراهية التنزيه، أي وكراهية ذلك من غير تحريم، ولذلك استشهد للجواز بقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢]، وبغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على الجواز، ثمّ أردفها بالحديث الوارد في النهي عن ذلك، واتفق العلماء على أنّ النهي الوارد في ذلك للتنزيه حتى أهل الظاهر، إلاّ ما سنذكره عن ابن بطّال في لفظ الربّ. . .».اهـ فتح الباري: (٥/ ٢٢٠).

وقال الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى: «المعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذلّ والخضوع لله عزّ وجلّ، وهو الذي يليق بالمربوب». فتح الباري: (٥/ ٢٢٣).

وقال الإمام النووي رحمة الله عليه: «المراد بالنهي من استعمله على جهة التعاظم، لا من أراد التعريف. . .».اهـ فتح الباري: (٥/ ٢٢٣).

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «قيل في كراهية هذه الألفاظ، هي أن تقول ذلك على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه، وإلاّ فقد جاء به القرآن».اهـ شرح السنة: (١٢/ ٣٥٢).

فهذه الألفاظ «وإن كانت تطلق لغة، فالنبيّ ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد، وسدّاً لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ، لأنّ الله تعالى هو ربّ العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم، فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك =

. . . .

قال الطيّبي رحمه الله تعالى:

«في هذا الحديث أنّ الراعي ليس مطلوباً لذاته، وإنّما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلاّ بما أذن الشارع فيه، وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه»(١). اهـ.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى معلقاً على كلام الطيبي:

«وقال غيره: دخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد، فإنّه يصدق عليه أنّه راع على جوارحه حتّى يعمل المأمورات، ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً. . .»(٢). اهـ.

فالرجل إذن مسؤول عن أهل بيته، «لأنّه أمر أن يحرص على وقايتهم من النار، وامتثال أوامر الله، واجتناب مناهيه»(٣).

يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«أمرهم النّبيّ ﷺ بالنصيحة فيما يلونه، وحذّرهم الخيانة فيه بإخباره أنّهم مسؤولون عنه، فالرعاية: حفظ الشيء، وحسن التعهّد. . .»(٤). اهـ.

وهل للرجل أن يتعهّد أهله ومن يعول بأحسن من تدبير الله تعالى، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

= في الربوبية التي هي وصف الله تعالى، وإنما المعنى أنّ هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار، فالنهي عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة». انظر فتح المجيد: (ص: ٤٠٦).

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/ ١٤١).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه: (٩/ ٣١٦).

(٤) شرح السنة: (١٠/ ٦٢).

. . . .

فائدة:

إنّ توحيد الله تعالى في الحكم والتشريع يندرج تحت توحيد الألوهية، ويندرج أيضاً تحت توحيد الربوبية، فهو من توحيد الألوهية باعتبار خضوع العبد لله تعالى وذلّه واستسلامه وطاعته وانقياده، وهذه أركان العبادة.

وهو من توحيد الربوبية باعتبار أنّ الربّ تعالى هو المدبّر لشؤون عباده وإليه يرجع الأمر كلّه.

فباعتبار فعل الربّ يكون توحيد الحكم من توحيد الربوبية، وهو بهذا خاصية وصفة من صفات الله تعالى.

وباعتبار فعل العبد يكون توحيد الحكم من توحيد الألوهية وحق من حقوقه سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم.

[٥٠] ومن توحيده تعالى في ربوبيته: اعتقاد أنّ العبد لا يخلق أفعال نفسه، فهو كما لم يخلق ذاته، ولم يخلق صفات ذاته، كذلك لم يخلق أفعاله، فهو كلّه مخلوق لله: ذاته، وصفاته، وأفعاله، غير أن له مباشرة لأفعاله باختياره، فبذلك كانت أعمالاً له، وكان مسؤولاً عنها، ومجازى عليها، وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه.

فيسمّى العبد عاملاً وكاسباً ومكتسباً، ولا يسمّى خالقاً، لعموم قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

---

[٥٠] من عقائدة سلف الأمة وخيارها، أنّ أفعال العباد «حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة»[1].

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [غافر: ٦٢]، فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر.

وقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فنفى أن يكون خالق غيره، ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف الآية.

ومعلوم أنّ الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله خالق الأعيان، والناس خالقي الأفعال، لكان خلق الناس أكثر من خلقه، ولكانوا أتمّ قوّة منه، وأولى بصفة المدح من ربّهم سبحانه، ولأنّ الله تعالى قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ

---

(١) انظر خلق أفعال العباد، للإمام البخاري رحمه الله تعالى: (ص: ٣٤).

. . . .

وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، فأخبر أنّ أعمالهم مخلوقة لله عزّ وجلّ»[1]. اهـ.

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**إنّ الله تعالى خالق كلّ صانع وصنعته**»[2].

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «**إنّ الله خلق الخلق، فخلق أهل الجنة وما هم عاملون، وخلق أهل النار وما هم عاملون**»[3].

فأعمال العباد خلق لله، فعل للعباد يباشرونها بإرادتهم واختيارهم، كما قال الحق تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى: «فبذلك كانت أعمالاً له، وكان مسؤولاً عنها، ومجازى عليها، وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه، فيسمّى العبدُ عاملاً وكاسباً ومكتسباً، ولا يسمّى خالقاً».

والإيمان بأنّ أعمال العباد مخلوقة هو من الإيمان بالقدر، الذي هو أصل

---

(١) كتاب الاعتقاد: (ص: ٧٣)، وذكر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾، قال: الأصنام، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، قال: خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم. وانظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦٣٩)، والحجة في بيان المحجّة: (١/ ٤٥٧)، (٢/ ٤٤٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٣/ ٨٥٩)، واعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي: (ص: ٤١)، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين :(٢/ ٢١٨)، وشعب الإيمان للبيهقي: (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد: (٩٢)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٣١، ٣٢)، والبيهقي في الاعتقاد: (ص: ٦١)، وابن أبي عاصم في السنة: (٣٥٧)، وصححه الحاكم والذهبي والألباني، انظر ظلال الجنة: (ص: ١٥٨)، والسلسلة الصحيحة: (١٦٣٧).

(٣) أخرجه الدارمي: (٢٥٧)، والطبراني في الصغير: (١/ ١٣٠)، وانظر السلسلة الصحيحة: (٤٦).

. . . .

من أصول الإيمان، قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أنّ الله تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرّها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]. . .»[١]. اهـ.

ثمّ اعلم أخي المسلم أنّ «كونه خلق أفعال العباد وفيها الظلم، لا يقتضي وصفه بالظلم سبحانه وتعالى، كما أنّه لا يوصف بسائر القبائح التي يفعلها العباد، وهي خلقه وتقديره، فإنّه لا يوصف إلاّ بأفعاله، لا يوصف بأفعال عباده، فإنّ أفعال عباده مخلوقاته ومفعولاته، وهو لا يوصف بشيء منها، إنّما يوصف بما قام به من صفاته وأفعاله، والله أعلم»[٢].

«فالحاصل أنّ فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنّه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ[٣] رحمه الله تعالى بقوله: (وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد)، أثبت للعبد فعلاً وكسباً وأضاف الخلق إلى الله تعالى.

والكسب هو: الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾. . .»[٤].

---

(١) شرح السنة: (١/ ١٤٢).

(٢) من كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى، انظر جامع العلوم والحكم: (٢/ ٣٦).

(٣) أي الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦٥٢).

. . . .

وهذه الإرادة للفعل من العبد ومشيئته، يجدها كلّ إنسان في نفسه، فلا يمكن أن يفعل العبد شيئاً إلاّ إذا رغب فيه وأراده، ولا يجد مع ذلك في نفسه إكراهاً وجبراً على ذلك الفعل، وهو في ذلك كلّه لا يخرج عن مشيئة الله تعالى وإرادته، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى في الفقرة الموالية: «أنّ العبد لا يخرج في جميع تصرفاته عن مشيئة الله، غير أنّ له اختيار يجده بالضرورة من نفسه. . .».

[٥١] ومن توحيده تعالى في ربوبيته: اعتقاد أنّ العبد لا يخرج في جميع تصرّفاته عن مشيئة الله، غير أنّ له اختياراً يجده بالضّرورة من نفسه، ومشيئة يجدها كذلك فيما يمكنه من أفعاله كان بهما مكلّفاً، ثمّ هو لا يخرج بها عن مشيئة الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

---

[٥١] سبق ذكر المصنّف رحمه الله تعالى للإرادة والمشيئة، ومراده هنا إثبات المشيئة للعبد، وأنّه مخيّر لا مجبر، وإن كانت أفعاله من خلق الله تبارك وتعالى، وأنّ هذه المشيئة للعبد تابعة لمشيئة الله تعالى لا تخرج عنها أبداً.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«إنّ مشيئة العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين، وإنّ أعمال الناس خلق من الله فعل للعباد، وإنّ القدر خيره وشرّه من الله عزّ وجلّ»(١). اهـ.

ويقول الإمام الطّحاوي رحمه الله تعالى:

«وكلّ شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلاّ ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن»(٢).

(١) انظر كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ١٢٩).
(٢) انظر العقيدة الطحاوية مع شرح الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى: (١/ ١٣٣).

. . . .

وقال رحمة الله عليه: «وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد»[١].

فدلّ ذلك على أنّ الله تعالى خالق كلّ شيء، وأنّه على كلّ شيء قدير، وأنّ أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنّ العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنّه مريد له مختار له حقيقة، وأنّ إضافته ونسبته إليه إضافة حقّ، ولا يدلّ على أنّه غير مقدور لله تعالى، وأنّه واقع بغير مشيئته وقدرته[٢].

وعلى هذا «درج أعلام الصحابة والتابعين، وإلى مثل ذلك ذهب فقهاء الأمصار: الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وغيرهم رضي الله عنهم»[٣].

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«باب: القول في وقوع أفعال العباد بمشيئة الله عزّ وجلّ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، فأخبرنا أنّا لا نشاء شيئاً إلاّ أن يكون الله قد شاء... فأعلم الله خلقه أنّ المشيئة له دون خلقه، وأنّ مشيئتهم لا تكون إلاّ أن يشاء...»[٤].

وقد أثبت الله تعالى في غير ما آية من كتابه، أنّ المشيئة له عزّ وجلّ، ومشيئة العباد تبع لمشيئته النافذة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلة على تسعين امرأة تحمل كلّ امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله، فقال له**

(١) المرجع السابق: (٢/ ٦٣٩).

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦٤٠، ٦٤١).

(٣) انظر كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ٨٧، ٨٨).

(٤) المرجع نفسه: (ص: ٨٣).

. . . .

صاحبه[١]: قل إن شاء الله، فلم يقل[٢]، ولم تحمل شيئاً إلاّ واحداً ساقطاً أحد شقّيه، فقال النّبيّ ﷺ: لو قالها، لجاهدوا في سبيل الله»[٣].

فهذا سليمان عليه السلام وجد في نفسه حبّ الولد ليستعملهم في طاعة الله تبارك وتعالى، فسعى باختياره وإرادته في تحقيق ذلك، ولمّا نسي أن يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى منع الولد، وفي هذا أنه لا يشاء أحد شيئاً إلاّ أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

---

(١) قال الحافظ رحمه الله تعالى: «في رواية معمر، عن طاووس. . . : فقال له الملك، وفي رواية هشام بن حجير: فقال له صاحبه، قال سفيان: يعني الملك، وفي هذا إشعار بأنّ تفسير صاحبه بالملك ليس بمرفوع، لكن في مسند الحميدي، عن سفيان: فقال له صاحبه أو الملك بالشكّ، ومثلها لمسلم، وفي الجملة ففيه ردّ على من فسّر صاحبه بأنه الذي عنده علم من الكتاب، وهو آصف، بالمدّ وكسر المهملة بعدها فاء، ابن ريخا، بفتح الموحّدة وسكون الراء وكسر المعجمة بعد تحتانية.
وقال القرطبي في قوله: «فقال له صاحبه أو الملك»: إن كان صاحبه فيعني به وزيره من الإنس والجن، وإن كان الملك فهو الذي كان يأتيه بالوحي، قال: وقد أبعد من قال المراد به خاطره.
وقال النووي: قيل: المراد بصاحبه الملك، وهو الظاهر من لفظه، وقيل: القرين، وقيل: صاحبه له آدمي، قلت: ليس بين قوله صاحبه والملك منافة، إلا أنّ لفظة «صاحبه» أعمّ، فمن ثمّ نشأ لهم الاحتمال، ولكن الشكّ لا يؤثر في الجزم، فمن جزم بأنه الملك حجة على من لم يجزم».اهـ فتح الباري: (٦/ ٥٦٢).

(٢) قال الحافظ رحمه الله تعالى: «قال عياض: بيّن في الطريق الأخرى بقوله: فنسي. قلت: هي رواية ابن عيينة عن شيخه، وفي رواية معمر، قال: ونسي أن يقول إن شاء الله، ومعنى قوله: فلم يقل، أي بلسانه، لا أنه أبى أن يفوّض إلى الله، بل كان ذلك ثابتاً في قلبه، لكنه اكتفى بذلك أولاً ونسي أن يجريه على لسانه لما قيل له لشيء عرض له».اهـ فتح الباري: (٦/ ٥٦٢).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٤٢٤ ـ ٥٢٤٢ ـ ٧٤٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الاستثناء برقم (١٦٥٤)، والبغوي في شرح السنة: (٧٩).

[٥٢] ومن توحيده تعالى في ربوبيته: اعتقاده أنّ العبد لا يعلم الغيب، وهو ما غاب عن الحواس، ولا يوصل إليه بصحيح النظر، فلا يعلم منه إلاّ ما جاء في صحيح الخبر، فيجب الإيمان به حينئذٍ كما جاء بدون زيادة ولا تنقيص، لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ۝٢٨﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨]، ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ [البقرة: ٣٢] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [هود: ٣١]، ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الرعد: ٩]، ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الملك: ٢٦]، ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

[٥٢] لقد أخبر الله تعالى في كتابه في غير ما موضع أنه سبحانه المتفرّد بعلم الغيب، لا يشاركه في علمه أحد إلاّ من رضي الله أن يطلعه على بعض ذلك.

وفي الحديث أنّه ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «**...ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهنّ إلاّ الله، ثمّ تلا النّبيّ ﷺ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤]»[1].

---

(١) هذه رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري: (٥٠)، وتمام الآية الكريمة: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾.

. . . .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

«لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث... فمن ادّعى علم شيء منها غير مسندة إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه»[1]. اهـ.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلاّ الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بايّ أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر»**[2].

فـ «هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلاّ بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبيّ مرسل، ولا ملك مقرّب، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، وكذلك إنزال الغيث، لا يعلمه إلاّ الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكّلون بذلك، ومن يشاء من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام ممّا يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقيّاً أو سعيداً، علم الملائكة الموكّلون بذلك، ومن يشاء الله من خلقه، وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وآخرتها، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾ في بلدها أو غيره من أيّ بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]، وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب»[3].

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/ ١٦٤). وهو غير الإمام أبي عبد الله القرطبي صاحب الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وإنما هو صاحب المفهم شرح مختصر صحيح مسلم.

(٢) أخرجه البخاري: (١٠٣٩ ـ ٤٦٢٧ ـ ٤٦٩٧ ـ ٤٧٧٨ ـ ٧٣٧٩)، وأحمد: (٤٧٦٦ ـ ٥١٣٣ ـ ٥٢٢٦ ـ ٦٠٤٣)، والبغوي في شرح السنة: (١١٧٠) بألفاظ مختلفة.

(٣) انظر تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٢٤). وأمّا ما توصّل إليه العلم الحديث من معرفة =

. . . .

قال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة رحمه الله تعالى:

«عبّر بالمفاتح لتقريب الأمر على السامع لأنّ كلّ شيء جعل بينك وبينه حجاب فقد غيّب عنك، والتوصّل إلى معرفته في العادة من الباب، فإذا أغلق الباب احتيج إلى المفتاح، فإذا كان الشيء الذي لا يطّلع على الغيب إلاّ بتوصيله لا يعرف موضعه، فكيف يعرف المغيّب»[1]. اهـ.

وأمور الغيب سوى هذه كثيرة لا يحصيها إلاّ الله تعالى.

قال ابن أبي جمرة رحمه الله: «استعار للغيب مفاتيح اقتداءً بما نطق به الكتاب العزيز: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، وليقرب الأمر على السامع، لأنّ أمور الغيب لا يحصيها إلاّ عالمها. . .

والحكمة من جعلها خمساً، الإشارة إلى حصر العوالم فيها»[2]. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى معلقاً على حديث ابن عمرو السابق:

«وفي قوله: لا يعلم متى يأتي المطر، إشارة إلى أمور العالم العلوي. . . وفي قوله: ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت، إشارة إلى أمور العالم السفلي. . . وفي قوله: ولا يعلم ما في غد إلاّ الله، إشارة إلى أنواع الزمان وما فيها من

= نوع الجنين، وكذا معرفة الأحوال الجوية، وغيرها من التوقعات، فليس من علم الغيب في شيء، وإنما هو مما علمه الله عباده، وأسباب تتخذ في معرفة ذلك، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفي قوله: ولا يعلم متى يأتي المطر، إشارة إلى أمور العالم العلوي، وخصّ المطر، مع أنّ له أسباب قد تدلّ يجري العادة على وقوعه، لكنه من غير تحقيق». فتح الباري: (١٣/٤٤٦). وفي كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ما يشير إلى هذا المعنى، وقد نبهني على كلام ابن كثير هذا شيخي الأستاذ خميس بن عاشور وفقه الله تعالى أستاذ العقيدة سابقاً بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، فجزاه الله خيراً.

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٨/ ٦٥٣).

(٢) المرجع نفسه: (١٣/٤٤٦).

. . . .

الحوادث، وعبّر بلفظ غد، لتكون حقيقته أقرب الأزمنة، وإذا كان مع قربه لا يعلم حقيقة ما يقع فيه مع إمكان الإمارة والعلامة، فما بعد عنه أولى، وفي قوله: ولا يعلم متى تقوم الساعة إلاّ الله، إشارة إلى علوم الآخرة، فإنّ يوم القيامة أولها، وإذا نفى علم الأقرب انتفى علم ما بعد، فجمعت الآية أنواع الغيوب، وأزالت جميع الدعاوى الفاسدة، وقد بيّن بقوله تعالى في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، أنّ الاطلاع على شيء من هذه الأمور لا يكون إلاّ بتوفيق»(١). اهـ.

ثمّ اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك -، أنّ نسبة الغيب إلى الله تعالى توحيد وأدب رفيع من أدب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

قال الله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩]، فـ «هو من باب التأدب مع الربّ جلّ جلاله، أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكلّ شيء، فنحن وإن كنّا أُجبنا وعرفنا من أجابنا، ولكنّ منهم من كنّا إنّما نطّلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكلّ شيء، المطّلع على كلّ شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كَلاَ علم، فإنّك ﴿أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:

---

(١) المرجع السابق: (١٣/٤٤٦، ٤٤٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/١٠٧)، وهو أيضاً أدب لملائكة الرحمٰن إذ «قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا»، فـ «هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد شيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى». انظر التفسير: (١/٦٤).

. . . .

١١٦]، فـ «هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل»[١].

وقد كان نبيّنا ﷺ يدعو الله تعالى بأنّه عالم الغيب والشهادة، فيقول ﷺ: «**اللهم إنّي أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي...**» الحديث[٢].

هذا، وقد أخبر الله تعالى عباده ببعض غيبه على ألسنة رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، كالجنة والنار، وأهوال يوم الموقف والحشر، وغيرها من أمور الغيب الذي نطق بها الكتاب وجاءت بها السنة، فقد أعلمنا ربّنا أنّها من عالم الغيب، وفرضُ الإيمان فيها، الإيمان بها، لصدق الخبر من الله تعالى ورسوله ﷺ، فمن آمن بالله تعالى وصدّق رسوله ﷺ، لا بد أن يؤمن بما أخبر به من الغيب[٣].

وأمّا تفصيلات الغيب وتفسيره، فهذا الذي لا مطمع لأحد في الوصول إليه بصحيح النظر، ولا برجحان الفكر، ولا بقوّة الذهن، بل يجب الإيمان به كما جاء من دون زيادة ولا تنقيص.

ولهذا كان من ادّعى علم شيء من ذلك غير مسند إلى كتاب أو سنة صحيحة، قد افترى على الله وتقوّل عليه بغير علم ولا برهان، وقد أشار المصنف الشيخ ابن باديس رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

يقول الحافظ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى:

«قال قادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم،

---

(١) المرجع السابق: (٢/ ١١٢).

(٢) طرف من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، أخرجه النسائي: (٣/ ٥٤، ٥٥)، وابن حبان: (٥٠٩)، قال محققاً زاد المعاد وفقهما الله تعالى: «سنده قويّ» (٣/ ١٧).

(٣) راجع تفسير ابن كثير: (١/ ٣٦).

. . . .

فإنّ الله تعالى سائلك عن ذلك كلّه انتهى. ومضمون ما ذكروه أنّ الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل الظنّ الذي هو التوهّم والخيال»[١]. اهـ.

فإذا فهمت هذا أخي المسلم، فاعلم أنّ ما يدّعيه الدجّالون من علم الغيب، كذب وافتراء على الله تعالى ورسوله ﷺ، وتضليل لعباد الله عزّ وجلّ، ولهذا كان من عقائد أهل السنة والجماعة أنّهم لا يصدقون كاهناً ولا عرّافاً[٢]، لقول نبيّهم ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً، فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٣].

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أنّ المدّعين للغيب والكهّان ليسوا بشيء، فعن أم عبد الله عائشة رضي الله عنها، قالت: «**سأل رسولَ الله ﷺ ناس عن الكهّان؟ فقال: ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنّهم يحدّثون أحياناً بالشيء فيكون حقّاً؟ فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحقّ يخطفها الجنيّ فيقرقرها في أذن وليّه، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة**»[٤].

---

(١) المرجع السابق: (٣/ ٣٩).

(٢) كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: «ولا نصدق كاهناً ولا عرّافاً، ولا من يدّعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة»، شرح الطحاوية: (٣/ ٧٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود: (٣٩٠٤)، والترمذي: (١٣٥)، وابن ماجة: (٦٣٩)، والبيهقي: (٧/ ١٩٨)، وأحمد: (٢/ ٤٠٨، ٤٢٩، ٤٧٦)، والدارمي: (١/ ٢٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في الكبائر (ص: ١٤٣): «إسناده صحيح»، وانظر صحيح سنن الترمذي للألباني: (١١٦).

(٤) أخرجه البخاري: (٣٢١٠ ـ ٥٧٦٢ ـ ٦٢١٣ ـ ٧٥٦١)، وعلقه برقم: (٣٢٨٨)، وفي الأدب المفرد: (٨٨٢)، ومسلم: (٢٢٢٨)، والبغوي في شرح السنة: (٣٢٥٨)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٣/ ١١٤، ١١٥). والكهانة ـ بفتح الكاف ويجوز كسرها ـ ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيها استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن.
والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم، ويطلق على من =

. . . .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

«كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهّان في الوقائع والأحكام، ويرجعون إلى أقوالهم، وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية، لكن بقي في الوجود من يتشبّه بهم، وثبت النهي عن إتيانهم، فلا يحلّ إتيانهم ولا تصديقهم»[١]. اهـ.

فقد أخبر رسول الله ﷺ ـ والحمد لله ـ أن كلام أولئك القوم ليس بشيء، والعرب تقول لمن عمل شيئاً لم يحكمه: ما عمل شيئاً[٢]، وقد أورد السائل إشكالاً على عموم قوله: «ليسوا بشيء» بقوله: «فإنهم يتحدثون»، ويخبرون عن وقائع حدثت فعلاً، فأجابه ﷺ عن سبب ذلك الصدق، وأنّ إصابة الكاهن أحياناً إنّما هي لأنّ الجنيّ يلقي إليه الكلمة التي يسمعها استراقاً من الملائكة فيزيد عليها أكاذيب يقيسها على ما سمع، فربما أصاب نادراً، وخطؤه الغالب. وهؤلاء الكهّان فيما علم بشهادة الامتحان قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطبائع

= يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٠/ ٢٦٧)، وراجع شرح السنة للبغوي رحمه الله تعالى: (١٢/ ١٨٢).
وقوله ﷺ: «فيقرقرها»، أي: يرددها، يقال: قرقرت الدجاجة تقرقر قرقرة، إذا رددت صوتها.
قال الخطابي: يقال أيضاً قرت الدجاجة تقر قراً وقريراً، وإذا رجعت في صوتها قيل: قرقرت قرقرة وقرقريرة.
وفي رواية: «فيقرّها في أذن وليّه»، بفتح أوّله وثانيه وتشديد الراء، أي: يصبها، تقول: قررت على رأسه دلواً، إذا صببته، فكأنه صبّ في أذنه ذلك الكلام، قال القرطبي: ويصح أن يقال ألقاها في أذنه بصوت، يقال قرّ الطائر إذا صوّت. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٠/ ٢٧٠).

(١) فتح الباري: (١٠/ ٢٧٠).
(٢) أخرج البخاري رحمه الله تعالى حديث عائشة المتقدم تحت باب: قول الرجل للشيء ليس بشيء، وهو ينوي أنه ليس بحق. انظر الفتح: (١٠/ ٧٢٩).

. . . .

نارية، فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم، ويستفتونهم في الحوادث فيلقون إليهم الكلمات[١].

فهذا أخي المسلم قول الصادق المصدوق ﷺ يخبر عن هؤلاء الدجّالين المضلّين، فهل بعد ذلك تؤمن بالجبت والطاغوت، ويكون حالك كـ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال جابر رضي الله عنه: «الطواغيت كهّان ينزل عليهم الشيطان».

وقال عكرمة: «الجبت بلسان الحبشة: الشيطان، والطاغوت: الكاهن»[٢].

أم أنّك ـ أخي المسلم ـ بعد ما سمعت آيات الله تتلى عليك، وأحاديث رسول الله ﷺ تعرض عليك، تؤمن بالأبراج التي ملئت بها الصحف والمجلاّت، فهي من الكهانة التي يحرم عليك أن تؤمن بها، أو أن تطالعها.

وجملة القول، أنّ الله تعالى حجب الغيب عن عباده ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾، «وفي الآية ردّ على المنجّمين، وعلى كلّ من يدّعي أنّه يطّلع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك، لأنّه مكذّب للقرآن، وهم أبعد شيء من الارتضا مع سلب صفة الرسلية عنهم»[٣].

ولذلك «يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئاً من ذلك من الأسواق، وينكر عليهم أشدّ النّكير وعلى من يجيء

---

(١) راجع فتح الباري: (١٠/ ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) انظر شرح السنة للبغوي: (١٢/ ١٧٩).

(٣) فتح الباري: (١٣/ ٤٤٦)، وقال الطيبي رحمه الله تعالى: «... فلا يظهر على غيبه إظهاراً تاماً، وكشفاً جلياً، إلا لرسول يوحي إليه مع ملك وحفظة، ولذلك قال: «فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً»... وأمّا الكرامات فهي من قبيل التلويح واللمحات». اهـ الفتح: (١٣/ ٤٤٦).

. . . .

إليهم، ولا يغترّ بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممّن ينسب إلى العلم، فإنّهم غير راسخين في العلم، بل من الجهّال بما في إتيانهم من المحذور»[١].

فائدتان:

الفائدة الأولى:

قال الإمام ابن أبي جمرة الأندلسي رحمه الله تعالى:

«يؤخذ من كون الكتاب المذكور فوق العرش، أنّ الحكمة اقتضت أن يكون العرش حاملاً لما شاء الله من أثر حكمة الله وقدرته وغامض غيبه، ليستأثر هو بذلك من طريق العلم والإحاطة، فيكون من أكبر الأدلة على انفراده بعلم الغيب»[٢]. اهـ.

الفائدة الثانية:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«... ونقل ابن التّين عن الداودي أنّه أنكر على الطبري دعواه أنّه بقي من الدنيا من هجرة المصطفى نصف يوم، وهو خمسمائة عام، قال: وتقوم الساعة ويعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير الباري تعالى، فلا يبقى غير وجهه، فردّ عليه بأنّ وقت الساعة لا يعلمها إلاّ الله، فالذي قاله مخالف لصريح القرآن والحديث، ثمّ تعقّبه من جهة أخرى، وذلك أنّه توهّم من كلامه أنّه ينكر البعث فأقدم على تكفيره، وزعم أن كلامه لا يحتمل تأويلاً، وليس كما قال، بل مراد الطبري أن يصير الأمر ـ أي بعد فناء المخلوقات كلّها ـ على ما كان عليه أوّلاً، ثمّ يقع البعث والحساب، هذا الذي حمل كلامه عليه، وأمّا إنكاره عليه

(١) من كلام الإمام القرطبي رحمه الله تعالى، انظر فتح الباري: (١٠/٤٤٦).

(٢) فتح الباري: (١٣/٥٠٥).

. . . .

استخراج وقت الساعة فهو معذور فيه، ويكفي في الردّ عليه أنّ الأمر وقع بخلاف ما قال، قد مضت خمسمائة ثمّ ثلاثمائة وزيادة، لكنّ الطبري تمسّك بحديث أبي ثعلبة رفعه: «لن يعجز هذه الأمة أن يؤخرها الله نصف يوم» الحديث، أخرجه أبو داود وغيره، لكنّه ليس صريحاً في أنّها لا تؤخر أكثر من ذلك، والله أعلم»[1]. اهـ.

ثمّ اعلم أنّ من جملة ما استأثر الله بعلمه علم القضاء والقدر، الذي يجب الإيمان به وعدم التنقيب عليه، فناسب أن يذكره المصنف الشيخ ابن باديس رحمه الله تعالى بعد هذا الفصل، كما قال زيد بن أسلم رحمه الله تعالى في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]، قال: «بالقدر»[2].

---

(١) المرجع السابق: (٨/ ٦٥٣، ٦٥٤)، وانظر رحمك الله كيف عذر الحافظ رحمه الله تعالى الإمام الطبري، وحمل كلامه على أحسن المحامل، وهذا الخلق الرفيع غاب بين أهل الحق إلا من رحم الله.

(٢) انظر تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/ ٣٦).

الإيمان بالقدر

[٥٣] القدر في اللغة هو: الإحاطة بمقدار الشيء، تقول: قدرت الشيء أقدره قدراً، إذا أحطت بمقداره.

وقدر الله تعالى هو: تعلّق علمه وإرادته أزلاً بالكائنات كلّها قبل وجودها، فلا حادث إلاّ وقد قدّره الله تعالى، أي سبق به علمه وتقدّمت به إرادته، فكلّ حادث فهو حادث على وفق ما سبق به علم الله، ومضت به إرادته.

لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ولقوله ﷺ في حديث سؤال جبريل عليه السلام: **«... وتؤمن بالقدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه».**

---

[٥٣] «القدر مصدر، تقول: قدرت الشيء، بتخفيف الدال وفتحها، أقدره بالكسر والفتح، قدَراً وقدِراً، إذا أحطت بمقداره»[١].

والقدر أيضاً «اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء وقدته بالتشديد والتخفيف، فهو قدر أي مقدور ومقدّر، كما يقال: هدمت البناء، فهو هدم أي مهدوم، وقبضت الشيء، فهو قبض، أي مقبوض»[٢].

(١) انظر فتح الباري: (١/١٥٧).
(٢) انظر الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ٦٧).

. . . .

قال الراغب الأصبهاني رحمه الله تعالى:

«القدر بوضعه يدلّ على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم، ويتضمّن الإرادة عقلاً والقول نقلاً، وحاصله وجود الشيء في وقت، وعلى حال بوفق العلم والإرادة والقول، وقدّر الله الشيء بالتشديد: قضاه، ويجوز التخفيف»(١).

«والمراد أنّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنّه يوجد، فكلّ محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين والبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين»(٢).

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«فالإيمان بالقدر: هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من أسباب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرّها»(٣). اهـ.

وقال الإمام ابن بطّة رحمة الله عليه:

وأمّا القدر فعلى وجهين:

أحدهما: فرض علينا علمه، ومعرفته، والإيمان به، والتصديق بجميعه.

والآخر: فحرام علينا التفكّر فيه، والمسألة عنه، والمناظرة عليه، والكلام لأهله، والخصومة به.

فأمّا الواجب علينا علمه والتصديق به والإقرار بجميعه، أن نعلم أنّ الخير والشرّ من الله، وأنّ الطاعة والمعصية بقضاء وقدره، وأنّ ما أصابنا لم يكن

---

(١) انظر فتح الباري: (١١/ ٥٨٢)، ويراجع لسان العرب: (٥/ ٧٤).
(٢) المرجع نفسه: (١/ ١٥٨).
(٣) كتاب الاعتقاد: (ص: ٦٧).

. . . .

ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأنّ الله خلق الجنّة وخلق لها أهلاً، علمهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، ووفقهم لأعمال صالحة رضيها، أمرهم بها فوفقهم لها، وأعانهم عليها، وشكرهم بها، وأثابهم الجنة عليها تفضلاً منه ورحمة.

وخلق النار وخلق لها أهلاً أحصاهم عدداً، وعلم ما يكون منهم، وقدّر لهم ما كرهه لهم خذلهم بها، وعذّبهم لأجلها غير ظالم لهم، ولا هم معذورون فيما حكم عليهم به، فكلّ هذا وأشباهه من علم القدر الذي لزم الخلق علمه والإيمان به، والتسليم لأمر الله وحكمه وقضائه وقدره، فلا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون. . .

وأمّا الوجه الآخر من علم القدر، الذي لا يحلّ النّظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول، فيه كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ ممّا هو سرّ الله المخزون، وعلمه المكتوم، الذي لا يطّلع عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً، وحجب العقول عن تخيّل كنه علمه، والنّاظر فيه كالنّاظر في عين الشمس، كلّما ازداد فيه نظراً، ازداد فيه تحيّراً، ومن العلم بكيفيتها بعداً.

فهو التفكّر في الربّ عزّ وجلّ، كيف فعل كذا وكذا، ثمّ يقيس فعل الله عزّ وجلّ بفعل عباده، فما رآه من العباد جوراً يظن أنّ ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين:

إمّا أن يعترف لله عزّ وجلّ بقضائه وقدره، ويرى أنّه جور من فعله.

وإمّا أن يرى أنّه ممّن ينزّه الله عن الجور، فينفي عنه قضاؤه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته.

فهذا من علم القدر الذي لا يحل البحث عنه، ولا الكلام فيه، ولا التفكّر فيه، وبكل ذلك. . . نزل القرآن، وجاءت السنة، وأجمع المسلمون من أهل التوحيد عليه. . .»[١]. اهـ.

---

(١) الإبانة، قسم القدر: (١/٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٢).

. . . .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «**خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: هذا الكتاب من ربّ العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثمّ أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أحداً، وقال: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثمّ أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أحداً، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمراً قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا، فإنّ صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإنّ صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثمّ قال بيده فنبذها، ثمّ قال: فرغ ربّكم من العباد** ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾»[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**إنّ العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»[2].

قال طاووس رحمه الله تعالى: «أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون: كلّ شيء بقدر»[3].

---

(١) أخرجه أحمد: (٢/ ١٦٧)، والترمذي في السنن، كتاب القدر، باب: ما جاء أنّ الله كتب كتاباً لأهل الجنة والنار، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة: (٢/ ٥٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة: (١/ ١٥٤)، والآجرّي في الشريعة: (ص: ١٧٣، ١٧٤)، وقال الترمذي رحمه الله تعالى: «حسن صحيح غريب»، وقال الألباني رحمه الله تعالى: «صحيح»، انظر المشكاة: (١/ ٣٦) والسلسلة الصحيحة: (٢/ ٥٢٨).

وقال الإمام ابن الأثير رحمه الله تعالى: «أجملت الحساب، إذا جمعته وكملت أفراده، أي جمعوا، يعنى أهل الجنة والنار عن آخرهم، وعقدت جملتهم، فلا يتطرق إليها زيادة ولا نقصان». انظر جامع الأصول: (١٠/ ١٠٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (٢٤٦)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه اللالكائي: (٤/ ٦٤٠) برقم: ١٠٢٧.

. . . .

وقال أيّوب السختياني رحمه الله تعالى: «أدركت الناس وما كلامهم إلاّ: وإن قضى وإن قدّر»[١].

«وهو مذهب أهل السنة والجماعة يتوارثونه خلفاً عن سلف، من لدن رسول الله ﷺ بلا شكّ ولا ريب»[٢].

هذا، وللقضاء والقدر أربع مراتب، يجب الإيمان بجميعها وهي:

١ ـ علم الربّ سبحانه بالأشياء قبل كونها، وعلمه بما لم يكن لو كان كيف يكون.

٢ ـ كتابته لها قبل كونها.

٣ ـ مشيئته لها، وأنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في ملك الله إلاّ ما يريد.

٤ ـ خلقه سبحانه تعالى لجميع الأعمال وتكوينه وإيجاده لها.

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنّ القدر سرّ من أسرار الله تعالى، كما سئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن القدر، فقال: «شيء أراد الله ألاّ يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم»[٣].

وعن يحيىٰ بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى، قال: «من أحبّ أن يفرح بالله، ويتمتّع بعبادة الله، فلا يسألنّ عن سرّ الله ـ يعني القدر ـ»[٤].

---

(١) المرجع السابق: (٣/ ٥٩٢).

(٢) المرجع نفسه: (٣/ ٥٩٤)، وقال أبو الأسود الديلي رحمه الله تعالى: «ما رأينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت القدر» (٤/ ٦٤٦)، وانظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٤/ ٧٣٣) لتقف على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، و(٤/ ٧٥١) لتقف على أقوال التابعين لهم بإحسان رحمهم الله تعالى.

(٣) الإبانة لابن بطة رحمه الله تعالى، قسم القدر: (١/ ٢٤٣) رقم: ١٢٨٠.

(٤) المرجع نفسه: (١/ ٢٤٣)، رقم: ١٢٨٢.

. . . .

ولهذا قال الإمام الآجريّ رحمه الله تعالى:

«لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر، لأنّ القدر سرّ من سرّ الله، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شرّ واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثمّ لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذّب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضلّ عن طريق الحقّ. . . هذا مذهب المسلمين، وليس لأحد على الله حجة، بل لله الحجة على خلقه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. . .»[١]. اهـ.

«والتعمّق والنّظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلّم الحرمان، ودرجة الطّغيان، فالحذر كلّ الحذر من ذلك، نظراً، وفكراً، ووسوسة، فإنّ الله تعالى طوى علم القدر على أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل لِمَ فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين»[٢]. اهـ.

ولهذا قال الإمام أبو المظفّر بن السمعاني رحمه الله تعالى:

«. . . قد ذكرنا أنّ سبيل معرفة هذا الباب التّوقيف من قبل الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد المعقول، فمن عدل عن التّوقيف في هذا الباب ضلّ وتاه في بحار الحيرة[٣]، ولم يبلغ شفاء النّفس ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب، وذلك لأنّ القدر سرّ من سرّ الله، وعلم من علمه ضربت دونه الأستار،

---

(١) الشريعة: (٢/ ٦٩٨).

(٢) من كلام الإمام الطحاوي رحمه الله، انظر العقيدة الطحاوية شرح وتعليق للألباني: (ص: ٥٠)، والخوض في القدر أمّ كل بلية كما قال المعلمي رحمه الله، التنكيل: (٢/ ٢٤٦).

(٣) سئل مسلم بن يسار رحمه الله تعالى عن القدر، فقال: «واديان عميقان لا يدرك غورهما، قف عند أدناه، واعمل عمل رجل يعلم أنه يجزى بعمله، وتوكل توكل رجلٍ يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له». انظر الإبانة لابن بطة رحمه الله تعالى قسم القدر: (١/ ٢٤٢) رقم: ١٢٧٨.

. . . .

وكفّت عليه الأزرار، واختصّ الله به علاّم الغيوب[١]، حجبه عن عقول البشر ومعارفهم، لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حدّ لنا فيه، وأن لا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلّف، والاقتحام فيه تعمّق وتهوّر.

وجماع هذا الباب أن يعلم أنّ الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدّره على عباده، فلم يطلع عليه نبيّاً مرسلاً ولا ملكاً مقرّباً، لأنّه خلقهم ليعبّدهم ويمتحنهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وقد نقلنا عن علي رضي الله عنه أنه خلقهم ليأمرهم بالعبادة[٢].

فلو كشف لهم عن سرّ ما قضى وقدّر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتّكلوا على مصير الأمر في العاقبة، فيكون قصاراهم عند ذلك أمن وقنوط، وفي ذلك بطلان العبادة، وسقوط الخوف والرّجاء، فلطف الله سبحانه بعباده، وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلّقهم بين الخوف والرجاء، والطّمع والوجل، ليبلوَ سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، ولله الحجّة البالغة»[٣]. اهـ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

«وهذا التعمّق هو المراد ـ والله أعلم ـ بقوله ﷺ: «**..وإذا ذكر القدر فامسكوا**»، وهو حديث صحيح، روي عن جمع من الصحابة، وقد خرّجته في

---

(١) وذلك أنّ الله تعالى علم علماً علمه العباد، وعلم علماً لم يعلمه العباد، فمن يطلب العلم الذي حجبه تعالى عن العباد لم يزدد إلا بعداً. راجع ذم التأويل للإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى: (ص: ٢٣٣)، وجامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى، فقرة رقم: ١٨٠٤.

(٢) راجع معنى الآية تفسير ابن كثير: (٤/ ٢١٣).

(٣) انظر الحجة في بيان المحجة: (٢/ ٣٠، ٣١)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١١/ ٥٨٢).

. . . .

الصحيحة: [٢٤]. . .»[١].اهـ.

«وهذا الذي قرره أهل العلم في معرفة القدر، يضع لنا عدّة قواعد في غاية الأهميّة:

الأولى: وجوب الإيمان بالقدر.

الثانية: الاعتماد في معرفة القدر وحدوده وأبعاده على الكتاب والسنة، وترك الاعتماد في ذلك على نظر العقول، ومحض القياس.

الثالثة: ترك التعمّق في البحث في القدر، وهذا صيانة للعقل، لا حجراً عليه. . .»[٢].

ثمّ إنّ للعبد «في حال المقدور حالان: حال قبل القدر، وحال بعده. فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكّل عليه ويدعوه، فإذا قدّر المقدور بغير فعله، فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به[٣]، وإن بفعله وهو نعمة، حمد الله على ذلك، وإن كان ذنباً استغفر إليه من ذلك»[٤].

---

(١) العقيدة الطحّاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٠)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقد أخرج الطبراني بسند حسن من حديث ابن مسعود رفعه: إذا ذكر القدر فأمسكوا». فتح الباري: (١١/ ٥٨٢).

(٢) القضاء والقدر للدكتور الأشقر حفظه الله تعالى: (ص: ٤٨).

(٣) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «والفرق بين الرضا والصبر، أنّ الصبر كف النفس وحبسها عن التسخّط مع وجود الألم، وتمنّي زوال ذلك، وكفّ الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكليّة».اهـ جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٨٧، ٤٨٨).

(٤) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٨/ ٧٦).

. . . .

فائدة:

قال العلاّمة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«وأمّا وصف القدر بالشرّ، فالمراد به شرّ المقدور، ولا شرّ القدر الذي هو فعل الله، فإنّ فعل الله عزّ وجلّ ليس فيه شرّ، كلّ أفعاله خير وحكمة، لكن الشرّ في مفعولاته ومقدوراته، فالشرّ هنا باعتبار المقدور والمفعول، أمّا باعتبار الفعل فلا، ولهذا قال النّبيّ ﷺ: «..**والشرّ ليس إليك**». . .»[1] .اهـ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّه لا ينافي هذا قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح: «**والخير كلّه بيديك،**

---

(١) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٧٠)، (٢/ ١٩١)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم: (٧٧١)، وأبو داود: (٧٦٠)، والنسائي: (٢/ ١٣٠)، وأحمد: (٧٢٩)، وابن حبان: (٤٤٥)، من حديث علي رضي الله عنه.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وأمّا قوله: والشرّ ليس إليك، فمما يجب تأويله، لأنّ مذهب أهل الحق أنّ كلّ المحدثات فعل الله تعالى وخلقه، سواء خيرها وشرّها، وحينئذٍ يجب تأويله وفيه خمسة أقوال:

أحدها: معناه، لا يتقرّب به إليك، قاله الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحاق بن راهويه، ويحيىٰ بن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري، وغيرهم.

والثاني: حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني، وقاله غيره أيضاً، معناه: لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال: يا خالق القردة والخنازير، ويا ربّ الشرّ، ونحو هذا، وإن كان خالق كلّ شيء وربّ كلّ شيء، وحينئذٍ يدخل الشرّ في العموم.

والثالث: معناه، والشرّ لا يصعد إليك، إنّما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح.

والرابع: معناه، والشرّ ليس شرّاً بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شرّ بالنسبة إلى المخلوقين.

والخامس: حكاه الخطابي أنه كقولك: «فلان إلى بني فلان، إذا كان عداده فيهم أو صفوه إليهم». انظر شرح صحيح مسلم: (٣/ ٣١٧)، طبعة دار أبي حيان بمصر.

. . . .

والشرّ ليس إليك» رواه مسلم، لأنّ المعنى: **فإنّك لا تخلق شرّاً محضاً**، بل كلّ ما يخلقه فيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شرّ لبعض الناس، فهذا الشرّ جزئي إضافي، فأمّا شرّ كلّي أو شر مطلق، فالربّ سبحانه وتعالى منزّه عنه... وراجع التفاصيل إن شئت في شفاء العليل لابن القيم رحمه الله تعالى، ومنه تعلم كذب من نسب إليّ أنّ للشرّ خالقاً غير الله تعالى»[1].

ولا تجزع أخي المسلم لما قاله أهل العلم من وجوب تأويل معنى الشر في الحديث السابق الذكر، وذلك أنّهم لم يريدوا ترك كل ما يسمّى تأويل، وإنّما مرادهم ذم التأويل الفاسد وأهله.

يقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر به، وتأويل الأمر نفس الأمر المأمور به، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: **«سبحانك اللهم ربّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»** يتأول القرآن[2]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ

---

(١) انظر العقيدة الطحاوية شرح وتعليق: (ص: ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: (٨١٧ ـ ٤٩٦٨)، ومسلم: (٤٨٤)، وأبو داود: (٨٧٧)، وابن ماجة: (٨٨٩)، والنسائي: (٢/ ١٩٠، ٢١٩)، وأحمد: (٦/ ٢٣٠).

ومثله قوله ﷺ في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، أخرجه أحمد: (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥)، والطبراني في الكبير: (١٠٦١٤)، وقد عزاه ابن أبي العز في شرح الطحاوية للبخاري وهذا خطأ منه رحمه الله تعالى، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «...وذكر الحميدي في الجمع أنّ أبا مسعود ذكره في أطراف الصحيحين بلفظ: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، قال الحميدي: وهذه الزيادة ليست في الصحيحين، قلت: وهو كما قال، نعم هي في رواية سعيد بن جبير... عند أحمد وابن حبان والطبراني، ورواها ابن سعد من وجه آخر عن عكرمة مرسلاً». فتح الباري: (١/ ٢٢٤). وقال: «...وهذه اللفظة اشتهرت على الألسنة: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، حتى نسبها بعضهم للصحيحين ولم =

. . . .

يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ومنه تأويل الرؤيا وتأويل العمل، كقوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فمن ينكر وقوع مثل هذا التأويل، والعلم بما تعلق بالأمر والنهي منه؟!

وأمّا ما كان خبراً، كالإخبار عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يعلم تأويلاه الذي هو حقيقته إذ كانت لا تعلم بمجرد الأخبار، فإنّ المخبر إن لم يكن قد تصوّر المُخبر به، أو ما يعرفه قبل ذلك، لم يعرف حقيقته التي هي تأويله بمجرد الأخبار، وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلاّ الله، لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المخاطب إياه، فما في القرآن آية إلاّ وقد أمر الله بتدبّرها، وما أنزل آية إلاّ وهو يحبّ أن يعلم ما عني بها، وإن كان من تأويله ما لا يعلمه إلاّ الله، فهذا معنى التأويل في الكتاب والسنة وكلام السلف، سواء كان هذا التأويل موافقاً للظاهر أو مخالفاً له.

والتأويل في كلام كثير من المفسرين، كابن جرير ونحوه، يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف، وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقّه، ويردّ باطله»[1].

وقال رحمه الله تعالى:

= يصب، والحديث عند أحمد بهذا اللفظ من طريق ابن خيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وعند الطبراني من وجهين آخرين، وأوله في هذا الصحيح من طريق عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن عباس، دون قوله: «وعلمه التأويل»، وأخرجها البزار من طريق شعيب بن بشر، عن عكرمة: اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل». اهـ فتح الباري: (١٢٧/٧).

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢٥٢/١، ٢٥٣، ٢٥٤).

. . . .

«فالتأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو تأويل فاسد. . .»[١].

فعلى هذا يتنزل كلام الأئمة رحمه الله تعالى، والله تعالى أعلم.

---

(١) المرجع السابق: (١/٢٥٦).

[٥٤] وكما سبق قدر الله للأشياء قبل أن يخلقها، كذلك كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقها، لقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «**سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق**[١] **قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»، رواه مسلم[٢].

---

[٥٤] يعتقد أهل السنة والجماعة أنّ الإيمان بالقضاء والقدر لا يتم إلاّ بأربعة أمور، وهي مراتبه وأركانه، ومنها الكتابة للمقدور، وهي الإيمان بأنّ الله كتب ما سبق به علمه من مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ كما مرّ معنا في الفقرة السابقة[٣]، دلّ على ذلك الكتاب والسنة الصحيحة وقد ذكر بعضها المصنف رحمه الله تعالى.

---

(١) في (ح) «كتب الله مقادير الأشياء ـ أي الخلائق ـ . . .».

(٢) في كتاب القدر، باب: حجاج آدم موسى عليهما السلام: (١٦/ ٢٠٣ نووي)، والترمذي: (٢٢٤٥ تحفة)، وأحمد: (٢/ ١٦٩)، والبيهقي في الاعتقاد: (ص: ٦٩)، وفي الأسماء والصفات: (٧٩٨)، بلفظ: «قدّر الله المقادير»، و(٧٩٩) بلفظ: «فرغ الله عزّ وجلّ من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض. . .» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٢/ ٧٧٤)، وأخرجه الخطيب في التاريخ: (٢/ ٢٥٢)، والآجرّي في الشريعة: (ص: ١٧٦)، والبغوي في شرح السنة: (٦٧).

(٣) واذكر هنا كلاماً للإمام العلاّمة ابن القيّم رحمه الله تعالى، قال: «. . .عندهم ـ أي أهل السنة والجماعة ـ أربع مراتب جاءهم بها نبيّهم، وأخبر بها عن ربّه تعالى، الأولى: علمه السابق بما هم عاملون قبل إيجادهم. الثانية: كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض. الثالثة: مشيئته المتناولة لكلّ وجود، فلا خروج لكائن عن مشيئته، كما لا خروج له عن علمه. الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه، =

. . . .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ، قال: «**...رفعت الأقلام وجفّت الصحف**»(١).

وعن جابر رضي الله عنه أنّ رجلاً قال: «**يا رسول الله، فيم العمل اليوم، أفيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: لا، بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل؟ قال: اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له**»(٢).

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنّ النبيّ ﷺ، قال: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلاّ كتب مكانها من الجنّة والنّار، وإلاّ كتبت شقيّة أو سعيدة...**»(٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال لي النّبيّ ﷺ: «**جفّ القلم بما أنت لاق**»(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«قوله: جفّ القلم، أي فرغت الكتابة، إشارة إلى أنّ الذي كتب في اللوح

= فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كلّ شيء...». اهـ طريق الهجرتين وباب السعادتين: (ص: ١١٢).

(١) سبق تخريجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (ص: ٢٤١)، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «هو كناية عن تقدّم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد، فإنّ الكتاب إذا فرغ من كتابته ورفعت الأقلام عنه وطال عهده، فقد رفعت عنه الأقلام، وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفت الصحيفة التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دلّ الكتاب والسنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى». جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٦٤٨).

(٣) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى: (ص: ٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري: (٥٠٧٦)، وذكره معلقاً في كتاب القدر، انظر فتح الباري: (١١/ ٥٩٨)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وصله الإسماعيلي والجوزقي والفريابي في كتاب القدر».

. . . .

المحفوظ لا يتغيّر حكمه، فهو كناية عن الفراغ من الكتابة، لأنّ الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها، وكذلك القلم، فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم.

وقال الطيّبي: هو من إطلاق اللازم على الملزوم، لأنّ الفراغ من الكتابة يستلزم جفاف القلم.

قلت: وفيه إشارة إلى أنّ كتابة ذلك انقضت من أمد بعيد. . .»[١]. اهـ.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى:

«وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دلّ الكتاب والسنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى»[٢]. اهـ.

وقال الإمام ابن بطّال رحمه الله تعالى:

«كلّ ما كتبه الله على الآدمي فهو قد سبق في علم الله، وإلاّ فلا بد أن يدركه المكتوب عليه، وإنّ الإنسان لا يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه إلاّ أنّه يلام إذا واقع ما نهى بحجب ذلك عنه وتمكينه من التمسّك بالطاعة»[٣]. اهـ.

ثمّ اعلم أخي المسلم أنّ «كتاب الله ولوحه وقلمه من غيبه، ومن علمه الذي يلزمنا الإيمان به، ولا يلزمنا معرفة صفته، وإنّما خوطبنا بما عهدنا فيما فرغنا من كتابته أنّ القلم يصير جافاً للاستغناء عنه»[٤].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عن اللوح:

«وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾

---

(١) فتح الباري: (١١/ ٥٩٨).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٨٢، ٤٨٣).

(٣) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١١/ ٦١٣).

(٤) من كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى، انظر فتح الباري: (١١/ ٥٩٨).

. . . .

[البروج: ٢٢]، وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به، ولا يعرف حقيقته إلاّ الله، واعتقاد أنّ بعض الصالحين يطّلعون على ما فيه كفر بالآيات والأحاديث المصرحة بأنّه لا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى»[١]. اهـ.

فائدة:

قال الإمام المباركفوري رحمه الله تعالى شارحاً قوله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق...**» الحديث، قال:

«قال بعض الشرّاح: أي أمر الله القلم أن يثبت في اللوح ما سيوجد من الخلائق ذاتاً، وصفة، وفعلاً، وخيراً، وشرّاً على ما تعلّقت به إرادته»[٢]. اهـ.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

«قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإنّ ذلك أولي لا أوّل له، وقوله: «وعرشه على الماء»، أي: قبل خلق السموات والأرض، والله أعلم»[٣]. اهـ.

---

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٣).

(٢) تحفة الأحوذي: (٦/ ٣٧٠).

(٣) شرح صحيح مسلم: (٨/ ٤٥٤).

العمل بالشرع والجد في السعي مع الإيمان بالقدر

[٥٥] الشرع معلوم لنا، وضعه الله لنسيِّر عليه أعمالنا[١]، والقدر مغيَّب عنا، أمرنا الله بالإيمان به لأنّه من مقتضى كمال العلم، والإرادة من صفات ربّنا، فالقدر في دائرة الاعتقاد، والشرع في دائرة العمل.

وعلينا أن نعمل بشرع الله، ونتوسل إلى المسببات المشروعة بأسبابها، ونؤمن بسبق قدر الله تعالى، فلا يكون إلاّ ما قدره[٢] منها، فمن سبقت له السعادة يسِّر لأسبابها، ومن سبقت له الشقاوة يسِّر لأسبابها.

لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «**كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثمّ قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلاّ كتب مكانها من الجنة والنار، وإلاّ كتبت شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة، فسيصير إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى الشقاوة؟ فقال: اعملوا فكل ميسّر، أما أهل السعادة فسيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسيُيسرون لعمل أهل الشقاوة، ثمّ قرأ قول الله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]»، رواه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) في (ح) «وضعه الله لنسير عليه في أعمالنا».

(٢) في (ح) «إلا ما قدره الله منها».

(٣) أخرجه البخاري: (٤٩٤٥ ـ ٤٩٤٦ ـ ٤٩٤٧ ـ ٤٩٤٨ ـ ٤٩٤٩)، ومسلم في القدر: =

ولحديث أبي هريرةﷺ، قال: «**قال رسول الله ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت... كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان**»، رواه مسلم(١).

---

[٥٥] إنّ الامتثال لأوامر الله تعالى وشرعه هو قيام بموجب العبودية، والإيمان بالقضاء والقدر من صفات عباد الله المؤمنين المتقين، كما قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١ ـ ٢]، فالمؤمن مطالب بالقيام بحقوق العبودية، والإيمان بما أخبر الله ورسوله به من علم الغيب.

وإنّ الإيمان بالقدر، وسبق الكتاب، وفراغ الأمر، لا ينافي القيام بحق العبودية، فإنّ ذلك من صفات أهل البدع والضلالات، بل الواجب الحرص على

= (١٦/ ١٩٦، ١٩٧ نووي)، والترمذي: (٢٢١٩ ـ ٣٤٠٢ تحفة)، وأبو داود: (٤٦٩٤) وابن ماجة: (٧٨)، وأحمد: (١/ ٨٢، ١٢٩)، وابن حبان: (٣٣٥ ـ ٣٣٦ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة: (٧٢)، وغيرهم.
قال أبو عبيد رحمه الله تعالى: [المخصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو عنزة، ومنه أن يمسك الرجل بيد صاحبه، فيقال: فلان مخاصر فلاناً قال الفراء: يقال خرج القوم متخاصرين، إذا كان بعضهم آخذ بيد بعض. قال القتيبي: التخصر إمساك القضيب باليد، والمخصرة: ذلك القضيب، وجمعها مخاصر.
قوله: «نكت بها في الأرض»، أي ضربها بها، قوله ﷺ: «ما من نفس منفوسة»، أي مولودة، يقال: نُفِسَت المرأة ونَفِسَت، إذا ولدت، فإذا حاضت قلت: نَفِسَت بفتح النون لا غير. قوله: «ميسّر»، أي: مهيأ ومصروف إليه] انظر شرح السنة للإمام البغوي: (١/ ١٣٢، ١٣٣).

(١) في القدر: (١٦/ ٢١٥ نووي)، وابن ماجة: (٧٩ ـ ٤١٦٨)، وأحمد: (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠)، والبيهقي في السنن: (١٠/ ٨٩)، وفي الأسماء والصفات: (٣٣٣)، وابن حبان: (٥٦٩١ ـ ٥٦٩٢ الإحسان)، والحميدي في المسند: (١١١٤)، وابن أبي عاصم في السنة: (٣٥٦)، وغيرهم.

. . . .

ما ينفع، وهو التقرب إلى الله تعالى بالطاعات والقيام بموجب العبودية.

وذلك أنّ قول الصحابة رضي الله عنهم: «**أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل**»، «مطالبة منهم بأمر يوجب تعطيل العبودية، وذلك أنّ إخبار النّبيّ ﷺ عن سابق الكتاب، إخبار عن غيب علم الله سبحانه وتعالى فيهم، وهو حجة عليهم، فرام القوم أن يتخذوه حجة لأنفسهم في ترك العمل، فأعلمهم النّبيّ ﷺ أنّ ها هنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر:

باطن هو العلة الموجبة في حكم الربوبية، وظاهر هو السمة اللازمة في حق العبودية، وهو أمارة مخيلة غير مفيدة حقيقة العلم، ويشبه أن يكون ـ والله أعلم ـ أنّما عوملوا بهذه المعاملة، وتعبدوا بهذا التعبد ليتعلق خوفهم بالباطن المغيّب عنهم، ورجاؤهم بالظاهر البادي لهم، والخوف والرجاء مدرجتا العبودية، ليستكملوا بذلك صفة الإيمان، وبيّن لهم أنّ كلاً ميسّر لما خلق له، وأنّ عمله في العاجل دليل مصيره في الآجل، وتلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ الآيات.

وهذه الأمور في حكم الظاهر، ومن وراء ذلك علم الله عزّ وجلّ فيهم، وهو الحكيم الخبير، لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، وانظر نظيره في أمرين:

من الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب.

ومن الأجل المضروب في العمر، مع المعالجة بالطب، فإنّك تجد المغيّب فيهما علة موجبة، والظاهر البادي سبباً مخيّلاً، وقد اصطلح الناس، خواصّهم وعوامهم، على أنّ الظاهر فيهما لا يترك بالباطن»[1].

---

(١) من كلام الإمام الخطابي رحمه الله تعالى، انظر شرح السنة للبغوي: (١/ ١٣٣)، وراجع شعب الإيمان للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (١/ ٢٠٦).

. . . .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقاً على حديث أبي هريرة: «**احرص على ما ينفعك**»، قال:

«فأمره بالحرص على ما ينفعه، وهو طاعة الله ورسوله، فليس للعباد أنفع من طاعة الله ورسوله، وأمره إذا أصابته مصيبة مقدرة أن لا ينظر إلى القدر، ولا يتحسر بتقدير لا يفيد، ويقول قدر الله وما شاء فعل، ولا يقول لو أني فعلت لكان كذا، فيقدر ما لم يقع، يتمنى أن لو كان وقع، فإنّ ذلك إنّما يورّث حسرة وحزناً لا يفيد، والتسليم للقدر هو الذي ينفعه»[1].اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«فمن أعرض عن الأمر والنهي، والوعد والوعيد، ناظراً إلى القدر فقد ضل، ومن طلب القيام بالأمر والنهي، معرضاً عن القدر فقد ضل، بل المؤمن كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فنعبده اتّباعاً للأمر، ونستعينه إيماناً بالقدر...»[2].اهـ.

وقال أيضاً:

«ومن المعلوم أنّ الله تعالى أرسل الرسل، وأنزل الكتب لتصدّق الرسل فيما أخبرت، وتطاع فيما أمرت، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾، والإيمان بالقدر من تمام ذلك، فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضاً للأمر فقد أذهب الأصل»[3].اهـ.

ولذلك لمّا سمع الصحابة الكرام قول النّبيّ ﷺ من حديث علي السابق، «قالوا: إذا نجتهد، وفي رواية: فالآن نجد، الآن نجد... ففيه ردّ

---

(١) الاحتجاج بالقدر: (ص: ٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى: (٨/ ٧٣).

(٣) المرجع نفسه: (٨/ ١٠٦).

. . . .

صريح على الجبرية المتوكلة، الذي يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة، فتأمل»[١].

وفي الجملة، فـ «إنّ العبد المؤمن الحصين، لا يترك العمل بدعوى أنّ قدر الله ماضٍ فيه، بل الواجب عليه أن يأخذ الأمر بقوة، يعمل ما يطلبه الله، ويفكر فيما يفيده وينفعه، ثمّ يبذل قصارى جده في القيام بأمر الله، وبالأخذ بالأسباب للأمور التي يظن أنّ فيها نفعه وصلاحه، فإذا لم يوفّق فلا يقضي وقته بالتحسّر والتأسّف، وإنّما يقول في هذا الموضع: قدر الله وما شاء فعل»[٢].

فمن «يفقه عن الله مراده في القدر، يعلم أنّ القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتّكال، بل يدفع إلى الجدّ والاجتهاد والحرص على تحصيل ما ينفعه في الدنيا والآخرة، إلاّ أنّه يجب التنبّه إلى أنّ العبد ـ وإن أخذ بالأسباب ـ، فإنّه لا يجوز أن يعتمد عليها ويتوكّل عليها، بل الواجب أن يتوكّل على خالقها ومنشئها»[٣].

فائدة:

قال الإمام العلاّمة السعدي رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّ استعمال العبد للفظة «لو» تقع على قسمين: مذموم ومحمود.

أمّا المذموم، فكأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه، فيقول: لو أني فعلت كذا كان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأنّ فيه محذورين:

---

(١) من كلام العلاّمة الألباني رحمه الله تعالى، انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٤٩)، وراجع أقوال الصحابة الكرام، كتاب السنة للإمام ابن أبي عاصم رحمه الله تعالى: (١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) انظر القضاء والقدر للدكتور عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى (ص: ٨٩).

(٣) نفسه: (ص: ٨٤)، وراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (٨/ ١٦٧، ١٧٠).

. . . .

أحدهما: أنّها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن، الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيه نفع.

الثاني: أنّ في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره، فإنّ الأمور كلّها، والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما قدّره من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن ردّه، فكأنّ في قوله: لو كان كذا، أو: لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض، ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

ولا ريب أنّ هذين الأمرين المحذورين لا يتمّ للعبد إيمان ولا توحيد إلاّ بهما.

وأمّا المحمود من ذلك، فأن يقولها العبد تمنيّاً للخير، كقوله ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما سقت الهدي، ولأهللت بالعمرة...**»[(١)] . . .

وكما أنّ «لو» «إذا قالها متمنياً للخير فهو محمود، فإذا قالها متمنيّاً للشرّ فهو مذموم، فاستعمال «لو» تكون بحسب الحال الحامل عليها، إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر، أو تمني الشر كان محذوراً. وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم، كان محموداً. . .»[(٢)]. اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري: (١٥٦٨)، ومسلم: (٤/٣٩٦ نووي)، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد: (ص: ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤).

الاحتجاج بالقدر

[٥٦] لا يحتجّ بالقدر في الذنوب، لأنّ حجّة الله قائمة على الخلق بالتمكّن والاختيار والدلالة الشرعية[١]، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزخرف: ٢٠].

---

[٥٦] «إن المنهج الذي فقهه علماؤنا عن ربّنا ونبيّنا، أنّه يجب علينا أن نؤمن بالقدر، ولكن لا يجوز لنا أن نحتجّ به على ترك العمل، كما لا يجوز لنا أن نحتجّ على مخالفتنا للشّرع، وإنّما يحتجّ بالقدر على المصائب دون المعايب. . .

ولو كان الاحتجاج بالقدر صحيحاً، لأمكن لكلّ واحد أن يقتل ويفسد ويأخذ الأموال ويظلم العباد، فإذا سئل عن أفعاله احتجّ بالقدر، وكلّ العقلاء يعلمون بأنّ هذه الحجّة مرفوضة غير مرضيّة، وإلاّ فإنّ الحياة تفسد»[٢].

يقول الإمام العلاّمة ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«. . .والله تعالى أمر أن تدفع السيّئة ـ وهي من قدره ـ بالحسنة ـ وهي من قدره ـ، وكذلك الجوع من قدره، وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتّى مات، مات

---

(١) في (ح) «ولا يحتج بالقدر في الذنوب لأن حجة الله قائمة على الخلق بالتمكن والاختيار، والهداية الفطرية، والهداية الشرعية».

(٢) القضاء والقدر للأشقر: (ص: ٨٨).

. . . .

عاصياً، وكذلك البرد والحرّ والعطش، كلّها من أقداره، وأمر بدفعها بأقدار تضادّها، والدّافع والمدفوع والدّفع من قدره...

وكذلك المعصية إذا قدّرت عليك وفعلتها بالقدر، فادفع موجبها بالتّوبة النّصوح، وهي من القدر...»[١]. اهـ.

هذا، وقد يحتجّ محتجّ بقوله ﷺ: «**احتجّ آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنّة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده، أتلومني على أمر قدّره عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى، ثلاثاً**»[٢]، ويتّخذ هذا الحديث مسوغاً وذريعة لفعل المعاصي وترك العمل.

«وليس في هذا الحديث للّذين يحتجّون بالقدر على القبائح والمعايب، فآدم عليه السلام لم يحتجّ بالقضاء والقدر على الذّنب، وموسى عليه السلام لم يلم أباه آدم على ذنب تاب منه، وتاب الله عليه منه واجتباه وهداه، وإنّما وقع اللّوم من موسى على المصيبة التي أخرجت آدم وأولاده من الجنّة، فاحتجّ آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإنّ القدر يُحتجّ به عند المصائب، لا عند العايب»[٣].

---

(١) مدارج السالكين: (١/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٢) رواه البخاري: (٦٦١٤)، ومسلم: (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «هذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وقد روي بإسناد جيّد من حديث عمر رضي الله عنه». مجموع الفتاوى: (٨/ ١٠٨).

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وممّن رواه عن النبي ﷺ عمر، عند أبي داود وأبي عوانة، وجندب بن عبد الله عند النسائي، وأبو سعيد عند البزار، وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والحارث من وجه آخر عنه، وقد أشار إلى هذه الثلاثة الترمذي». فتح الباري: (١١/ ٥١٥)، وراجع السلسلة الصحيحة: (١٧٠٢).

(٣) انظر القضاء والقدر للأشقر وفقه الله تعالى: (ص: ٩٠)، وراجع شفاء العليل =

. . . .

قال الإمام ابن عبد البرّ الأندلسي رحمه الله تعالى:

«هذا عندي مخصوص بآدم، لأنّ المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعاً، كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧]، فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة، لأنّه كان قد تيب عليه من ذلك، وإلاّ فلا يجوز لأحد أن يقول لمن لامه على ارتكاب معصية، ـ كما لو قتل أو زنى أو سرق ـ هذا سبق في علم الله وقدّره عليّ قبل أن يخلقني، فليس لك أن تلومني عليه، فإنّ الأمّة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك، بل على استحباب ذلك، كما أجمعوا على استحباب محمدة من واظب على الطّاعة... وقد حكى ابن وهب في كتاب القدر عن مالك، عن يحيىٰ بن سعيد، أنّ ذلك كان من آدم بعد أن تيب عليه...»[١]. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى شارحاً لحديث آدم مع موسى عليهما السلام:

«هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر، وأنّ الله قضى أعمال العباد، فكلّ أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله... وليس فيه حجة للجبرية، وإن كان في بادىء الرأي يساعدهم»[٢].

وقال الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى:

«يحسب كثير من النّاس أنّ معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد، ويتوهّم أنّ غلبة آدم كانت من هذا الوجه وليس كذلك، وإنّما معناه الإخبار عن

= لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٣٥)، ومجموع الفتاوى: (٨/ ١٠٨).

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١١/ ٦٢١، ٦٢٢)، وذكر رحمه الله تعالى عن الإمام أبي الفرج بن الجوزي أنه قال: وخص موسى بالذكر لكونه أول نبي بعث بالتكليف الشديد (١١/ ٧١٦).

(٢) فتح الباري: (١١/ ٦٢٠).

. . . .

إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد، وصدورها عن تقدير سابق منه. . .»[١]. اهـ.

وقال المصنف الإمام ابن باديس رحمه الله تعالى:

«قد احتج آدم بالقدر السابق فنهضت حجته، فهل يحتج كل مخالف بالقدر السابق فتنهض حجته؟ كلا، فإنّ الأدلة القطعية. . . تمنع من ذلك منعاً قاطعاً، والتحقيق أنّ المخالف له حالتان:

حالة التوبة الصادقة التي أسقطت المؤاخذة، وهذه هي حالة آدم التي احتج فيها فنهضت حجته.

وحالة عدم التوبة، وهذه لا حجة فيها بالقدر لوجود المؤاخذة بالعمل المكتسب، وآدم وإن لم يذكر توبته بمقاله، فهي مفهومة من حاله، معروفة بما أنزله الله من كتبه على موسى وغيره»[٢].

وخلاصة هذا الباب، ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنّ «على العبد أن يؤمن بالقدر، وليس له أن يحتجّ به على الله، فالإيمان به هدًى، والاحتجاج به على الله ضلال وغيّ، بل الإيمان بالقدر يوجب أن يكون العبد صابراً شكوراً، صبوراً على البلاء، شكوراً على الرخاء، إذا أصابته نعمة علم أنّها من عند الله فشكره، سواء كانت النّعمة حسنة فعلها، أو كانت خيراً حصل بسبب سعيها، فإنّ الله هو الذي يسّر عمل الحسنات، وهو الذي تفضّل بالثّواب عليها، فله الحمد في ذلك كلّه، وإذا أصابته مصيبة صبر عليها، وإن كانت تلك المصيبة قد جرت على يد غيره، فالله هو الذي سلّط ذلك الشخص، وهو الذي خلق أفعاله، وكانت مكتوبة على العبد، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

---

(١) المرجع السابق: (١١/ ٦٢٠).

(٢) مجالس التذكير: (ص: ٧٦).

. . . .

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، قالوا هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنّها من عند الله، فيرضى ويسلّم.

وعليه إذا أذنب أن يستغفر ويتوب، ولا يحتجّ على الله بالقدر، ولا يقول: أيّ ذنب لي، وقد قدّر عليّ هذا الذنب، بل يعلم أنّه هو المذنب العاصي الفاعل للذّنب، وإن كان ذلك كلّه بقضاء الله وقدره ومشيئته، إذ لا يكون شيء إلاّ مشيئته وقدرته وخلقه، لكنّ العبد هو الذي أكل الحرام وفعل الفاحشة، وهو الذي ظلم نفسه، كما أنّه هو الذي صلّى وصام وحجّ وجاهد، فهو الموصف بهذه الأفعال، وهو المتحرك بهذه الحركات، وهو الكاسب بهذه المحدثات، له ما كسب وعليه ما اكتسب، والله خالق ذلك وغيره من الأشياء، لما له في ذلك من الحكمة البالغة بقدرته التامة، ومشيئته النافذة، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، فعلى العبد أن يصبر على المصائب، وأن يستغفر من المعايب. . .»[1]. اهـ.

وقال المصنف رحمه الله تعالى:

«دلت الأدلة القطعية أنّ ما يكون من العبد سبق به علم الله، ومضت به إرادته، وكتب عليه قبل أن يخلق، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢﴾، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾.

كما دلت الأدلة القطعية على أنّ الإنسان مؤاخذ بعمله ملوم عليه، لما عنده من التمكن وما له من الاختيار، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، ﴿لِمَ تَقُولُونَ

---

(١) مجموع الفتاوى: (٨/ ٢٣٧، ٢٣٨).

. . . .

مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، وأنه لا مؤاخذة عليه بعد التوبة ولا لوم، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾. . .»[1].

---

(١) مجالس التذكير: (ص: ٧٦).

[٥٧] مع الإيمان بالقدر، يجب الأخذ بالحذر[١]، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

---

[٥٧] مراد المصنّف رحمه الله تعالى التّنبيه على وجوب الأخذ بالأسباب، فكما أنّ الإيمان بالقدر خيره وشرّه فرض لازم على كلّ مسلم، فكذلك فعل الأسباب، فإنّ الله تعالى أمر عباده بذلك، وهو الذي أمرهم بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله تعالى[٢].

ثمّ اعلم أخي المسلم، أنّ هذا الحذر قد ينفع ما لم يبلغ القدر، كما قال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما: «**قد ينفع الحذر ما لم يبلغ القدر، فإذا جاء القدر، حال دون النّظر**»[٣].

وعن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه، أنّه قال: «**قلت يا رسول الله، أرأيت عملنا هذا على أمر قد فرغ منه، أم على أمر نستقبله؟ فقال رسول الله ﷺ: بل على أمر قد فرغ منه، قال عمر: ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ كلاّ، لا ينال إلاّ بعمل، فقال عمر: إذا نجتهد**»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وفي السنن أنّه قيل: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقاة نتّقيها، هل تردّ من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله»[٥].

---

(١) في (ح) «الحذر مع الإيمان بالقدر، يجب الأخذ بالحذر».
(٢) راجع تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/ ٤٦٥).
(٣) انظر كتاب السنة للإمام ابن أبي عاصم رحمه الله تعالى (٢٤٠)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في الظلال: «إسناده حسن» (ص: ١٠٧).
(٤) المرجع نفسه: (١٦١)، وقال الألباني: «حديث صحيح».
(٥) أخرجه الترمذي: (٢١٤٤ تحفة)، وابن ماجة: (٣٤٣٧)، من حديث أبي خزامة، =

. . . .

ولهذا قال مَن قال مِن العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل، والإعراض عن الأسباب بالكليّة قدح في الشرع»[1].اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى هو يعلم الأشياء على ما هي عليه، وكذلك يكتبها، فإذا كان قد علم أنّها تكون بأسباب من عمل وغيره، وقضى أنّها تكون كذلك، وقدّر ذلك، ولم يجز أن يظنّ أنّ تلك الأمور تكون بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً، وهذا عام في جميع الحوادث.

مثال ذلك، إذا علم الله وعلم أنّه سيولد لهذين ولد، وجعل الله سبحانه ذلك معلّقاً باجتماع الأبوين على النكاح، وإنزال الماء المهين الذي ينعقد منه الولد، فلا يجوز أن يكون وجود الولد بدون السبب الذي علّق به وجود الولد، والأسباب وإن كانت نوعين: معتادة وغريبة ـ فالمعتادة: كولادة الآدمي من أبوين، والغريبة: كولادة الإنسان من أم فقط، كما ولد عيسى، أو من أب فقط، كما ولدت حوّاء، أو من غير أبوين، كما خلق آدم أبو البشر من طين ـ فجميع الأسباب قد تقدّم علم الله بها، وكتابته لها، وتقديره إيّاها، وقضاؤه بها، كما تقدّم ربط ذلك بالمسببات.

كذلك أيضاً الأسباب التي بها يخلق النبات، من إنزال المطر وغيره، من هذا الباب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

= عن أبيه، عن النبي ﷺ، وحسنه الشيخ الألباني، كما في تخريج أحاديث مشكلة الفقر: (١١)، وذكره في ضعيف ابن ماجة: (٧٤٩)، وضعيف الترمذي: (٣٥٩)، وضعفه في التعليقات الرضية على الروضة الندية: (٣/ ١٥٢)، ولعلّ هذا آخر ما ذهب إليه، فإنّ الروضة من آخر مؤلفاته.

(١) مجموع الفتاوى: (٨/ ١٣٨، ١٣٩).

. . . .

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾، وقال: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾، وأمثال ذلك، فجميع ذلك مقدّر معلوم، مقضيّ مكتوب قبل تكوينه.

فمن ظنّ أنّ الشيء إذا علم وكتب أنّه يكفي ذلك في وجوده، ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذي يفعله وسائر الأسباب، فهو جاهل ضالّ ضلالاً مبيناً»[١]. اهـ.

فإذا تبيّن لك هذا أخي المسلم، علمت ـ بلا شك ـ أنّ أولئك الذين إذا قيل لهم: اتّقوا الله وتوبوا إلى الله، قالوا: إذا قدّر الله علينا التوبة والهداية، فسيدركنا ذلك لا محالة، ويقعدون عن العمل والاجتهاد في الطاعات، ويظنّون أنّ ذلك من الإيمان بالقدر، في ضلال مبين، مخالفين لنصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فإنّ «شرّ الخلق من يحتجّ بالقدر لنفسه، ولا يراه حجّة لغيره يستند إليه في الذنوب والمعايب، ولا يطمئن إليه في المصائب كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به»[٢]، وقد أوجب الله تعالى على العباد القيام بما شرع لهم من الشرائع، كما أوجب عليهم الإيمان بالقدر.

قال شيخ الإسلام عن مثل هؤلاء:

«فهؤلاء شرّ أتباع الشيطان، وليس هو مذهب لطائفة معروفة، ولكن هو حال عامة المحلولين عن الأمر والنهي، إن فعل طاعة أخذ يضيفها إلى نفسه، ويعجب حتّى يحبط عمله، وإن فعل معصية أخذ يعتذر بالقدر، ويحتجّ بالقضاء، وتلك حجّة داحضة وعذر غير مقبول.

---

(١) المرجع السابق: (٨/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى: (٨/ ١٠٧)، والقول الذي ذكره عن بعض أهل العلم، فهو للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى، كما في مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٤٦).

. . . .

وتراه إذا أصابته مصيبة بفعل العباد أو غيرهم، لا يستسلم للقدر، وتراه إذا ظلم نفسه أو غيره احتجّ بالقدر، ويقول: العبد مسكين، لا قادر ولا معذور، ويقول:

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له إيّاك إيّاك أن تبتل بالماء

وإن ظلمه غيره ظلماً دون ذلك، أو توهّم أنّه ظلمه أحد، سعى في الانتقام من ذلك بأضعاف ذلك، ولا يعذر غيره بمثل ما عذر به نفسه من القدر، وهما سواء»[1].

---

(١) المرجع السابق: (٨/ ٤٤٦).

[٥٨] القدر كلّه عدل وحكمة، فما يصيب العباد فهو جزاء أعمالهم، وقد تدرك حكمة القدر ولو بعد حين، وقد تخفى، لأنّ من أسمائه تعالى: الحكيم، ورد في الآيات والأحاديث الكثيرة[١].

ومن أسمائه تعالى: العدل، ورد في حديث الأسماء عند الترمذي[٢]، ولقوله ﷺ في حديث الكرب: «... **عدل فيّ قضاؤك**».

---

(١) كلمة «الكثيرة» غير موجودة في (ح)، وقد ذكرت هذه الفقرة في (ح) قبل العمل بالشرع والجد في السعي مع الإيمان بالقدر.

(٢) أخرج البخاري: (٧٣٩٢)، ومسلم: (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: «لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإنّ الله وتر يحب الوتر»، هذا لفظ مسلم، وأما لفظ البخاري: «إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة».

وأخرجه الترمذي: (٣٥٧٤ تحفة)، وابن ماجة: (٣٨٦١)، والحاكم: (٤٢ ـ ٤٤)، عنه رضي الله عنه، وفيه زيادة في آخره: «هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك القدّوس...»، وذكر تسعة وتسعين اسماً، وفيها اختلاف شديد.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «...وهذا الحديث رواه عن الأعرج أيضاً موسى بن عقبة، عند ابن ماجة من رواية زهير بن محمد عنه، وسرد الأسماء... وأخرجه الترمذي من رواية الوليد بن مسلم عن شعيب، وسرد الأسماء... ورواه عن النبيّ ﷺ مع أبي هريرة، سلمان الفارسي، وابن عباس، وابن عمر، وعلي، كلّها عند أبي نعيم... بأسانيد ضعيفة... ولم يقع في شيء من طرقه سرد الأسماء، إلا في رواية الوليد بن مسلم عند الترمذي، وفي رواية زهير بن محمد، عن موسى بن عقبة عند ابن ماجة، وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج، وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء والزيادة والنقص... واختلف العلماء في سرد الأسماء، هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، فمشى كثير منهم مع الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم، لأنّ كثيراً من هذه الأسماء كذلك، وذهب آخرون إلى أنّ التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه، ونقله عبد العزيز النخشبي عن كثير من العلماء.

قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بسياق الأسماء الحسنى، والعلة فيه عندهما تفرد =

ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

= الوليد بن مسلم، قال: ولا أعلم خلافاً عند أهل الحديث أنّ الوليد أوثق وأحفظ وأجل وأعلم من بشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وغيرهما من أصحاب شعيب. اهـ يشير إلى أن بشراً وعلياً وأبا اليمان رووه عن شعيب بدون سياق الأسماء... وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون التعيين وقع من بعض الرواة في الطريقين معاً، ولهذا وقع الاختلاف الشديد بينهما، ولهذا الاحتمال ترك الشيخان تخريج التعيين.

وقال الترمذي بعد أن أخرجه من طريق الوليد: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان وهو ثقة، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذه الطريق، وقد روي بإسناد آخر عن أبي هريرة فيه ذكر الأسماء، وليس له إسناد صحيح، اهـ... وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة، فقال الداودي: «لم يثبت أنّ النبيّ ﷺ عين الأسماء المذكورة. وقال ابن العربي: يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الروّاة، وهو الأظهر عندي. وقال أبو الحسن القابسي: أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب والسنة والإجماع، ولا يدخل فيه القياس، ولم يقع في الكتاب ذكر عدد معين، وثبت في السنة أنها تسعة وتسعون، فأخرج بعض الناس من الكتاب تسعة وتسعين اسماً، والله أعلم بما أخرج من ذلك، لأنّ بعضها ليست أسماء، يعني صريحة...» اهـ. فتح الباري: (١١/٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «...وأمّا تعيين هذه الأسماء، فقد جاء في الترمذي وغيره في بعض أسمائه خلاف، وقيل إنها مخفية التعيين كالاسم الأعظم وليلة القدر ونظائرها». اهـ انظر شرح صحيح مسلم: (٩/٨) طبعة أبي حيان بمصر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «...فالحديث الذي فيه ذكر ذلك هو حديث الترمذي، روى الأسماء الحسنى في «جامعه» من حديث الوليد بن مسلم، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، ورواها ابن ماجة في سننه من طريق مخلد بن زياد القطوفي، عن هشام بن حسان، عن معد بن سيرين، عن أبي هريرة، وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنّ هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كلّ منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه، ولهذا اختلفت أعيانها عنه... وهذا كله ممّا يبيّن لك =

. . . .

= أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبيِّ ﷺ في بعض الطرق وليست من كلامه». اهـ مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٧٩، ٣٨٠).

ولذلك قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وإذا تقرر رجحان أنّ سرد الأسماء ليس مرفوعاً، فقد اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن، من غير تقيّد بعدد...». اهـ فتح الباري: (١١/ ٢٦٠).

واعلم أخي المسلم أنّ أسماء الله تعالى أكثر من العدد المذكور في الحدث، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «... فإنّ الذي عليه جماهير المسلمين، أنّ أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، قالوا ـ ومنهم الخطابي ـ: إنّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها، التقييد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء.

فهذه الجملة، وهي قوله: «من أحصاها دخل الجنة»، صفة للتسعة والتسعين، ليست جملة مبتدأة، ولكن موضعها النصب، ويجوز أن تكون مبتدأة، والمعنى لا يختلف، والتقدير: إنّ لله أسماء بقدر هذا العدد، من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إنّ لي مائة غلام أعددتهم للعتق، وألف درهم أعددتها للحج، فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة، لا في أصل استحقاقه لذلك العدد، فإنه لم يقل: إنّ أسماء الله تسعة وتسعون.

قال: ويدل على ذلك قوله في الحديث الذي رواه أحمد في المسند [(١/ ٣٩١، ٤٥٢)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٥٠٩)، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وقال الحاكم بعد تخريج الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، إن سلم عبد الرحمٰن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه»اهـ، وقد سبق ترجيح سماع عبد الرحمٰن من أبيه، انظر (ص: ١٧٥): «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، فهذا يدل على أنّ لله أسماء فوق تسعة وتسعين يحصيها بعض المؤمنين.

وأيضاً، فقوله: «إنّ لله تسعة وتسعين»، تقييده بهذا العدد بمنزلة قوله تعالى: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، فلمّا استقلوهم قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣٠ ـ ٣١]، فأنْ لا يعلم أسماءه إلا هو أولى...». اهـ مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٨١).

ثمّ اعلم أخي المسلم أنّ الإحصاء في قوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة»، «يحتمل وجوهاً، **أحدها**: أن يعدها حتى يستوفيها، يريد أنه لا يقتصر على بعضها، لكن يدعو الله بها كلها، ويثني عليه بجميعها، فيستوجب الموعود عليها من الثواب. **ثانيها**: المراد =

. . . .

---

[٥٨] يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«إنّ كلّ ما في الوجود هو مخلوق له، خلقه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان

= بالإحصاء، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، ومنه حديث: «استقيموا ولن تحصوا»، [أخرجه أحمد: (٢١٨٧٣)، وابن ماجة: (٢٧٧)، والطبراني في الصغير: (٨)، ومالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب: جامع الوضوء، بلاغاً، وقال الإمام ابن عبد البر: يسند ويتصل من طرق صحاح» التمهيد: (٢٤/ ٣١٨)، وصححه الألباني في الإرواء: (٤١٢)]، أي لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى: من أطاق القيام بهذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق، وكذلك سائر الأسماء **ثالثها:** المراد بالإحصاء: الإحاطة بمعانيها، من قول العرب: فلان ذو حصاة، أي ذو عقل ومعرفة. . .».اهـ فتح الباري: (١١/ ٢٧٠).

قال الإمام القرطبي ـ صاحب المفهم ـ: «المرجو من كرم الله تعالى أنّ من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة، وهذه المراتب الثلاثة للسابقين والصدّقين وأصحاب اليمين».اهـ فتح الباري: (١١/ ٢٧٠).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «. . .وأما قوله: «من أحصاها دخل الجنة»، فاختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين معناه: حفظها، وهذا هو الأظهر، لأنه جاء مفسراً في الرواية الأخرى. . .».اهـ شرح صحيح مسلم: (٧/ ٨).

وقال الأصيلي: «. . .الإحصاء للأسماء: العمل بها، لا عدها وحفظها، لأنّ ذلك قد يقع للكافر المنافق كما في حديث الخوارج، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم. . .».اهـ فتح الباري: (١٣/ ٤٦٢).

وقال ابن بطال رحمه الله تعالى: «الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل، فالذي بالعمل أنّ لله أسماء يختص بها، كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها، كالرحيم والكريم والعفوّ ونحوها، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها، بهذا يحصل الإحصاء العملي، وأما الإحصاء القولي، فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ، فإنّ المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها. . .». فتح الباري: (١٣/ ٤٦٢).

فيكون الإحصاء يشمل: عدها وحفظها والعمل بها، والله تعالى أعلم.

. . . .

وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعزّ ويذل، ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد ويشقي، ويولّي الملك من يشاء وينزعه ممّن يشاء، ويشرح صدر من يشاء للإسلام، ويجعل صدر من يشاء ضيّقاً كأنّما يصعّد في السماء، وهو يقلب القلوب، ما من قلب من قلوب العباد إلاّ وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وهو الذي حبّب إلى المؤمنين الإيمان وزيّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، وهو الذي جعل المسلم مسلماً، والمصلي مصلياً، قال الخليل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، وقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾، وقال عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، وقال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وقال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾... وهو سبحانه خالق كلّ شيء وربّه ومليكه، وله فيما خلق حكمة بالغة، ونعمة سابغة، ورحمة عامة وخاصة، وهو لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، لا لمجرد قدرته وقهره، بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، فإنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها...[1]»[2]. اهـ.

فقد «أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علماً وقدرة وحكمة، ووسع كلّ شيء رحمة وعلماً، فما من ذرة في السموات والأرض، ولا معنى من المعاني إلاّ وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم والرحمة، وكمال القدرة والحكمة.

---

(١) أخرج البخاري: (٥٩٩٩)، ومسلم: (٢٧٥٤)، عن عمر رضي الله عنه، أنّ النبيّ ﷺ، قال: «الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها».

(٢) مجموع الفتاوى: (٨/ ٧٨، ٧٩).

. . . .

وما خلق الخلق باطلاً، ولا فعل شيئاً عبثاً، بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى، ثمّ من حكمته ما أطلع بعض خلقه عليه، ومنه ما استأثر سبحانه بعلمه»[١].

«وإذا علم العبد ـ من حيث الجملة ـ أنّ لله فيما خلقه، وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثمّ كلّما ازداد علماً ازداد إيماناً، ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله»[٢].

«والذي يجب على العبد أن يعلم، أنّ علم الله وقدرته وحكمته ورحمته في غاية الكمال، الذي لا يتصور زيادة عليها، بل كلّما أمكن من الكمال الذي لا نقص فيه، فهو واجب للربّ تعالى»[٣].

وقد اتفق السلف على ذلك، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«. . .السلف والأئمة كما أنّهم متفقون على الإيمان بالقدر، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنّه خالق كلّ شيء من أفعال العباد وغيرها، وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وأنّه لا حجة لأحد في ترك مأمور، ولا فعل محظور، فهم أيضاً متفقون على أنّ الله حكيم رحيم، وأنّه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين»[٤] .اهـ.

فـ «يكفي العاقل أن يَعْلَمَ أنّ الله عزّ وجلّ عليم حكيم، رحيم، بهرت الألباب حكمته، ووسعت كلّ شيء رحمته، وأحاط بكلّ شيء علمه، وأحصاه

---

(١) المرجع السابق: (٨/ ١٩٧).

(٢) المرجع نفسه: (٨/ ٩٧).

(٣) المرجع نفسه: (٨/ ٥١٢).

(٤) المرجع نفسه: (٨/ ٤٦٦)، وقال رحمه الله تعالى: «فله الوحدانية في إلهيته، وله العدل، وله العزة، والحكمة، وهذه الأربعة يثبتها السلف وأتباعهم، فمن قصر عن معرفة السنة، نقص الربّ بعض حقه» .اهـ (٨/ ٢١١).

. . . .

لوحه وقلمه، وأنّ لله تعالى في قدره سرّاً مصوناً، وعلماً مخزوناً، احترز به دون جميع خلقه، واستأثر به على جميع بريته، وإنّما يصل به أهل العلم وأرباب ولايته إلى جمل من ذلك، وقد لا يؤذن لهم في ذكر ما، وربّما كلّم الناس في ذلك على قدر عقولهم، وقد سأل موسى وعيسى وعزير ربّنا تبارك وتعالى عن شيء من سرّ القدر، وأنّه لو شاء أن يطاع لأطيع، وأنّه مع ذلك يعصى، فأخبره سبحانه وتعالى أنّ هذا سرّه»[(١)].

وجماع القول، أنّ القدر «يؤمن به ولا يحتج، فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس، ومن احتج به ضارع المشركين، ومن أقرّ بالأمر والقدر، وطعن في عدل الله وحكمته، كان شبيهاً بإبليس، فإنّ الله ذكر عنه أنّه طعن في حكمته، وعارضه برأيه وهواه، وأنّه قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾»[(٢)].

(فصل)

إنّ ممّا لا شكّ فيه، «أنّ من كانت عقيدته الإيمان بالقدر خيره وشرّه، سعد في الدارين، ففي حياته الدنيا يعيش هادئاً مطمئناً، لعلمه أنّ ما يصيبه قد كتبه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، وفي الآخرة لإيمانه بذلك حيث يجد ثوباه.

وعلى الإيمان بالقدر خيره وشره عاش سلفنا الصالح، فكان دافعاً لهم إلى العمل والجهاد في سبيل الله، لإيمانهم بقوله ﷺ: «**اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له**»»[(٣)].

---

(١) المرجع السابق: (٨/ ٣٩٩).

(٢) المرجع نفسه: (٨/ ١١٤).

(٣) من كلام الدكتور الفقيهي وفقه الله تعالى، انظر كتاب الإيمان لابن منده رحمه الله تعالى: (١/ ١٢٨).

. . . .

قال الشيخ العلاّمة ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«ومن ثمرات الإيمان بالقدر، **أولاً**: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، لأنّ السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانياً: راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنّه متى علم أنّ ذلك بقضاء الله تعالى، وأنّ المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس، واطمأنّ القلب، ورضي بقضاء الربّ، فلا أحد أطيب عيشاً، وأريح نفساً، وأقوى طمأنينة ممّن آمن بالقدر.

ثالثاً: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأنّ حصول ذلك نعمة من الله لما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

رابعاً: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأنّ ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر، وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ . . .»[1]. اهـ.

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة: (ص: ٤٦، ٤٧)، وانظر القضاء والقدر للأشقر: (ص: ١٠٩).

الإيمان بالملائكة عليهم السلام[1]

[٥٩] الملائكة مخلوقون من النور، لا يوصفون بذكروة ولا أنوثة[2]، ميسرون للطاعات، معصومون من المعاصي، مسخّرون بإذن الله في شؤون الخلق وتدبير الكون، وحفظ العباد، وكتابة أعمالهم، وأمناء على الوحي في حفظه وتبليغه.

لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم**»، رواه مسلم[3].

ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا

---

(١) في (ح) «عليهم الصلاة والسلام».

(٢) في (ح) «لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة» بالتعريف.

(٣) في الزهد: (١٨/ ١٢٣ نووي)، وأحمد: (٦/ ١٥٣، ١٦٨)، والبيهقي في السنن: (٩/ ٣)، وفي الأسماء والصفات: (٨١٨)، وابن حبان: (٦١٢٢ إحسان)، وعبد الرزاق في المصنف: (٢٠٩٠٤)، وابن منده في الرد على الجهمية: (٧٦)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «وأما ما رواه عبد الله بن أحمد في السنة: (ص: ١٥١)، عن عكرمة قال: خلقت الملائكة من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة»، وعن عبد الله بن عمرو، قال: «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر». قلت: فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ». اهـ انظر السلسلة الصحيحة: (٤٥٨).

﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠]، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾ [الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦]، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٧ ـ ٢٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الذاريات: ٤]، ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ٥]، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ [الطارق: ٤]، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٧ ـ ١٨]، ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩]، ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ [المرسلات: ٥ ـ ٦]، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

---

[٥٩] الملائكة، «جمع ملَك بفتح اللام، فقيل مخفف عن مالك، وقيل مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله: لاك، وقيل: أصله: المَلْك بفتح ثم سكون، وهو الأخذ بقوة، وحينئذٍ لا مدخل للميم فيه، وأصل وزنه مفعل، فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وظهرت في الجمع، وزيدت الهاء إمّا للمبالغة، وإمّا لتأنيث الجمع...»(١).

والمادة التي خلق منها الملائكة هي النور، كما جاء في الحديث الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى، إلاّ أنه «لم يبين لنا الرسول ﷺ أيّ هذا النور الذي

---

(١) فتح الباري: (٦/ ٣٦٨).

. . . .

خلقوا منه، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد، لأنّه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث... ولا ندري متى خلقوا، فالله سبحانه لم يخبرنا بذلك، ولكننا نعلم أنّ خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر»(١).

والإيمان بالملائكة الكرامﷺ يتضمن معاني، ذكرها الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«**أحدها**: التصديق بوجودهم.

والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنّهم عباد الله وخلقه كالإنس والجنّ، مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلاّ على ما يقدرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جدّه، ولا يدعون آلهة كما ادّعتهم الأوائل.

والثالث: الاعتراف بأنّ منهم رسل الله، يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض.

ويتبع ذلك الاعتراف بأنّ منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كلّه أو بأكثره...»(٢).اهـ.

ويقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وأمّا الملائكة فهم الموكلون بالسموات والأرض، فكلّ حركة في العالم فهي ناشئة من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾، ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾،

---

(١) انظر عالم الملائكة الأبرار للأشقر وفقه الله تعالى: (ص: ٩، ١٠).

(٢) شعب الإيمان: (١/ ١٦٣).

. . . .

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأمّا المكذبون بالرسل المنكرون للصانع، فيقولون هي النجوم. . .»[١]. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«وقد دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنّها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنّه سبحانه وكّل بالجبال ملائكة، ووكّل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكّل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتمّ خلقها، ثمّ وكّل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكّل بالموت ملائكة، ووكّل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكّل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكّل بالشمس والقمر ملائكة، ووكّل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكّل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلائها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله. . .»[٢]. اهـ.

«ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكّل بالوحي، الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكّل بالقطر، الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصور، الذي به حياة الخلق بعد مماتهم»[٣].

ولا يحصي عدد الملائكة إلاّ خالقهم سبحانه، قال جبريل الأمين عليه السلام في

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٠٥).

(٢) المرجع نفسه: (٢/ ٤٠٥، ٤٠٦).

(٣) المرجع نفسه: (٢/ ٤٠٨)، وقد جاء ذكر أسماء هؤلاء الملائكة الثلاثة في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها، في دعائه ﷺ، عندما يفتتح صلاة الليل، قال ﷺ: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»، أخرجه مسلم: (٧٧٠).

. . . .

حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه ليلة الإسراء والمعراج، قال: «**هذا البيت المعمور، يصلّي فيه كلّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...**» الحديث[1].

واعلم أخي المسلم، أنّ القاعدة في هذا الباب، أنّ ما جاء على وجه التفصيل نؤمن به على وجه التفصيل، وما جاء على وجه الإجمال، نؤمن به على وجه الإجمال، فلا نصفهم إلاّ بما وصفهم به خالقهم في كتابه، أو على لسان نبيّه ﷺ، ولا نسمّيهم إلاّ بما سمّاهم به خالقهم سبحانه وتعالى في كتابه، أو بما جاء في سنة رسوله ﷺ[2].

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٢٠٧)، ومسلم: (١٦٢)، وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم: (١٦٢).

(٢) لا نعرف من أسماء الملائكة الكرام إلا القليل، جاء ذكرهم في الكتاب والسنة، من ذلك جبريل، وميكائيل، وإسرافيل كما مر معنا، ومنهم مالك خازن النار، كما في قوله تعالى في أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقوله ﷺ ليلة المعراج من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «...ورأيت مالكاً خازن النار...» أخرجه البخاري: (٣٢٣٩)، ومنهم رضوان خازن الجنة، كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات، ومنهم منكر ونكير، كما في سؤال القبر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «إذا قبر الميت، ـ أو الإنسان ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير...» الحديث، أخرجه الترمذي: (١٠٧١)، وابن حبان: (٧٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة: (٨٦٤)، والآجرّي في الشريعة: (ص: ٣٦٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب»، وقال محققاً شرح العقيدة الطحاوية: «وهو كما قال، بل أعلى، فإنّ رجال إسناده على شرط مسلم» (٢/ ٥٧٨). ومنهم من اختلف في كونه من الملائكة، كهاروت وماروت، ورقيب وعتيد.

وأما ما يذكر بعضهم من تسمية ملك الموت عليه السلام بعزرانيل، فلا أصل له في السنة الصحيحة، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاءت تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، =

. . . .

فائدة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«ومن ثمرات الإيمان بالملائكة.

أولاً: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

ثانياً: شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكّل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثاً: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين»[١]. اهـ.

= والله أعلم» البداية والنهاية: (١/ ٦١). ومن أراد البيان المفصل لعالم هؤلاء البررة، فليراجع مؤلف الدكتور عمر سليمان الأشقر وفقه الله تعالى، فقد جمع وأفاد، فجزاه الله كلّ خير.

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة: (ص: ٤٥).

الإيمان بكتب الله تعالى

[٦٠] نؤمن بجميع كتب الله تعالى المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام[١]، فمنها: التوراة والإنجيل والقرآن[٢]، ومنها[٣] غيرها ممّا لم نعلمه على سبيل التفصيل، فكلّها من عند الله وكلّ ما فيها حقّ.

لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤]، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

---

[٦٠] إنّ من رحمة الله تعالى وفضله «على الإنسان أنه لم يتركه في الحياة يستهدي بما أودعه الله فيه من فطرة سليمة، تقوده إلى الخير، وترشده إلى البر فحسب، بل بعث إليه بين فترة وأخرى رسولاً يحمل من الله كتاباً يدعوه إلى عبادة الله وحده، ويبشر وينذر، لتقوم عليه الحجة ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]»[٤].

وقد أخبرنا ربّنا تبارك وتعالى أنّه أرسل الرسل، وأنزل معهم الكتب، كما

---

(١) الصلاة والسلام على الرسل غير موجود في (ح).

(٢) في (ح) «والفرقان».

(٣) كلمة «منها» غير موجودة في (ح).

(٤) من كلام الشيخ مناع القطان، انظر كتابه مباحث في علوم القرآن: (ص: ١٧).

. . . .

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وأما تفصيلات ذلك فلا يعلمها إلاّ الله تعالى.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمّى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأنّ لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلاّ الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به واتّباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأنّ الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنّها حق وهدى ونور وبيان وشفاء. . .»[١]. اهـ.

ويقول العلاّمة ابن عثيمين رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، قال:

«وهذا يدل على أنّ كلّ رسول معه كتاب، لكن لا نعرف كلّ الكتب، بل نعرف منها: صحف إبراهيم، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ستة، لأنّ صحف موسى بعضهم يقول هي التوراة، وبعضهم يقول غيرها، فإن كانت التوراة فهي خمسة، وإن كانت غيرها فهي ستة، ولكن مع ذلك نحن نؤمن بكلّ كتاب أنزله الله على الرسل، وإن لم نعلم به، نؤمن به إجمالاً. . .»[٢]. اهـ.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنّ الكتب التي سمّاها لنا، نزلت في شهر

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٢٥).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٦٥).

....

رمضان، فعن واثلة عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: **«أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل الزّبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»**[1].

فنقف عند هذا الحد الذي أوقفنا الله عليه، ولا نزيد ولا ننقص، وصدق الله إذ قال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، ونقول كما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «أي صدّقت بجميع الكتب المنزّلة من السماء على الأنبياء، لا نفرق بين أحد منهم...»[2].اهـ.

(١) أخرجه أحمد: (٤/١٠٧)، وانظر السلسلة الصحيحة للعلاّمة الألباني رحمه الله تعالى: (١٥٧٥).

(٢) التفسير: (٤/٩٧).

[٦١] حفظ الله القرآن من الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل[1]، فبقي كما أنزله الله إلى يوم القيامة، فهو كلّه حقّ من عند الله، ولم يحفظ غيره من الكتب، فدخلت عليها الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل، ففيها حق وفيها باطل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

[٦١] إنّ القرآن العظيم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيّه محمد ﷺ، وقد «تعبدنا الله بالإيمان به وتلاوته، وتدبر معانيه، وهو هذا الكتاب المجموع في المصاحف، المبتدأ بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس... وهو الذي نزل به جبريل الأمين على قلب محمد ﷺ بحرفه ومعانيه، فهو كلام الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

هذا القرآن الكريم هو كلام الله لفظاً ومعنى، وليس حكاية عن الله، ولا هو كلام نفسي قائم بذات الله فهمه جبريل ونقله، بل القرآن كلام الله حقيقة بألفاظه ومعانيه، تكلّم الله به على النحو الذي يليق بعظمته وجلاله»[2].

ولقد «ظلت الإنسانية في تطورها ورقيها الفكري، والوحي يعاودها بما يناسب ويحل مشاكلها الوقتية في نطاق كل رسول، حتّى اكتمل نضجها، وأراد الله لرسالة محمد ﷺ أن تشرق على الوجود، فبعثه على فترة من الرسل، ليكمل صرح إخوانه الرسل السابقين بشريعته العامة الخالدة، وكتابه المنزل عليه، وهو القرآن الكريم... «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فاحسنه**

---

(١) في (ح) «حفظ الله القرآن دون غيره، حفظه من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل...».

(٢) من كلام الشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق وفقه الله تعالى، انظر كتابه: البيان المأمول في علم الأصول: (ص: ٩٩).

. . . .

وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون منه، ويقولون: لولا هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[١] . . .

وكتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، فمن أوصاف جبريل الذي نزل به: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ومن أوصافه وأوصاف المنزل عليه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٤]»[٢]، على هذا نعقد قلوبنا ولا نرتاب.

يقول الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«ونعتقد فيما أنزله الله تعالى على رسوله محمدﷺ في القرآن، ولم ينسخ رسمه في حياته، وأنه بقي في أمته محفوظاً لم تجر عليه زيادة ولا نقصان، كما وعد الله بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ . . .»[٣].اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«والإيمان بالقرآن يتشعب شعباً:

فأولاها: بأنّه كلام الله تبارك وتعالى، وليس من وضع محمدﷺ، ولا من وضع جبريلعليه السلام.

الثانية: الاعتراف بأنّه معجز النظم، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه.

والثالث: اعتقاد أنّ جميع القرآن الذي توفي النّبيّﷺ، هو هذا الذي في

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٥٣٥)، ومسلم في الفضائل، باب: كونهﷺ خاتم النبيين برقم (٢٢٨٦)، والبغوي في شرح السنة: (٣٦١٩)، من حديث أبي هريرةرضي الله عنه.

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن للقطان: (ص: ١٧، ١٨).

(٣) الاعتقاد: (ص: ١١٧)، ولم تكن هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السابقة، لأنها جاءت موقوتة بزمن خاص. انظر مباحث في علوم القرآن: (ص: ١٨).

. . . .

مصاحف المسلمين، لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس، ولا ضلال صحيفة، ولا موت قارئ، ولا كتمان كاتم، ولم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف»[1]. اهـ.

وفي ذلك رد على من زعم حب آل البيت، وطعن في الأصحاب، واعتقد أنّ هذا الكتاب ناقص، يحتاج إلى إتمامه بما أملاه عليه الشيطان من وحيه، فردّ على الله قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، فكان جزاؤه جزاء الأشرار، فالله تعالى تولى حفظه برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قلوبهم سليمة للمهاجرين والأنصار، والأحاب الأبرار، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥﴾، يوم يفوز الأصحاب، ويخسر الأشرار.

وقد حاول أعداء الإسلام قديماً وحديثاً تحريف كتاب الله تعالى، فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا، وأنا أذكر هنا قصة ذكرها الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في الجامع لأحكام القرآن عن يحيىٰ بن أكثم، تبين صورة من صور حفظ الله تعالى لكتابه الكريم.

قال رحمه الله تعالى:

«كان للمأمون مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما أن انفض المجلس دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم. قال له: أَسْلِمْ حتى أفعل بك وأصنع، ووعده. فقال: ديني ودين آبائي وانصرف.

قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً. قال: فتكلّم على الفقه فأحسن الكلام، فلما انفضّ المجلس دعاه المأمون، وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن

---

(١) شعب الإيمان: (١/ ١٨٥).

. . . .

أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الورّاقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أنّ هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيىٰ بن أكتم: فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عزّ وجلّ. قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، فحفظه الله عزّ وجلّ علينا فلم يضع»[1].اهـ.

---

(١) نقلاً عن مقدمة تحقيق مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، للشيخ بد البدر: (ص: ٨).
فهل تعجب من إسلام ذلك اليهودي لما علم الحق، أم تعجب من فقه سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى؟!

[٦٢] نؤمن بأنّ القرآن العظيم أنزله الله تعالى هداية عامة لجميع البشر، لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول، وتزكية النفوس، وتقويم الأعمال، وإصلاح الأحوال، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظم[١]، وكلّ من خالفه فهو ضال[٢].

لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولقوله ﷺ في خطبة يوم عرفة في حجة الوداع: «**وقد تركت فيكم ما لن[٣] تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله**»، رواه مسلم[٤].

---

[٦٢] لا شكّ أنّ القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الكبرى الخالدة، ولا يزيده الزمان والتقدم العلمي إلاّ رسوخاً، أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ، ليخرج الناس من الضلال إلى الهداية، ومن التيه إلى الرشد، فقد جاء القرآن العظيم وافياً بجميع مطالب الحياة، يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مجالات الحياة، «الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجاً حكيماً، لأنّه تنزيل الحكيم الحميد، ويضع لكلّ مشكلة بلسمها الشافي في أسس عامة، تترسم

---

(١) في (ح) «وتنظيم المجتمع البشري إلى أكمل نظام».

(٢) في (ص) «وأن كل ما خاله فهو ضال»، فرأيت إثبات ما في (ح) لتناسب المعنى مع سياق الكلام، والله تعالى أعلم.

(٣) في (ح) «ما لم».

(٤) (٨/ ١٨٤ نووي)، وأبو داود: (١٩٠٢ العون)، وابن ماجة: (٣٠٧٤)، والبيهقي: (٥/ ٧)، وابن الجارود في المنتقى: (٤٦٥ ـ ٤٦٩)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي رحمه الله تعالى: [. . . وإنما اقتصر على الكتاب، لأنه مشتمل على العمل بالسنة، لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، فيلزم من العمل بالكتاب ما يلزم بالسنة». اهـ انظر عون المعبود: (٥/ ٢٦٣).

. . . .

الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كلّ عصر ما يلائمها، فاكتسب بذلك صلاحيته لكلّ زمان ومكان، فهو دين الخلود. . . والإنسانية المعذبة اليوم في ضميرها، المضطربة في أنظمتها، المتداعية في أخلاقها لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلاّ القرآن، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٤]. . .»[١]. اهـ.

فالله عزّ وجلّ أنزل كتابه الكريم كاملاً جامعاً، مبيناً لكل ما تحتاجه الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، قال ابن مسعود: قد بيّن لنا في هذا القرآن كلّ علم وكلّ شيء. وقال مجاهد: كلّ حلال وكلّ حرام، وقول ابن مسعود أعمّ وأشمل، فإنّ القرآن اشتمل على كلّ علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكلّ حلال وكلّ حرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. . .»[٢]. اهـ.

وقد سمع محمد بن أبي حاتم رحمه الله تعالى الإمام أحمد يقول: «لا أعلم شيئاً يحتاج إليه إلاّ وهو في الكتاب والسنة»، فقال له: «يمكن معرفة ذلك كلّه؟» قال: «نعم»[٣].

فقد فصل الله فيه أصول الإيمان، وما يحتاجه العباد، «ولا يوجد كلام يحمل من المعاني ما يحمله هذا الكلام الذي يظل حيّاً لا ينتهي عجائبه، ولا تجف معانيه، ولا يخلق عن كثرة الرد، بل يظل حيّاً جديداً كما قرىء»[٤]، فهو كلام الله تعالى يحتوي على المنهج الذي رضيه الله تعالى لعباده.

---

(١) مباحث في علوم القرآن: (ص: ١٩).

(٢) التفسير: (٢/ ٥٣٤، ٥٣٥).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (١٢/ ٤١٢).

(٤) انظر البيان المأمول في علم الأصول: (ص: ٩٩).

[٦٣] ومن الإيمان بكتاب الله، أن نؤمن بأنّ كلّ ما ثبت عن النّبيّ ﷺ فهو حقّ من عند الله، وبيان لكتاب الله، وأنّ الأخذ به أخذ بالقرآن، وأنّ الترك له ترك للقرآن، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، [﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]][1]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

---

[٦٣] لقد أخبرنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، أنّ السنة وحي من الله تعالى، فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه**»[2].

---

(١) آية النساء وآية الجن لم تذكرا في (ص).

(٢) أخرجه أبو داود: (٤٦٠٤)، والترمذي: (٢٦٦٤)، ابن ماجة: (١٢ ـ ١٣)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٨١٨٦)، والمشكاة: (١٦٣).

. . . .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«أي أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كلّ ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك ممّا لا يأتي عليه الحصر. . »[١]. اهـ.

ولهذا كانت طاعة النّبيّ ﷺ طاعة لله تعالى، ومعصيته معصية لله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنّما الإمام جُنّة يقاتل من ورائه ويتّقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإنّ له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإنّ عليه منه»**[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«قوله: **«من أطاعني فقد أطاع الله»**، هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، أي لأنني لا آمر إلاّ بما أمر الله به، فمن فعل ما آمره به فإنّما أطاع من أمرني أن آمره.

ويحتمل أن يكون المعنى: لأنّ الله أمر بطاعتي، فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي، وفي المعصية كذلك. والطاعة هي الإتيان بالمأمور به والانتهاء عن المنهي عنه، والعصيان بخلافه»[٣]. اهـ.

---

(١) إرشاد الفحول: (١/ ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٩٥٧ ـ ٧١٣٧)، ومسلم: (١٨٣٥) في الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، والبغوي في شرح السنة: (٢٤٥٠ ـ ٢٤٥١). قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقوله: إنما الإمام جنة، بضم الجيم أي سترة، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم عن بعض، والمراد بالإمام كل قائم بأمور الناس، والله أعلم» فتح الباري: (٦/ ١٤١).

(٣) فتح الباري: (١٣/ ١٣٩).

. . . .

ولقد أجمع المسلمون على وجوب طاعة النّبيّ ﷺ، واتّباع ما صحّ من سنته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وهذه السنة إذا ثبتت، فإنّ المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتّباعها»[١]. اهـ.

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّه قد اتّفق من يعتدّ به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنّها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام»[٢]. اهـ.

وقد جاء تأكيد طاعة النّبيّ ﷺ بأمور:

الأول: الأمر بطاعته، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

الثاني: ترتيب الوعيد على من يخالف أمر النّبيّ ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الثالث: نفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الرابع: الأمر بالردّ إلى الرسول ﷺ عند النزاع، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

الخامس: جعل الردّ إلى الرسول ﷺ عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه، قال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٩/ ٨٥، ٨٦).

(٢) إرشاد الفحول: (١/ ١٢٠).

. . . .

[النساء: ٥٩][1].

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«لم أسمع أحداً ـ نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم ـ يخالف في أنّ فرض الله عزّ وجلّ اتباع أمر رسول الله ﷺ، والتسليم لحكمه، بأنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل لأحد بعده إلاّ اتّباعه، وأنّه لا يلزم قول بكل حال إلاّ بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأنّ ما سواهما تبع لهما، وأنّ فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أنّ الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ. . .»[2].اهـ.

وذلك أنّ النّبيّ ﷺ «قد أوتي جوامع الكلم[3]»، وسواطع الحكم من عند ربّ العالمين، فكلامه أشرف الكلام وأفضلها، وأجمع الحكم وأكملها، كما قيل: كلام الملوك ملوك الكلام، وهو تلو كلام الله العلاّم، وثاني أدلة الأحكام، فإنّ علوم القرآن وعقائد الإسلام بأسرها، وأحكام الشريعة المطهرة بتمامها، وقواعد الطريقة الحقّة بحذافيرها، وكذا الكشفيات والعقليات بنقيرها وقطميرها، تتوقف

---

(١) راجع معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني وفقه الله تعالى: (ص: ١٢٤).

(٢) جماع العلم: (ص: ١١، ١٢).

(٣) كما قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بجوامع الكلم»، أخرجه البخاري: (٢٩٧٧ ـ ٦٩٩٨ ـ ٧٠١٣ ـ ٧٢٧٣)، ومسلم: (٥٢٣)، والترمذي: (١٥٥٣)، والنسائي: (٦/٣ ـ ٤)، وأحمد: (٢/ ٢٥٠، ٢٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: [. . .فجوامع الكلم التي خص بها النبيّ ﷺ نوعان: **أحدهما:** ما هو في القرآن، كقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾، قال الحسن: لم تترك هذه الآية خيراً إلا أمرت به، ولا شراً إلا نهت عنه. **والثاني:** ما هو في كلامه ﷺ، وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه ﷺ. . .].اهـ جامع العلوم والحكم: (١/ ٥٥).

. . . .

على بيانه ﷺ، فإنها مَا لم توزن بهذا القسطاس المستقيم، ولم تضرب على ذلك المعيار القويم، لا يعتمد عليها، ولا يصار عليها، فهذا العلم المنصوص، والبناء المرصوص، بمنزلة الصرّاف لجواهر العلوم، عقليّها ونقليّها، وكالنّقّاد لنقود كلّ الفنون، أصليّها وفرعيّها، من وجوه التفاسير والفقهيات، ونصوص الأحكام، ومآخذ عقائد الإسلام، وطرق السلوك إلى الله سبحانه وتعالى ذي الجلال والإكرام، فما كان منها كامل العيار في نقد هذا الصرّاف، فهو الحريّ بالترويج والاشتهار، وما كان زيفاً غير جيّد عند ذاك النقّاد، فهو القمين بالردّ والطرد والإنكار، فكلّ قول يصدّقه خبر الرسول ﷺ، فهو الأصلح للقبول، وكلّ ما لا يساعده الحديث والقرآن، فذلك في الحقيقة سفسطة بلا برهان، فهي مصابيح الدجى، ومعالم الهدى، وبمنزلة البدر المنير، مَن انقاد لها فقد رشد واهتدى، وأوتي الخير الكثير، ومن أعرض عنها وتولّى، فقد غوى وهوى، وما زاد نفسه إلاّ تخسيراً، فإنه ﷺ نهى وأمر، وأنذر وبشّر، وضرب الأمثال وذكّر، وإنّها لمثل القرآن بل هي أكثر، وقد ارتبط بها اتّباعه ﷺ، الذي هو مِلاك سعادة الدارين، كيف وما الحق إلاّ فيما قاله ﷺ، أو عمل به، أو قرره، أو أشار إليه، أو تفكر فيه، أو خطر بباله، أو هجس في خلده واستقام عليه»[1].

ولهذا كان السلف يحذّرون من مخالفة أمره ﷺ، أو أن يضربوا له الأمثال، فقد سأل رجل الإمام مالك رحمه الله تعالى مسألة، فقال الإمام مالك: «قال رسول الله ﷺ. . .»، فقال الرجل: «أرأيت؟»، فقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»[2].

---

(١) من كلام العلامة السيّد صدّيق حسن خان رحمه الله تعالى في كتابه «الحطة»، نقلاً عن قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٤٤).

(٢) انظر شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله تعالى: (١/ ١٩١).

. . . .

فـ «الاحتجاج بالسنة الواردة عن النّبيِّ ﷺ، واعتبارها أحد أصول الشريعة الإسلامية الدالة على الأحكام الشرعية، هو دأب المسلمين قديماً وحديثاً»[١].

ومن ولّى السنة ظهره، وزعم الاكتفاء بالقرآن، فهو زائغ منحرف عن الحق وطريق أهل الحق.

بل قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«إنّ ثبوت حجيتها واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلاّ من لا حظ له في دين الإسلام»[٢]. اهـ.

وبهذا تعلم أخي المسلم أنّ ما يروى في الأمر بعرض السنة على الكتاب غير صحيح، قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«وأمّا ما يروى من طريق ثوبان في الأمر بعرض الأحاديث على القرآن، فقال يحيىٰ بن معين: إنّه موضوع وضعته الزنادقة. وابن عبد البر في كتابه «جامع العلم»: قال عبد الرحمٰن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا حديث: «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف فلم أقله». . . »[٣]. اهـ.

«وقد نبغ بين المسلمين قوم سمّوا أنفسهم «القرآنيين»، ادّعوا أنّ الشريعة لا تؤخذ إلاّ من القرآن، وأنّ المسلمين ليسوا بحاجة إلى السنة، وصنعوا من فهمهم المجرد للقرآن تركيبة شرعية في الطهارات والصلاة والزكاة والحج وغيرها، يعلم

---

(١) انظر أفعال الرسول ﷺ، للأشقر: ١/ ٢١).

(٢) إرشاد الفحول: (١/ ١٢٢).

(٣) إرشاد الفحول: (١/ ١٢٠، ١٢١)، وانظر كلام الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى جامع بيان العلم وفضله: (٢/ ٢٣٣). أما ثوبان فهو مولى رسول الله ﷺ، انظر ترجمته في أسد الغابة: (١/ ٢٩٦)، والإصابة: (١/ ٢١٢)، والاستيعاب: (١/ ٢١٨)، والحلية: (١/ ٣٥٠)، والجرح والتعديل: (٢/ ٤٦٩)، وتهذيب الكمال: (١/ ١٧٦).

. . . .

المطلع عليها يقيناً أنها مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولهؤلاء القوم المعاصرين المذكورين سلف في من مضى، لم يزالوا تذر نجومهم فطمسها شموس الحق من أئمة الهدى في كل زمان، وقد ألف السيوطي رسالته المشهورة: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»[١]، للرد على مَن وجد مِن دعاة هذه الفكرة في زمانه من الرافضة[٢]، وذكر فيه أنّ أصحاب هذا الرأي من الزنادقة والرافظة، كانوا موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم، وتصدى لهم الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم»[٣].

فالقرآن والسنة هما طريق الجنة، كما قال الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى:

تدري أخي أين طريق الجنة ... طريقهما القرآن ثمّ السنة
كلاهما ببلد الرسول ... وموطن الأصحاب خير جيل[٤]

وبالجملة، فإنّ الذي يجب أن يعتقده كلّ مسلم، «أنّ محمداً ﷺ هو رسول الله، أرله ليدعو الناس إلى أن يؤمنوا بالله إلٰهاً واحداً، وأن يعبدوه ويسلكوا صراطه المستقيم. ومقتضى هذا الإيمان، أن نؤمن بصدق النّبيّ ﷺ فيما أخبر عن الله وعن شريعة الله، فإن أخبر عن شيء إنّه من الله، فخبره حجة علينا، وحكمه لازم لنا بمقتضى إيماننا برسالته، وكذلك إن فعل شيئاً بياناً للدّين، ففعله

---

(١) وهو مطبوع والحمد لله، وقد طبع أيضاً باسم «مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة».

(٢) وقد سبق قريباً من قول الإمام عبد الرحمٰن بن مهدي رحمه الله تعالى، أنّ الخوارج أيضاً وضعوا حديثاً لنصرة هذا المنهج وهذه الفكرة الخبيثة البتراء.

(٣) انظر أفعال الرسول للأشقر: (١/ ٢١، ٢٢)، وراجع مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة: (ص: ١٥).

(٤) انظر سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٨١). وبلا شك فهمت أخي المسلم من كلام هذا الإمام، أن طريق الجنة هو فهم القرآن والسنة بفهم خير جيل، وهو جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

. . . .

حجة علينا أن نفعل مثلما فعل. فدليل حجية السنة إذن هو: شهادة أنّ محمداً رسول الله»[١].

---

(١) انظر الواضح في أصول الفقه للأشقر: (ص: ٩١).

عقائد الإيمان بالرسل عليهم السلام

[٦٤] إنّ الربّ الحكيم جلّ جلاله خلقنا لعبادته، وفي عبادته كمالنا وسعادتنا، وعبادته بطاعته فيما أمرنا ونهانا وأباح لنا.

ولا يمكننا أن نعرف ذلك إلاّ إذا بيّنه لنا، فاختار منّا ـ تفضّلاً منه ورحمة ـ[1] قوماً فطرهم على الفضائل والكمالات، وعصمهم من الرذائل والنقائص، وهيأهم لملاقاة الملائكة الأطهار، ليتلقوا منهم وحي الله وبيانه للعباد، فيبلغوه إليهم، ويكونوا قدوة لهم في تنفيذه والعمل به.

وهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، الذين نؤمن بهم كلّهم، من عرفنا منهم بتعريف الله، ومن لم نعرف، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]، ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان: ٥ ـ ٦]، ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٧]، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥].

---

(١) في (ح) «فاختار ـ تفضلاً منه ورحمة ـ منا قوماً. . .».

ولقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨]، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

---

[٦٤] إنّ الإيمان بالرسل ﷺ من أصول الإيمان، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، قال: «...**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

ولقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى أن الغاية التي من أجلها خلقنا الله تعالى، لا تتحقق إلاّ عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولذلك كان إرسال الرسل من أعظم النعم على العباد.

يقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصاً محمداً ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. . .»[(١)]. اهـ.

والعباد مضطرون إلى الرسل ومعرفة ما جاؤوا به فوق كل ضرورة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«الرسالة ضرورة للعباد، لا بدّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كلّ شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأيّ صلاح للعالم إذا عدم الروح

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١/١٥٦).

. . . .

والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلاّ ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وينالـه من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس...»[١]. اهـ.

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى:

«ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنّه لا سبيل إلى السعادة والفلاح، لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلاّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلاّ على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلاّ هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلاّ قلب حيّ»[٢].

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«فالذي شرع لنا في حق الرسل فيه تحقيق توحيد الله وحده، وتحقيق

---

(١) مجموع الفتاوى: (٩/ ٩٣).

(٢) زاد المعاد: (١/ ٦٩).

. . . .

طاعتهم، وفيه مزيد الرحمة لهم، ورفعة الدرجة والرضوان لنا ولهم»[(١)]. اهـ.

وهؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله تعالى لعباده اختارهم من بين خلقه بعلمه، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى مبيّناً أن الذي يخلق هو الذي يختار من عباده رسلاً، قال:

«فإنّ الله هو المنفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. . . وإنما المراد بالاختيار ها هنا: الاجتباء والاصطفاء، فكما أنه المنفرد بالخلق، فهو المنفرد بالاختيار منه، فليس لأحد أن يخلق ولا أن يختار سواه، فإنّه سبحانه أعلم بمواقع اختياره، ومحالّ رضاه، وما يصلح للاختيار ممّا لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه. . .»[(٢)]. اهـ.

وقد حكى الله تعالى «عن الكفار اقتراحهم في الاختيار، وإرادتهم أن تكون الخيرة لهم، ثمّ ينفي هذا سبحانه عنهم، ويبيّن تفرده هو بالاختيار، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١ ـ ٣٢]. فأنكر عليهم سبحانه تخيّرهم عليه، وأخبر أنّ ذلك ليس إليهم، بل إلى الذي قسم بينهم معيشتهم المتضمنة لأرزاقهم ومدد آجالهم، وكذلك هو الذي يقسم فضله بين أهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار، من يصلح له ممّن لا يصلح. . . وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد آدم عليه الصلاة والسلام. . . واختياره أولي العزم منهم. . . واختار منهم الخليلين إبراهيم ومحمداً ﷺ.

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/ ٢٢٩).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: (١/ ٣٧)، وانظر كتاب الفوائد له: (ص: ١٧٣، ١٧٤).

. . . .

ومن هذا اختياره سبحانه ولد إسماعيل من أجناس بني آدم، ثمّ اختار منهم بني كنانة من خزيمة، ثمّ اختار من ولد كنانة قريشاً، ثمّ اختار من قريش بني هاشم، ثمّ اختار من بني هاشم سيّد ولد آدم محمداً ﷺ. . .»[(١)].

ورسل الله تعالى كلهم من البشر، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] وقد امتنع أكثر الناس عن الإيمان بالرسل لكونهم من البشر، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٤ ـ ٩٥].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«يقول تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾، أي أكثرهم ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ ويتابعوا الرسل إلاّ استعجابهم من بعثة البشر رسلاً، كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ الآية. وقال فرعون وملؤه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾، وكذلك قالت الأمم لرسلهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ والآيات في هذا كثيرة، ثمّ قال تعالى منبهاً على لطفه ورحمته

---

(١) المرجع السابق: (١/ ٤٠ ـ ٤٤)، ثم قال رحمه الله تعالى: «وكذلك اختار أصحابه من جملة العالمين، واختار منهم السابقين الأولين، واختار منهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان، واختار لهم من الدين كله، ومن الشرائع أفضلها، ومن الأخلاق أزكاها وأطيبها وأطهرها»اهـ فمن طعن في أصحاب النبي ﷺ، يكون قد رد اختيار الله تعالى، كما فعل أولئك الكفار، وفي اختيار الله تعالى لأصحاب رسوله ﷺ، تنبيه على أن ما هم عليه من أخلاق ومنهج هو الأصلح، فإنّ الله تعالى لا يختار لنبيه إلا أولي النُّهى، وصدق الله حين قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

. . . .

بعباده أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته، ولو بعث إلى البشر رسولاً من الملائكة لما استطاعوا مواجهته، ولا الأخذ عنه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ ولهذا قال ها هنا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي كما أنتم فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ أي من جنسهم، ولمّا كنتم أنتم بشراً بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفاً ورحمة»[1].اهـ.

ولقد خص الله تعالى بالرسالة الرجال دون النساء، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

وتتمثل الحكم في جعل الرسل من الرجال في بعض النقاط منها:

«١ ـ أنّ الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال النساء، ومقابلة الناس في السر والعلانية، والتنقل في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاجتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها، والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

٢ ـ الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الآمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة لم يتمّ ذلك على الوجه الأكمل، ولاستنكف أقوام من الاتباع والطاعة.

٣ ـ الذكورة أكمل كما بينا آنفاً، ولذلك جعل الله القوامة للرجال على

---

(١) التفسير: (٣/ ٦٢)، وانظر: (٣/ ١٦٤) منه، وراجع الرسل والرسالات للأشقر: (ص: ٧٠ وما بعدها).

. . . .

النساء، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وأخبر الرسول ﷺ أنّ النساء ناقصات عقل ودين.

٤ ـ المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها»[١].

وقد قام رسل الله عليهم الصلاة والسلام بتبليغ أمر الله أحسن القيام، على هذا يجب أن نعقد قلوبنا ولا نرتاب، قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وعلينا الإيمان بأنّهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنّهم بيّنوه بياناً لا يسع أحداً ممّن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له مخالفته. . .»[٢]. اهـ.

وأما فرض الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، فكما قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«. . .الثاني من شعب الإيمان: وهو الباب في الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة، اعتقاداً وإقراراً، إلاّ أنّ الإيمان بمن عدا نبينا ﷺ، هو الإيمان بأنهم كانوا مرسلين إلى الذين ذكروا لهم أنهم رسل الله إليهم، وكانوا في ذلك صادقين محقّين.

والإيمان بالمصطفى نبينا ﷺ، هو التصديق بأنّه نبيه ورسوله إلى الذين بعث فيهم، وإلى من بعدهم من الجن والإنس إلى قيام الساعة. . .»[٣]. اهـ.

---

(١) انظر الرسل والرسالات: (ص: ٨٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٢٣).

(٣) شعب الإيمان: (١/ ١٤٥).

. . . .

وقد أخبر الله تعالى أن الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«هذا إخبار من الله عزّ وجلّ عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد، فبعثه الله ناهياً عن ذلك ومحذراً من وبيل عقابه، فكذبه قومه، فاستمرّوا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى، ونزّل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل، فلهذا قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ . . .»[١]. اهـ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

« . . . فثبت أنّ حسن المآب إنّما يكون لمن لم يفرق بين رسل الله عزّ وجلّ، وآمن بجماعتهم . . .»[٢].

ولله تعالى رسل وأنبياء كثر، منهم من قصهم علينا، ومنهم من لم يقصهم علينا، وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، ويقول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا

(١) التفسير: (٣/ ٣٢٠)، وانظر الرسل والرسالات للأشقر: (ص: ٢٤).
(٢) شعب الإيمان: (١/ ١٤٥).

. . . .

إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾، أي من قبل هذه الآية، يعني في السور المكية.

وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن وهم: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين[(١)]، وسيّدهم محمد ﷺ. . .»[(٢)]. اهـ.

---

(١) ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥ ـ ٨٦]، وفي قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٥ ـ ٤٨]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «. . .فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، عليه من ربه الصلاة والسلام، وهذا هو المشهور. وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبياً، وإنما كان رجلاً صالحاً، وحكماً مقسطاً عادلاً، وتوقف ابن جرير في ذلك، والله أعلم». اهـ البداية والنهاية: (١/ ٣٢٧).

(٢) التفسير: (١/ ٥٢٢)، وقد ذكر الله تعالى في كتابه أسماء رجال اختلف في رسالتهم ونبوتهم، منهم الخضر، وذو القرنين، وتبع.

أما الخضر، فقد جاءت الإشارة إليه في قصة موسى ﷺ وغلامه يوشع بن نون، قال =

....

....

= تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥]، قال الحافظ ابن كثير كما في التفسير: «وهذا هو الخضر عليه السلام، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ» اهـ. (٨٨/٣). وقصته في البخاري: (٣٤٠٠ ـ ٣٤٠١ ـ ٤٧٢٥ ـ ٤٧٢٦ ـ ٤٧٢٧)، من حديث عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنه. والظاهر أنه من الأنبياء، وعلى ذلك أكثر أهل العلم، بل هو مذهب الجمهور، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «...وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟... وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأنّ النبي ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء...».اهـ فتح الباري: (٥٢٧/٦). وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قول الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، قال: [وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ دليل على أنه كان نبياً، وأنه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل بأمر ربه فهو نبي، وقيل رسول، وقيل ولي، وأغرب من هذا من قال كان ملكاً، قلت: وقد أغرب جداً من قال هو ابن فرعون، وقيل: إنه ابن الضحاك الذي ملك الدنيا ألف سنة...]اهـ البداية والنهاية: (٤٣٨/١) وانظر: (٤٨٢/١ منه)، وراجع الرسل والرسالات للأشقر: (ص: ٢٢).

وأما ذو القرنين، فقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة، والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين، وقيل كان نبياً، وقيل رسولاً، وأغرب من قال ملكاً من الملائكة. وقد حكي هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال: مه ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء، حتى تسميتم بأسماء الملائكة، ذكره السهيلي. وروى وكيع عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو، قال: كان ذو القرنين نبياً...».اهـ البداية والنهاية: (١٥٤/٢، ١٥٥).

وأما تبع فذكر في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ =

. . . .

وذكر الله تعالى الأسباط في قوله جلّ جلاله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

قال أبو العالية والربيع وقتادة: الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد لكل رجل منهم أمة من الناس، فسموا الأسباط[1]. وقد أطلعنا الله تعالى على اسم واحد منهم، وهو يوسف عليه السلام.

وقد ورد في السنة ذكر يوشع بن نون وشيث عليهما السلام.

أمّا يوشع عليه السلام فقد ورد ذكره أيضاً في موضعين في سورة الكهف من غير تصريح باسمه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٢].

وفي السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النّبيّ ﷺ: «**غزا نبيّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يَبْنِ بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خَلِفات وهو ينتظر ولادَها، فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنّك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله**

= [الدخان: ٣٧]، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [ق: ١٢ ـ ١٤].

قال الدكتور عمر سليمان الأشقر وفقه الله تعالى: «والأفضل أن يتوقف في إثبات النبوة لهذين، لأنه صح عن الرسول ﷺ، أنه قال: «ما أدري أتبع نبياً أم لا، وما أدري ذا القرنين نبياً أم لا؟». فإذا كان الرسول ﷺ لا يدري، فنحن أحرى بأن لا ندري». اهـ الرسل والرسالات: (ص: ٢٢).

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/ ١٦٣)، وراجع لزاماً البداية والنهاية: (١/ ٤٧٠، ٤٧١).

. . . .

عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت ـ يعني النار ـ لتاكلها فلم تطعمها، فقال: إنّ فيكم غلولاً، فليبايعني من كلّ قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاؤوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها. ثمّ أحلّ الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا»[1].

قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«وهذا النبي هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار... وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة، أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الشمس لم تحبس لبشر إلاّ ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»...»**[2]. اهـ.

(١) أخرجه البخاري: (٣١٢٤ ـ ٥١٥٧)، ومسلم: (١٧٤٧)..

(٢) فتح الباري: (٦/ ٢٦٥)، وقال رحمه الله تعالى: «ولا يعارضه ما ذكره ابن إسحاق في «المبتدأ» من طريق يحيىٰ بن عروة بن الزبير عن أبيه: «أنّ الله لما أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل، أمره أن يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتى كاد الفجر أن يطلع، وكان وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر، فدعا ربه أن يؤخر الطلوع حتى فرغ من أمر يوسف ففعل». لأن الحصر إنما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس، فلا ينفي أن يحبس طلوع الفجر لغيره... ولا يعارضه أيضاً ما ذكره يونس بن بكير في زياداته في مغازي ابن إسحاق، «أن النبي ﷺ لما أخبر قريشاً صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وأنها تقدم مع شروق الشمس، فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير» وهذا منقطع، لكن وقع في «الأوسط» للطبراني من حديث جابر «أن النبي ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار» وإسناده حسن. ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ، فلم تحبس إلاّ ليوشع، وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبينا...»اهـ فتح الباري: (٦/ ٢٦٦).

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا =

. . . .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وهو يوشع بن نون بن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام... وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب، فإنّ طائفة منهم وهم السامرة، لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى إلاّ يوشع بن نون، لأنّه مصرح به في التوراة، ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربّهم، فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم الدين»[(١)]. اهـ.

وأمّا شيث بن آدم عليهما السلام، فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً، أنّه أنزل عليه خمسون صحيفة...»[(٢)]. اهـ.

فالذي أخبرنا الله تعالى بهم هم هؤلاء الأخيار، وما من أمة إلا وقد بعث الله فيها نذير من عباده، وذلك من حكمته تعالى وعدله، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فالذي يجب على كل مسلم اعتقاده، الإيمان بمن سمّى الله تعالى، وأنّ غيرهم كثير، لا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى.

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«... وأمّا الأنبياء والرسل، فعلينا الإيمان بمن سمّى الله تعالى في كتابه من

= ليوشع...» الحديث، أخرجه أحمد: (٢/ ٣٢٥)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٢/ ١٠)، والخطيب البغدادي في التاريخ: (٧/ ٣٤)، وقال الحافظ أيضاً: «رجال إسناده محتج بهم في الصحيح» (٦/ ٢٦٦).

(١) البداية والنهاية: (١/ ٤٦٨).

(٢) المرجع نفسه: (١/ ١٣٤)، وتكون حينئذٍ الصحف التي أنزلت عليه من الكتب المنزلة المعلومة لدينا.

. . . .

رسله، والإيمان بأنّ الله تعالى أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلاّ الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة، لأنّه لم يأت في عددهم نص»[1]. اهـ.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٢٣)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل، أخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر سأل النبي ﷺ عن عدد الأنبياء، وأن منهم العرب والسريانيون. ورواه بطوله ابن حبان في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسمه بالصحة، وخالفه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي فذكره في كتاب الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام، ولا شكّ أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث. وإن كان صححه ابن حبان.

ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟... معان بن رفاعة السلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمٰن ضعيف أيضاً. ورواه أبو يعلى عن موسى بن عبيد الربذي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس»، وهذا أيضاً إسناد ضعيف، فيه الربذي ضعيف وشيخه الرقاشي أضعف منه، والله أعلم». اهـ بتصرف، انظر التفسير: (١/ ٥٢٢، ٥٢٣). إلا أن الحاكم أخرج في المستدرك: (٢/ ٢٦٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (١/ ٥١٧)، وهذا لفظه عن أبي أمامة رضي الله عنه، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم معلّم مكلّم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشرة قرون، قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً»، قال الحاكم رحمه الله تعالى: «صحيح على شرط مسلم».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه». البداية والنهاية: (١/ ١٣٧). وذكر الحافظ تصحيح ابن حبان ولم يتعقبه، كما في فتح الباري: (٦/ ٤٤٩). والله تعالى أعلم.

[٦٥] هم[١] حجّة الله وشهوده، أنبأهم الله بوحيه، وأرسلهم لتبليغه لخلقه، ليعرّفوهم به وبشرعه، وينبهوهم إلى آياته، ويذكروهم بإنعاماته، ويبشروهم بالسعادة والنجاة إذا اتبعوهم، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم، فقامت بهم ـ لما بلّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة ـ حجّة الله على خلقه، وكانوا ـ وهم العدول الأمناء الصادقون ـ شهداء عليهم يوم لقائه.

لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥].

ولقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النحل: ٨٩].

---

[٦٥] لقد قام رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام بتبليغ دين الله تعالى كما أمرهم ربّهم عزّ وجلّ، وما فرطوا وما قصّروا، فكانوا حقاً شهود الله وحجته على عباده، هذه عقيدة كل مسلم، لا يشك فيها ولا يرتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ عَلَيهم البلاغ المبين، وقد بلّغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله كتابه مصدّقاً لما بين يديه من

---

(١) في (ح) «والرسل حجة الله...».

. . . .

الكتاب ومهيمناً عليه، فهو الأمين على جميع الكتب، وقد بلّغ أبين البلاغ وأتمّهُ وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، وجاهد في الله حقّ جهاده، وعبد الله حتّى أتاه اليقين، فأسعد الخلق وأعظمهم نعيماً وأعلاهم درجة، أعظمهم اتّباعاً وموافقة له علماً وعملاً»[1]. اهـ.

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وعلينا الإيمان بأنّهم بلّغوا ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنّهم بيّنوه بياناً لا يسع أحداً ممّن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه. . . »[2]. اهـ.

فـ «لا أحد أحبّ إليه العذر من الله تعالى، فالله جلّ وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب كي لا يبقى للناس حجّة في يوم القيامة، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولو لم يرسل الله الرسل إلى الناس لجاؤوا يوم القيامة يخاصمون الله جلّ وعلا، ويقولون: كيف تعذبنا وتدخلنا النار، وأنت لم ترسل إلينا من يبلغنا مرادك منا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤]، أي لو أهلكهم الله بعذاب جزاء كفرهم قبل أن يرسل إليهم رسولاً، لقالوا: هلاّ أرسلت إلينا رسولاً كي نعرف مرادك ونتبع آياتك، ونسير على النهج الذي تريد؟

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الأوّلين والآخرين يأتي الله لكل أمة برسولها ليشهد عليها بأنّه بلغها رسالة ربّه، وأقام عليها الحجّة ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ

---

(١) مجموع الفتاوى: (٤/ ٢٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٤٢٣).

. . . .

ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤١ ـ ٤٢].

ولذلك فإنّ الذين يرفضون اتّباع الرسل، ويعرضون عن هديهم، لا يملكون إلاّ الاعتراف بظلمهم إذا وقع بهم العذاب في الدنيا ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: ١١ ـ ١٥].

وفي يوم القيامة عندما يساقون إلى المصير الرهيب، وقبل أن يلقوا في الجحيم يسألون عن ذنبهم فيعترفون، ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ٨ ـ ١١].

وعندما يضجّون في النار بعد أن يحيط بهم العذاب من كل جانب وينادون ويصرخون تقول لهم خزنة النار: ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٥٠]»[1].

ولقد قصّ الله تعالى علينا في كتابه خبر الأنبياء مع أقوامهم، ودعوتهم إياهم إلى التوحيد، وأخبرنا تعالى أنهم لم يدّخروا جهداً في القيام بما أمرهم الله تعالى من الدعوة والتبليغ.

فهذا أول الرسل الكرام نوح عليه السلام، يقول الله تعالى عنه وعن دعوته قومه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ

---

(١) انظر الرسل والرسالات للأشقر حفظه الله تعالى: (ص: ٥٢، ٥٣).

. . . .

أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١ - ١٠].

وآخر الرسل نبيّنا محمدﷺ، قال في خطبة حجة الوداع بعرفات: «**قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قلوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات**»(١).

قال العلاّمة أبو الطيّب العظيم آبادي رحمه الله تعالى:

«فأنتم مسؤولون عني، أي عن تبليغي وعدمه، «فما أنتم قائلون»، أي في حقي، «قد بلغت»، أي الرسالة، «وأديت»، أي الأمانة، «ونصحت»، أي الأمة. . .»، «اللهم اشهد»، على عبادك بأنهم قد أقرّوا بأني قد بلغت، أو المعنى: اللهم اشهد أنت إذ كفى بك شهيداً. . .»(٢). اهـ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

«والمقصود أنّ رسول اللهﷺ استمرّ يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حر وعبد، وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع واحد. . .»(٣). اهـ.

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٣٣٤) من حديث جابرﷺ، وفي بعض الروايات: «وأنتم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك»، انظر حجة النبيﷺ كما رواها جابر، للألباني رحمه الله تعالى.

(٢) عون المعبود: (٥/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٣) صحيح السيرة النبوية: (ص: ١٤١).

. . . .

وهكذا جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فمحال أن يصطفي الله تعالى رسله لتبليغ دينه، ثمّ بعد ذلك لا يقيموا الحجة على خلقه، بل اصطفاء الله لهم يقتضي ذلك، فعلينا أن نشهد أنهم بلغوا ونصحوا، وأقاموا الحجة دعوة وبياناً وتفهيماً.

تأييد الله لهم بالبيّنات والآيات

[٦٦] لمّا أرسل الله الرسل لهداية خلقه، وإقامة حجته، أيّدهم بالبيّنات، وهي كلّ ما تبيّن به الحق، من كمال سيرتهم في قومهم، ووضوح بيانهم، وقوّة حجّتهم، وأيدهم بالآيات المعجزات الخارقة للعادة، المعجوز عن معارضتها، فكانوا يدعون الخلق بالحجج والبراهين.

فإذا سألوهم آية ردّوا الأمر إلى الله، وتبرؤوا من أن يكون لهم معه تصرف في الكون حتى يأتوا بالآيات، فيعطيهم الله الآيات تأييداً لهم، وتخويفاً لقومهم، فيخضع قوم فيؤمنون، ويستمر الأكثرون على العناد، فتحق عليهم كلمة العذاب.

لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

ولقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ

لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ٩ ـ ١٢].

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

[٦٦] لقد أقامت الرسل ﷺ الحجة على من أرسلوا إليهم بالبينات التي أيدهم الله تعالى بها، فإنّ «الأنبياء أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، وغير ذلك من المواهب والقدرات... وقد كانوا يعرضون دين الله للمعارضين ويفحمونهم في معرض الحجاج، وفي هذا المجال أسكت إبراهيم خصمه ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال الله معقّباً على محاججة إبراهيم لقومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وموسى كان يجيب فرعون على البديهة حتى انقطع، فانتقل إلى التهديد بالقوة، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٩]...»[1].

وقال المصنف رحمه الله تعالى:

«لمّا كان المقصود من الرسالة هو هداية الخلق، وإقامة الحجة عليهم، كان الرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل الناس في أخلاقهم، وأنزههم في سيرتهم معروفين بين أقوامهم قبل نبوتهم، ثم إذا بعثهم الله تعالى آتاهم من العلم وقوة

---

(١) الرسل والرسالات للأشقر: (ص: ٨٣).

. . . .

الإدراك ووضوح البيان ما تنهض به حجتهم، وتتضح به دعوتهم، ويقطع بكل من يعارضهم حجتهم، ويموه بباطل، وإذا قرأت ما قصه علينا القرآن العظيم من مواقف الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم، رأيت كيف أنّهم كانوا يدعون الناس بالحجج والبراهين، والأدلة العقلية الجلية»[١].

وما بعث الله رسولاً إلا وأيّده بصالح الأخلاق، وجميل الصفات، ولقد كانت بعثة النّبيّ ﷺ لإكمال مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم التي دعا إليها الرسل قبله، فعن أبي هريرةﷺ، أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»، وفي رواية: «**إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق**»[٢].

«ولقد بلغ الأنبياء في هذا مبلغاً عظيماً، وقد استحقّوا أن يثني عليهم ربّ الكائنات... وقد كان لهذه الأخلاق أثر كبير في هداية الناس وتربيتهم... ولو لم يتصف الرسل بهذا الكمال الذي حباهم الله به، لما انقاد الناس لهم، ذلك أنّ الناس لا ينقادون عن رضا وطواعية لمن كثرت نقائصه، وقلت فضائله...»[٣].

ثمّ إنّ الله جلّ جلاله أيّد رسله عليهم الصلاة والسلام بما أرسل معهم من الآيات البيّنات على صدق دعوتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، «أي بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات»[٤].

وكل نبي محتاج إلى آية تدل على صدقه، فعن أبي هريرةﷺ قال: قال

---

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير للمصنف رحمه الله تعالى: (ص: ٣٣).
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: (٢٧٣)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٦١٣)، وأحمد: (٢/ ٣٨١)، وقال الحاكم رحمه الله تعالى: «صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي رحمه الله تعالى. وانظر السلسلة الصحيحة: (٤٥).
(٣) الرسل والرسالات: (ص: ٨٠، ٨١).
(٤) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/ ٢٨٣).

. . . .

رسول الله ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيّ إلاّ أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى شارحاً للحديث:

«هذا دال على أنّ النّبيّ لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصرّ على المعاندة...»[1]. اهـ.

«وإذا استقرأنا الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسله وأنبيائه، نجدها تندرج تحت ثلاثة أمور: العلم، والقدرة، والغنى»[2].

«فالإخبار بالمغيّبات الماضية والآتية، كإخبار عيسى قومه بما يأكلونه ويدّخرونه في بيوتهم، وإخبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة، وإخباره بالفتن وأشراط الساعة التي ستأتي في المستقبل، كلّ ذلك من باب العلم.

وتحويل العصا أفعى، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وشقّ القمر وما أشبه هذا، من باب القدرة.

وعصمة الله لرسوله ﷺ من الناس، وحمايته له ممّن أرادَ به سوءً، ومواصلته للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه من باب الغنى.

وهذه الأمور الثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، التي ترجع إليها المعجزات، لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال إلاّ لله تعالى، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بالبراءة من دعوى هذه الأمور: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]...»[3].

---

(١) فتح الباري: (٩/٩)، وسيأتي تخريج الحديث إن شاء الله تعالى (ص: ٣٨٢).
(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (١١/ ٣١٢، ٣١٣).
(٣) الرسل والرسالات: (ص: ١٢٣).

. . . .

وقد ذكر الله تعالى في كتابه اقتراح أعداء الرسل أن يأتوا بخارق، فقالوا لهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، «أي خارق نقترحه عليكم، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، أي صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، أي بالرسالة والنبوة، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ على وفق ما سألتم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، أي بعد سؤالنا إيّاه وإذنه لنا في ذلك، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أي في جميع أمورهم...»[(١)].

قال المصنف رحمه الله تعالى:

«...وأنّهم كانوا إذا سئلوا الآيات المعجزات الخارقة للعادة ردوا الأمر إلى الله، ونفوا أن تكون لهم قدرة على الإتيان بها إلاّ بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، فيظهر الله على أيديهم الآيات تأييداً لهم وتخويفاً لأقوامهم، وقطعاً لمشاغبتهم، فيخضع لها بعضهم، ويستمر الأكثرون على العناد...»[(٢)].

فالرسل عليهم الصلاة والسلام لا يملكون خزائن الله، ولا يتصرفون فيها ولا يعلمون الغيب، ولا يدعون أنهم ملائكة، بل هم بشر من البشر، يوحى إليهم من الله تعالى، شرّفهم بذلك وأنعم عليهم به، فهم يتبعون ما أوحي إليهم، ولا يخرجون عنه قَيْدَ شبر ولا أدنى منه، وما أجرى على أيديهم من الآيات المبصرات والآيات الباهرات، إذا نظر فيها مريد الحق، دلّته أنّها شهادة صادقة من الله لرسله عليهم الصلاة والسلام[(٣)].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/ ٤٨١)، والآيات من سورة إبراهيم: [١٠ - ١٢].

(٢) مجالس التذكير: (ص: ٣٣، ٣٤).

(٣) راجع تفسير ابن كثير: (٢/ ١٢٥)، والرسل والرسالات: (ص: ١٣١)، لتقف على أمثلة من آيات ومعجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

. . . .

فائدة:

إن المعجزات والآيات التي يرسلها الله تعالى للدلالة على صدق رسله عليهم الصلاة والسلام تنقطع بموتهم[١]، ولا يبقى إلا الكرامات، فإنّ من أصول أهل السنة والجماعة وأتباع السلف، التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله تعالى على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات[٢].

وذلك أنّ الله تعالى يعطي بعض عباده أموراً خارقة للعادة، لا للتحدّي والإعجاز، فإنّ ذلك للرسل، وإنّما إكراماً لهم على صلاحهم، وتقواهم وقوّة إيمانهم.

ثمّ اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنّ الكرامة ليست دائماً «دليلاً على تفضيل هذا المعطي على غيره، فقد يعطي الله الكرامة ضعيف الإيمان لتقوية إيمانه، ومحتاجاً لسد حاجته، ويكون الذي لم يعط مثل ذلك أكمل إيماناً وأعظم

---

(١) المقصود بانقطاعها، أنها لا تأتي لدلالة على صدق أحد بعدهم، وإنما قد تأتي علامات ودلالات على ما أخبر به رسول الله ﷺ أنه سيقع، فتكون من الآيات الدالة على صدق الرسول بعد موته، ومن ذلك إخباره ﷺ بزوال كسرى وقيصر، وأنّ كنوزهما ستنفق في سبيل الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله» [أخرجه البخاري: (٥٧ ـ ٦١ ـ ٨٣)، ومسلم: (٢٩١٨)، وقد ثبت عنه ﷺ عند البخاري: (١/ ١٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في قيصر: «ثبت الله ملكه»]، قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «ووجه الجمع بين الحديثين أنّ كسرى تمزّق ملكه فلم يبق لهم ملك، وأنفقت كنوزه في سبيل الله، وأورث الله المسلمين أرضه، وقيصر ثبت ملكه بالروم، وانقطع عن الشام، واستبيحت خزائنه التي كانت بهما، وأنفقت في سبيل الله. فمعنى قوله: لا قيصر بعده، يعني بالشام» شرح السنة: (١٣/ ٣١٠).

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية: (ص: ٥٦٣).

. . . .

ولاية، وهو لذلك مستغن عن مثل ما أعطي غيره، ولذلك كانت الأمور الخارقة في التابعين أكثر منها في الصحابة، وعلى هذا فلا ينبغي أن يشغل المرء نفسه بالتطلع إلى الكرامة، ولا ينبغي له أن يحزن إذا لم يعطها، وقد صدق أبو علي الجوزجاني وبرّ، حين قال: «كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإنّ نفسك منجبلة على طلب الكرامة، وربّك يطلب منك الاستقامة». قال بعض من فهم قوله: «وهذا أصل عظيم كبير في الباب، وسرّ غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب»[(١)].

ثمّ احذر أخي المسلم أن تنخدع بكل من جرت على يديه خوارق العادات، فتظن أنّه من أولياء الله الصالحين، فبعض الناس يظهرون أموراً خارقة وهم من أفجر خلق الله، «فالكرامة سببها الإيمان والتقوى والاستقامة على طاعة الله تعالى، فإذا كانت الخارقة بسبب الكفر والشرك والطغيان والظلم والفسق، فهي من الأحوال الشيطانية، لا من الكرامات الرحمانية»[(٢)]، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

---

(١) الرسل والرسالات: (ص: ١٦٠)، وانظر مجموع الفتاوى: (١١/ ٣٢٠).

(٢) المرجع نفسه: (ص: ١٦١).

تمام عبوديتهم مع علو مرتبتهم

[٦٧] هم عليهم الصلاة والسلام ـ على علو منزلتهم ـ، يمتازون على الخلق في تمام عبوديتهم، بافتقارهم إلى الله، وجريان قدره عليهم، وعدم ملكهم شيئاً معه من[١] التصرّف في ملكه، وعدم علمهم الغيب (إلاّ ما علمهم الله)[٢]، وجريان شرعه عليهم، وقيامهم بما كلِّفوا به خاضعين لله راجين خائفين.

لقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

ولقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

[٦٧] سبق أن ذكرنا أنّ من حكمة الله تعالى جعله الرسل من البشر، فهم «يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صوره»[٣].

والرسل عليهم الصلاة والسلام يعدّون إعداداً خاصاً للقيام بما فرض الله

---

(١) في (ص) «في».

(٢) ما بين قوسين غير موجود في (ح).

(٣) الرسل والرسالات: (ص: ٧٩).

. . . .

تعالى عليهم من البلاغ والتبشير والإنذار.

«ومقتضى كونهم بشراً أن يتصفوا بالصفات التي لا تنفك عنها البشرية. . . ويصيبهم ما يصيب البشر من أعراض، فهم ينامون ويقومون، ويصحّون ويمرضون، ويأتي عليهم ما يأتي على البشر وهو الموت، فقد جاء في ذكر إبراهيم خليل الرحمن لربه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٩ ـ ٨١]. وقال لعبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال مبيّناً أنّ هذه سنته في الرسل كلهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. . .

ومن مقتضى بشرية الرسل، أنهم يتعرضون للابتلاء كما يتعرض البشر. . . والأنبياء لا يصابون بالبلاء فحسب، بل هم أشدّ الناس بلاء[١]. . .

ومن مقتضى بشريتهم أنّهم قد يقومون بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر، فمن ذلك اشتغال الرسول ﷺ بالتجارة قبل البعثة، ومن ذلك رعي الرسل للغنم[٢]. . .»[٣].

---

(١) كما جاء في الحديث عن سعد ﷺ، قال: «قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء. . .» الحديث، انظر تخريجه في السلسلة الصحيحة: (١٤٣).

(٢) عن جابر ﷺ، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكباث، وأنّ رسول الله ﷺ قال: عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: وهل من نبي إلاّ وقد رعاها». أخرجه البخاري: (٣٤٠٦)، والكباث بفتح الكاف الموحدة الخفيفة وآخره مثلثة، هو ثمر الأراك، ويقال ذلك للنضيج منه. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٦/ ٥٣٣).
قال الحافظ رحمه الله تعالى: «. . .والذي قاله الأئمة أنّ الحكمة من رعاية الأنبياء للغنم، ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم الخلوة، ويترقوا من سياستهم إلى سياسة الأمم».اهـ فتح الباري: (٦/ ٥٣٤).
وقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: «. . .أنّ الله تعالى لم يضع النبوة في أبناء الدنيا والمترفين منهم، وإنما جعلها في أهل التواضع، كرعاة الشاء وأصحاب الحرف. . .».اهـ فتح الباري: (٦/ ٥٣٤).

(٣) الرسل والرسالات: (ص: ٧٤ ـ ٧٦).

. . . .

ومقتضى كونهم بشراً أنّهم ليسوا آلهة، وليس فيهم من صفات الله تعالى شيئاً، فهم لا يعلمون الغيب ولا يدّعونه إلاّ ما أطلعهم الله عليه، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]، فإنّهم يتبرؤون من الحول والطول، ويعتصمون بالله تعالى وحده، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

«هذه مقالة عيسى في الموقف الجامع في يوم الحشر الأكبر، وهي مقولة صدق تنفي تلك الأكاذيب والترهات التي وصف بها النصارى عبد الله ورسوله عيسى، فطائفة قالت: الله هو المسيح بن مريم حلّ في بطن مريم، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأخرى قالت: هو ثالث ثلاثة، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وطائفة ثالثة قالوا هو ابن الله، تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٨٩].

لقد غلا النصارى في عيسى غلواً عظيماً، وهم بمقالتهم الغالية هذه يسبّون الله أعظم سبّ وأقبحه، فهم يزعمون [أنّ ربّ العالمين نزل عن كرسي عظمته، فالتحم ببطن أنثى، وأقام هناك مدة من الزمان، بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء، تحت ملتقى الأعكان، ثمّ خرج صبياً رضيعاً يشبّ شيئاً فشيئاً، ويبكي، ويأكل، ويشرب، ويبول، ويتقلب مع الصبيان، ثمّ أودع المكتب مع صبيان اليهود، يتعلم ما ينبغي للإنسان، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان، ثمّ

. . . .

جعل اليهود يطردونه من مكان إلى مكان، ثمّ قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان، فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان، وأركبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان، ثمّ ساقوه إلى خشبة الصلب مصفوعاً مبصوقاً في وجهه، وهم خلفه وأمامه وعن شمائله والأيمان، ثمّ أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الأبدان، ثمّ شدّت بالحبال يده مع الرجلان، ثمّ خالطهما تلك المسامير، التي تكسر العظام، وتمزق اللحمان، وهو يستغيث، ويقول: ارحموني، فلا يرحمه منهم إنسان، هذا هو مدبر العالم العلوي والسفلي، الذي يسأله من في السموات والأرض كلّ يوم هو في شأن، ثمّ مات ودفن في التراب تحت صمّ الجنادل والصوّان، ثمّ قام من القبر وصعد إلى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان]، فأيّ سبّ أعظم من هذا السبّ، الذي نسبوه إلى الباري جلّ وعلا! وأيّ ضلال أعظم من هذا الضلال»[1].

فليس في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خصائص الألوهية، فضلاً عن خصائص الملائكة شيئاً، فلا يملكون نفعاً وضراً، ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [نوح: ٢١]، وإنّما هم عباد الله، يهدون الناس إلى الله، قد حازوا السبق في تحقيق العبودية، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَاذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٥ ـ ٤٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين، وأنبيائه العابدين

---

(١) انظر الرسل والرسالات: (ص: ٧٧، ٧٨). والنص بين معكوفتين للإمام ابن القيم من كتابه هداية الحيارى، نقلاً عن المرجع السابق. وهؤلاء مثل الذين زعموا أنّ علياً ﷺ إله!.

. . . .

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾، يعني بذلك العمل الصالح، والعلم النافع، والقوة في العبادة، والبصيرة النافذة. . .

قال مجاهد: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ يعني القوة في طاعة الله تعالى، ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يعني البصر في الحق، وقال قادة والسدّي: أعطوه قوة في العبادة، وبصراً في الدين. . .»[1]. اهـ.

«فكلّما كان الإنسان أكثر تحقيقاً للعبودية لله تعالى، كلّما كان أكثر رقيّاً في سلّم الكمال الإنساني، وكلّما ابتعد عن تحقيق العبودية لله، كلّما هبط وانحدر، والرسل حازوا السبق في هذا الميدان، فقد كانت حياتهم انطلاقة جادة في تحقيق هذه العبودية»[2].

وبهذا تعلم أخي المسلم، أنّ الله تعالى لم يجعل الأنبياء ولا ذواتهم ولا جاههم ـ فضلاً عن الصالحين ـ سبباً للزلفى لديه، وإنّما جعل الوسيلة إليه هو اتباعهم وتصديق ما أخبروا به، واتباع النور الذي جاؤوا به، والجهاد من أجل تقريره وتثبيته بين الخلق[3].

---

(١) التفسير: (٤/٣٦، ٣٧)، وقال علي بن طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أولي الأيدي»، يقول: أولي القوة، «والأبصار»، يقول: الفقه في الدين.

(٢) الرسل والرسالات: (ص: ٨٣، ٨٤).

(٣) انظر هذه مفاهيمنا للشيخ العلاّمة صالح عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله تعالى: (ص: ١١).

تأدبنا معهم فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه

[٦٨] هم عباد الله يخاطبهم بما شاء، ويعاتبهم بما أراد، فيعترفون ويستغفرون، وليس لنا فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه إلاّ حكاية لفظه، كما ثبت في الكتاب والسنة، مع اعتقاد احترامهم وإكبارهم[١]، وأنّ الله يعاتبهم على قدر علو منزلتهم، وأنّهم لكمال معرفتهم بربّهم وعظيم حقه عليهم، يرون ما لا يعدّ تقصيراً بالنسبة لغيرهم، تقصيراً بالنسبة لهم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

---

[٦٨] لمّا كان رسل الله عليهم الصلاة والسلام من البشر، اقتضى ذلك أن يقع منهم بعض المخالفات الصغيرة، التي هي دليل على بشريتهم، وهذا قول أكثر من يعتدّ بقوله من علماء الإسلام، بل لا يعرف لهم مخالف من الصحابة، ولا من التابعين وتابعيهم، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«القول بأنّ الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتّى إنّه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي، أنّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلاّ ما وافق هذا القول...»[١]. اهـ.

---

(١) في (ح) «وإكبار جانبهم».

(٢) مجموع الفتاوى: (٣١٩/٤).

. . . .

والدليل على ذلك معصية آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**حاجّ موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني، فحجّ آدم موسى**»(١).

وهكذا نوح عليه السلام مع ابنه، وموسى عليه السلام مع القبطي، وداود عليه السلام مع الخصم الثاني، ونبيّنا ﷺ عاتبه ربّه في أمور ذكرها الله تعالى في مواضع من الكتاب العزيز.

«هذه أمثلة اكتفينا بذكرها عن غيرها، وإلاّ فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه، وخروجه من قومه من غير إذن ربّه، وما صنعه أولاد يعقوب بأخيهم يوسف في إلقائه في غياب الجبّ، ثمّ أوحى الله إليهم وجعلهم أنبياء»(٢).

ولكننا نبرأ إلى الله تعالى من أبناء القردة والخنازير، الذين ينسبون بهتاناً وزوراً بعض القبائح إلى المصطفين الأخيار، أولئك حزب الشيطان الأشرار، اليهود والنصارى في ذلك سواء.

«فإنّ الأمة الإسلامية مجمعة على أنّ مثل هذه الذنوب التي نسبها اليهود والنصارى إلى أنبياء الله، كالزنى والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها. . . لا يمكن أن تقع من أحد من الأنبياء والرسل بحال من الأحوال، وأنّهم معصومون من ذلك. . .»(٣).

وإنما الذي وقع فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كله من المخالفات التي لا يسلم منها بشر، بل هي من مقتضيات بشريتهم، كما أنّه لم يقترف نبي من

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٧٣٨).

(٢) الرسل والرسالات: (ص: ١٠٩).

(٣) المرجع نفسه: (ص: ١٠٦).

. . . .

الأنبياء ذنباً، إلاّ وقد سارع إلى التوبة والإنابة والاستغفار، فالله تعالى لا يقرهم على ذنب، وهم لا يؤخرون التوبة صلوات الله وسلامه عليهم، والله تعالى لم يعصمهم من صغائر الذنوب، ولكنه تعالى عصمهم من الإصرار عليها، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها[1].

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى:

«هذه الصغائر التي تقع من الأنبياء، لا يجوز أن تتخذ سبيلاً للطّعن فيهم، والإزراء عليهم، فهي أمور صغيرة ومعدودة، غفرها الله لهم، وتجاوز عنها، وطهرهم منها، وعلى المسلم أن يأخذ العبرة والعظة لنفسه من هذه، فإذا كان الرسل الكرام الذين اختارهم الله واصطفاهم، عاتبهم الله ولامهم على أمور كهذه، فإنّه يجب أن نكون على حذر وتخوّف من ذنوبنا وآثامنا، وعلينا أن نتأسى بالرسل والأنبياء في المسارعة إلى التوبة والأوبة إلى الله، وكثرة التوجه إليه واستغفاره. . .»[2]. اهـ.

فائدة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات**»[3].

وقد بين رسول الله ﷺ هذه الكذبات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات: ثنتين منهنّ في ذات الله عزّ وجلّ، قوله:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، **وقوله:** ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، **وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبّار من الجبابرة، فقيل له: إنّ ها هنا**

(١) راجع كتاب «حجية السنة» للشيخ عبد الغني عبد الخالق.

(٢) الرسل والرسالات: (ص: ١١٢).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٣٥٧).

. . . .

رجلاً معه امرأة من أحسن النساء، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة، قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإنّ هذا سألني عنك فأخبرته أنّك أختي، فلا تكذّبيني. فأرسل إليها، فلمّا دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ. قال: ادعي الله لي ولا أضرّك، فدعت الله فأطلق، ثمّ تناولها الثانية فأُخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق. فدعا بعض حجبته فقال: إنّكم لم تأتوني بإنسان، إنّما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مَهْيَمْ؟ قالت: ردّ الله كيد الكافر ـ أو الفاجر ـ في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: تلك أمّكم يا بني ماء السماء»(١).

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٣٥٨). هكذا موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «. . .ولكن الحديث في الأصل ثابت الرفع، لكن ابن سيرين كان يقف كثيراً من حديثه تخفيفاً». فتح الباري: (٩/ ١٦٠)، وانظر: (٦/ ٤٧٢) منه.

وقال رحمه الله تعالى: «. . .قوله: مهيم، وفي رواية المستملي: مهيا، وفي رواية ابن السكن: مهين، بنون وهي بدل الميم، وكأنّ المستملي لما سمعها بنون ظنها نون تنوين، ويقال إنّ الخليل أوّل من قال هذه الكلمة، ومعناها: ما الخبر؟. . .

قوله: قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء، كأنه خاطب العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أنّ العرب كلّهم من ولد إسماعيل، وقيل: أراد بماء السماء زمزم، لأنّ الله أنبعها لهاجر، فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها. قال ابن حبان في صحيحه: كلّ من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء، لأنّ إسماعيل ولد هاجر، وقد ربي بماء زمزم، وهي من ماء السماء. وقيل: سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفائِه، فأشبه ماء السماء، وعلى هذا فلا متمسك فيه. وقيل: المراد بماء السماء عامر ولد عمرو بن عامر بن بقيا بن حارثة بن الغطريف، وهو جد الأوس والخزرج، وقالوا: إنما سمّي بذلك لأنه كان إذا قحط الناس أقام لهم ماله مقام المطر، وهذا أيضاً على القول بأنّ العرب كلّها من ولد إسماعيل. . .». اهـ فتح الباري: (٦/ ٤٧٦).

. . . .

فقد ذكر رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق هذه الكذبات لخليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله في سارة[١].

ولكن لا يذهبنّ ذهنك أخي المسلم بعيداً، فليست كذبات الخليل من جنس كذب المنافق، أو كذب أهل الغدر، فتكذب رسولك ﷺ، وتقول: ليست هذه بكذبات، وإنّما ذلك نهج أهل الزيغ والضلال والجهل، بل كن مؤمناً مصدّقاً لرسولك ﷺ، متبعاً أهل السنة والعلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، حاشا وكلا ولمّا، وإنّما أطلق الكذب على هذا تجوّزاً، وإنّما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث: «إنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب»»[٢]. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة، فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذباً، لكنه إذا حقق لم يكن كذباً لأنّه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض، فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون أراد أنّي سقيم، أي سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً، ويحتمل أنّه أراد أنّي سقيم بما قدر عليّ من الموت، أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن

---

(١) هذا هو الصحيح، وقد زيدت في كذباته ﷺ قوله في الكوكب: «هذا ربي»، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارة، والذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة دون الكوكب...». اهـ فتح الباري: (٦/ ٤٧٣).

(٢) التفسير: (٤/ ١٢).

. . . .

بعضهم أنّه كان تأخذه الحمى في ذلك الوقت، وهو بعيد لأنّه لو كان كذلك لم يكن كذباً، لا تصريحاً ولا تعريضاً، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، قال القرطبي: هذا قاله تمهيداً للاستدلال على أنّ الأصنام ليست بآلة، وقطعاً لقومه في قولهم إنّها تضر وتنفع، وهذا الاستدلال يتجوز فيه الشرط المتصل، ولهذا أردف قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ بقوله: ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾، قال ابن قتيبة: معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فالحاصل أنّه مشترط بقوله: ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾، أو أنّه أسند إليه ذلك لكونه السبب.

وعن الكسائي أنّه كان يقف عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾، أي فعله من فعله كائناً من كان، ثمّ يبتدىء ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وهذا خبر مستقل، ثمّ يقول: ﴿فَسْئَلُوهُمْ﴾ إلى آخره، ولا يخفى تكلفه.

وقوله: «هذه أختي»، يعتذر عنه بأنّ مراده أنّها أخته في الإسلام.

قال ابن عقيل: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أنّ العقل قطع بأنّ الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنّما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام ـ يعني إطلاق الكذب على ذلك ـ إلاّ في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلاّ فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمّل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما، وأمّا تسميته إيّاها كذبات فلا يريد أنّها تذم، فإنّ الكذب وإن كان قبيحاً مخلاً، لكنّه قد يحسن في مواضع وهذا منها...»[1].اهـ.

وممّا يؤكد هذا المعنى قوله في الحديث عن كذباته عليه السلام: «**..ثنتين منهنّ في ذات الله...**».

فقد «خصهما بذلك لأنّ قصة سارة، وإن كانت أيضاً في ذات الله، لكن

---

(١) فتح الباري: (٦/ ٤٧٣). وراجع التنكيل للمعلمي (٢/ ٢٤٨).

. . . .

تضمنت حظاً ونفعاً له، بخلاف الثنتين الأخيرتين، فإنّهما في ذات الله محضاً، وقد وقع في رواية هشام بن حسان... **«إنّ إبراهيم لم يكذب قط إلاّ ثلاث كذبات، كلّ ذلك في ذات الله»**، وفي حديث ابن عباس عند أحمد: **«والله إن جَادَلَ بهنّ إلاّ عن دين الله»...»**[1].

فهذا أخي سبيل المؤمنين من علماء المسلمين، فلا تطعن في حديث رسولك، وتقول هذا غير صحيح، أو تقول: كيف يكذب إبراهيم وله مكان صدق عليا عند ربّه؟ أو تكون كالذين يفترون على الأنبياء فتنسب أباك إبراهيم إلى الكذب، وإنما تؤمن وتصدق بما أخبر به الرسولﷺ، وقد ظهر لك من أقوال علمائنا المراد بالكذب هنا، وقبل هذا وذاك، لا تنس قول مولاك: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١]، والله الموفق.

---

(١) المرجع السابق: (٦/ ٤٣٧، ٤٧٤).

ختم الرسالة وعمومها

[٦٩] ختم الله الرسالة بمحمد ﷺ، وجعل رسالته الرسالة العامة للجنّ والإنس والملائكة، وجعل شريعته الشريعة الجامعة لما يحتاج إليه البشر فيما بقي آخر أطوارهم في وجودهم، وهو طور رقيّهم العقلي والعلمي والعمراني، فأغنت عمّا قبلها من الشرائع، فكانت ناسخة لها.

ولهذا[1] جعل آيته القرآن آية خالدة علمية خالدة، يخضع لها ويهتدي بها كلّ من سمعها وفهمها، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٥١]د ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا﴾ [الجاثية: ١٨].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيّ إلاّ أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً (يوم القيامة)**[2]»، رواه البخاري ومسلم[3].

---

(١) كلمة «ولهذا» غير موجودة في (ح).

(٢) ما بين قوسين غير موجود في (ح).

(٣) أخرجه البخاري: (٤٩٨١ ـ ٧٢٧٤)، ومسلم: (٢/١٨٦ نووي)، وأحمد: =

. . . .

---

[٦٩] إنّ من المعلوم من الدين بالضرورة أنّ رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

«فهذه الآية نص في أنّه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأنّ مقام الرسالة أخص من مقام النبوة... وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة ﷺ... فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ، ثمّ من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنّه لا نبي بعده، ليعلموا أنّ كلّ من ادّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل، ولو تحرّق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم...، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كلّ ذي لب وفهم وحجى، أنّهما كاذبان إلى يوم القيامة، حتى يختموا بالمسيح الدجال[1]، فكل واحد من هؤلاء الكذّابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما

= (٢/ ٣٤١، ٤٥١)، والبيهقي في السنن: (٩/ ٤)، والبغوي في شرح السنة: (٣٦١٥)، وابن منده في الإيمان: (٢/ ١٦٨)، وأبو نعيم في الحلية: (١٠/ ٢٣٣).

(١) ومن هؤلاء الكذابين ميرزا غلام أحمد الذي ادعى أنه هو خاتم الأنبياء، فأسس دين القاديانية أو الأحمدية بالتعاون مع البريطانيين عام (١٩٠٠) لما كانوا يحكمون شبه القارة الهندية، وقد حضي أيضاً بالتعاون التام من اليهود وبما يسمى اليوم دولة إسرائيل، وقد بدأت حركته في قرية قديالة الواقعة جنوب إقليم البنجاب بالهند، ثم انتقلت إلى باكستان بعد تقسيم شبه القارة الهندية: الهند وباكستان، ويعد القاديانيين اليوم نحو نصف مليون شخص، وهم من كبار الموظفين في الدول التي ينتشرون فيها، إضافة إلى أنهم يملكون ناصية المال والذهب، شأنهم في ذلك شأن اليهود، ويستخدمون عدة طرق لجذب =

. . . .

. . . .

= الناس إليها، منها توزيع المال والغذاء على الفقراء من المسلمين، ويستغلون هذه الطريقة التي يرونها مناسبة، كما تعطي لأبناء الفقراء من المسلمين منحا دراسية لإكمال الدراسات العليا، ممّا يجعل الناس يقبلون على القاديانية، والقاديانيون منتشرون في معظم دول العالم، خاصة في قارة آسيا وإفريقيا وأستراليا، إلى بريطانيا وألمانيا وكندا والكيان الصهيوني، حيث يتخذون من حيفا مقراً دائماً لهم، ويعقدون مؤتمراً سنوياً لهم في مكان عال في لاهور، أو في حيفا في فلسطين، ولديهم أكبر نادي رياضي وترفيهي في حيفا، ولهم الدعم التام من اليهود، ويركزون على تعريف المسلمين بالقاديانية، باعتباره الدين الصحيح بزعمهم، ويعتقدون أنهم يمكن نشر دينهم في العالم كلّه حتى في مكة والمدينة، زادهما الله شرفاً، ولكن يقولون أن انتشار القاديانية يجب أن يكون تحت الرعاية البريطانية، فهم حسب زعمهم أكثر الناس قدرة على حماية هذا المذهب، وأن من دون هذه الحماية البريطانية التي تشكل ذرعاً واقياً للقاديانية، فإنّ القاديانية ستصبح مكشوفة للآخرين ويمكن القضاء عليها بسهولة، ومن هنا فإنه من الضروري أن ترتبط القاديانية بأي دولة عظمى لتحميها، وعلى القاديانيين أن يكونوا على علاقة طيبة مع المسؤولين في الدول التي يعيشون فيها، وذلك حتى يتوصلوا إلى ما يريدون دون عقبات أو مشاكل.

ويعتقدون أن المسلمين في العالم يجب أن يكونوا مسلمين قاديانيين باعتباره المذهب الصحيح، وباعتبار أنّ ميرزا غلام أحمد نبي أوحي إليه، لا فرق بينه وبين باقي الأنبياء، ويعتقدون أنهم على حق وغيرهم على باطل، ومبادئهم هي التي ستسود في النهاية، ويزعمون أنهم كمسلمين قاديانيين! هم أفضل من يناقش القضايا الإسلامية، وأفضل من يمثل الإسلام، ويعتقدون أن مهمتهم هي إيقاظ المسلمين في العالم، وأن القاديانية هو المذهب الصحيح الذي سيعيد الأوضاع كما كانت من قبل، وهذا لن يتم إلاّ من خلال إيمان الجميع، بأنّ النبي الموحى إليه أحمد بن قاديان هو نبي هذه الأمة، وأن أتباعه المنتشرين في بريطانيا وأمريكا وإسرائيل وفي كل أنحاء العالم، سعيدون المسلمين إلى الطريق الصحيح.

ويقول المصنف رحمه الله تعالى: «قد ضلت وهلكت باتباع أشخاص ادعوا النبوة من هذه الأمة طوائف كثيرة، وقد كان منهم أول الإسلام مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، ثم كان المختار بن عبيد الثقفي، ثم كان منهم في عصرنا وقبيله الباب، وإليه تنسب =

. . . .

يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنّهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلاّ على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنّهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من خوارق للعادات، والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات. . .»[1].

ولمّا اختار الله تعالى رسوله محمداً ﷺ لختم الرسالة، فقد بعثه بالدين القويم، والصراط المستقيم، وجعل رسالته رسالة عامة للناس أجمعين إلى يوم الدين، «وافترض على العباد طاعته، وتعزيره[2]، وتوقيره، ومحبته، والقيام

= البابية، والبهاء، وإليه تنسب البهائية، وغلام القادياني، وإليه تنسب القاديانية، وقد كادت هذه القاديانية تدخل الجزائر على يد طائفة الحلول وشيخها، لولا أن قام في وجوههم العلماء المصلحون وفضحوهم على صفحات «الشهاب». . . فردّ الله كيدهم، ووقى الله الجزائر شراً عظيماً». انظر مجالس التذكير: (ص: ٩٨).

فانظر أخي المسلم وقارن بين نشأة دين الروافض، الذي وضعه عبد الله بن سبأ اليهودي، وبين دين القاديانية الذي يترعرع بين أحضان اليهود والنصارى. . .؟! وانظر القاديانية دراسة وتحليل للشيخ إحسان إلٰهي ظهير، والقاديانية للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، وتاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبي زهرة.

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٣/ ٤٦٠، ٤٦١).

(٢) قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾، قال: تعظموه. وهذه الكلمة قد تعني المعنى المضاد لها، ويفهم المعنى من سياق الكلام. انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ١٦٧).

. . . .

بحقوقه، وسدّ دون الجنة الطرق، فلن تفتح لأحد إلاّ من طريقه، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذّلة والصغار على من خالف أمره»[١].

«وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنّه خاتم النّبيّين، وأنّه مبعوث إلى الناس كافة. . . والآيات في هذا كثيرة، كما أنّ الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة، أنّه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلّهم»[٢].

فأمّا رسالته للجنّ، فلقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ①﴾ [الجن: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ⑬ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ⑭ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ⑮﴾ [الجن: ١٣ ـ ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ㉙ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ㉚ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ㉛ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ㉜﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾: «فيه دلالة على أنّه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجنّ والإنس، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين، وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمن. . .»[٣].

---

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم رحمه الله تعالى: (١/ ٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/ ٢٣٦).

(٣) المرجع نفسه: (٤/ ١٥٣).

. . . .

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى: «لا يختلفون أنّه ﷺ بعث إلى الإنس والجنّ»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «اتّفق على ذلك علماء السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين»(٢).

و«أمّا قوله تبارك وتعالى في الأنعام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، فالمراد هنا مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]، أي أحدهما»(٣).

وقد أجاب الجمهور أيضاً، «بأنّ معنى الآية أنّ رسل الإنس رسل من قبل الله إليهم، ورسل الجنّ بثهم الله في الأرض فسمعوا كلام الرسل من الإنس وبلّغوا قومهم، ولهذا قال قائلهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ . . .»(٤).

وقد جعل المصنف الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى رسالة النبي الخاتم محمد ﷺ عامة للجنّ والإنس والملائكة، فقال رحمه الله عزّ وجلّ: «وجعل رسالته الرسالة العامة للجنّ والإنس والملائكة. . .».

وتعقبه تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان بقوله: «جاءت الرسالة للثقلين: الإنس والجن، أمّا الملائكة فللتشريف لا للتكليف، لأنّهم عليهم السلام

---

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٦/ ٤١٥).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/ ١٥٣).

(٤) فتح الباري: (٦/ ٤١٥). وقد ذكروا موسى عليه السلام، ولم يذكروا عيسى عليه السلام وقد جاء بعده، لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة، انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ١٥٣)، وربما كان الجن من اليهود، ولله أعلم.

. . . .

معصومون من المعاصي، منزّهون عن النقائص، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾»[1]. اهـ.

ومما يقال في هذا المقام أيضاً أنه لم تأت آية ولا حديث يدل أنّ رسول الله ﷺ ـ أو أحد من الرسل ـ دعا الملائكة إلى الإسلام مثلما فعل مع الإنس والجن، وإنما الملائكة عليهم السلام مستسلمون لله تعالى لا يخرجون عن أمره، فمهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين.

والذي أخبرنا به أنّ من الملائكة من يشارك المسلمين في بعض عباداتهم، فمنهم من يحضر حلقات الذكر في المساجد، ومنهم من يحضر الجنائز، ومنهم من يقاتل مع المسلمين بأمر من الله تعالى، ومنهم من يؤمن لتأمين الإمام، وغير ذلك. كما أخبرنا رسولنا وهو الصادق المصدوق، أنّ منهم من يظل ساجداً إلى يوم القيامة.

فالحاصل أنّ الملائكة عليهم السلام مكلّفون، إلاّ أنّهم «ليسوا مكلفين بمثل ما كلّف به الإنس، قاله ابن العربي وغيره»[2].

والقاعدة في هذا قول الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) العقائد الإسلامية: (ص: ٩٣).

(٢) انظر فتح الباري: (٧/٢). وقد أخرج البخاري: (٣٢٢١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات»، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «أنّ جبريل عليه السلام كانت تلك الصلاة واجبة عليه، لأنه مكلف بتبليغها». فتح الباري: (٨/٢). فظهر أنّ الملائكة الكرام مأمورون بتبليغ الدين إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا شك أنهم مأمورون أيضاً بالإيمان بأن الذي يبلغونه إلى الرسل حق وصدق، أما كون رسالة النبيّ ﷺ تخصهم كما تخص الجن والإنس، فيحتاج إلى دليل صريح، والله تعالى أعلم.

. . . .

ولمّا كانت رسالته ﷺ الرسالة الخاتمة، جعل الله تعالى شريعته شريعة جامعة لما سبق من التشريعات، مصدقة لها ومهيمنة عليها، وقد بيّن رسول الله ﷺ «الحِكَم والأحكام، ووضّح الحلال والحرام، وأصّل الأصول وفصّلها، حتّى استتمّ هذا الدين واستقام»[1].

ولهذا «جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها، وتكفّل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾...»[2].

وإنّ الشريعة والمنهج الذي جاء به رسول الله ﷺ من قِبَل المولى تبارك وتعالى يضمن للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة، فهي شريعة ومنهج غير منقوص، لا نحتاج إلى زيادة ولا إلى استدراك، ولهذا كلّه كانت أكبر معجزة لنبينا ﷺ معجزة القرآن الكريم، لأنّها معجزة باقية بين أيدينا، يمكن للناس أن يتفحّصوا ما فيها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقول المصنف رحمه الله تعالى: «جعل آيته القرآن آية عقلية علمية خالدة»، فـ «ليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنّه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنّه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، لأنّ كلّ نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدّى بها قومه، وكانت معجزة كلّ نبي تقع مناسبة لحال قومه، كما كان السحر فاشياً عند فرعون، فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقّفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه

---

(١) رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة للإمام عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله تعالى: (ص: ٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٦٢).

. . . .

لغيره. وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لمّا كان العرب الذين بعث فيهم النّبيّ ﷺ في غاية البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحدّاهم أن يأتوا بسورة مثله، فلم يقدروا على ذلك. . .»[١].

و«المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار، كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأنّ الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كلّ من جاء بعد الأول مستمراً»[٢]، لذلك قال المصنف رحمه الله تعالى: «جعل آيته القرآن آية عقلية».

ومعجزة القرآن مستمرة «لكثرة فائدته وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعمّ نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد»[٣]، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى: «جعل آيته القرآن آية عقلية علمية خالدة». وقال القاضي عياض قبل ذلك: «ومنها[٤] جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي فوائدها»[٥].

وفي هذا كله يقول المصنف رحمه الله تعالى:

«فما من نبي من الأنبياء إلاّ وقد أعطاه الله من الآيات والمعجزات ما مثله في وضوحه وظهوره، والعجز عن معارضته ما يؤمن عليه العباد، ويتفقون عليه

---

(١) فتح الباري: (٩/ ٩، ١٠).
(٢) المرجع نفسه: (٩/ ١٠).
(٣) المرجع نفسه.
(٤) أي ومن معجزات القرآن الكريم.
(٥) فتح الباري: (٩/ ١٠، ١١).

. . . .

لولا ما يصدهم عنه من العناد، وهو معنى قوله ﷺ: **«ما من الأنبياء نبيّ إلاّ أعطي ما مثله آمن عليه البشر»**.

والنبي ﷺ قد أوتي مثل هذه الآيات، وقد نقل الكثير منها كثير من الصحابة رضي الله عنهم، واشتهرت عند أئمة الحديث والنقل، غير أنّ آيته الخالدة العامة الدائمة ـ كعموم رسالته ودوامها ـ هي القرآن العظيم، وهو الوحي الذي أوحاه الله إليه، فهي المعول عليها في دوام الحجة على تعاقب العصور والأجيال، إذ لا يقوم غيرها مقامها في بقائها مشاهدة لجميع الناس، ولذا حصر آيته فيها، فقال: «وإنّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ»[1].

وقد بين رحمه الله تعالى مراده من كون القرآن آية عقلية علمية خالدة، فقال:

«آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام كانت معجزات كونية لا يشهدها إلاّ من حضرها، ثمّ تبقى أخباراً يمكن للجاحد إنكارها، ويتأتى للمشاغب أن يصنع من الخزعبلات والمخارق ما يموه به على ضعفة العقول، ويدعي مماثلتها.

وآية النبي ﷺ ـ وهي القرآن العظيم ـ معجزة علمية عقلية، يخضع لسلطانها كل من يسمعها ويفهمها ولا يستطيع معارضتها، لا في لفظها وأسلوبها وبيانها، الذي عجزت عن معارضة أقصر سورة العرب، على ما كان من حميتها وأنفتها وشدة رغبتها في إبطالها لو وجدت سبيلاً إليها فقط، بل لا تستطاع معارضتها فيما اشتملت عليه من أصول العلوم، التي يحتاج إليها البشر في كمالهم وسعادتهم، أفراداً وجماعات وأمماً، وما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة والحكم الباهرة، في كل ما دعت إليه إلى[2] ما اشتملت عليه من حقائق كونية،

---

(١) مجالس التذكير: (ص: ٣٤).

(٢) هكذا في مجالس التذكير، ولعل الصواب: في كل ما دعت إليه وما اشتملت عليه... والله أعلم.

. . . .

كانت مجهولة عند البشر حتى كشفها العلم في هذا العصر... فبهذا كانت آية النبي ﷺ أعظم الآيات وأبقاها، وكانت مغنية عن غيرها كافية عمّا عداها، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾...»(١).

وقال رحمه الله تعالى:

«لما بقيت هذه الآية الكبرى على العصور، وانبنت على الاحتجاج بالعلم والعقل، كان لها في كل عصر أتباعها الكثيرون عن اقتناع واطمئنان، ويزداد ويكثر عددهم بتوالي الأزمان، ويكثر الداخلون فيهم بقدر ما يزداد تقدم البشر في العلم والعرفان، وقد شوهد هذا اليوم وقبل اليوم، ونحن نرى في هذا العصر كيف ينتشر الإسلام تباعاً لهذه الآية بين الأمم وفي علمائها دون نشر للدعوة من المسلمين تبينها، ولا قوة لهم تؤيدها، وإنما بما فيه من علم وحجة وأدب وحكمة تخضع العقول وتجذب القلوب، ولهذا فرع النبي ﷺ على كون آيته وحياً رجاء أن يكون أكثر الأنبياء عليهم السلام أتباعاً يوم القيامة، الذي تظهر فيه التابعية الصادقة، فقال: «**فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»(٢).

فائدة:

قال المصنف رحمه الله تعالى شارحاً لحديث الباب:

«وقد رجا النبي ﷺ كثرة أتباعه لدوام وظهور آيته الخالدة وهي القرآن العظيم، فعلى الناشرين لهدايته، والمبلغين لدعوته، أن يجعلوا القرآن إمامهم وحجتهم ومرجعهم، فإنه هو كتاب الدعوة، ومنشور الهداية، ومظهر الحجة، وأتباع النبي ﷺ هم أتباع القرآن وخلفاؤه في التبليغ، وورثته في العلم هم الذين يبلغون القرآن ويتلون القرآن، وينذرون بالقرآن، كما كان هو ﷺ كذلك، وكما

---

(١) مجالس التذكير: (ص: ٣٤، ٣٥).

(٢) المرجع نفسه: (ص: ٣٥).

. . . .

قال الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾، جعلنا الله ممّن اتّبعوا سنته، ونشروا هدايته، ويلغوا حجته غير مبدلين ولا مغيرين»[1].

(١) مجالس التذكير: (ص: ٣٦، ٣٧).

عقائد الإيمان باليوم الآخر

[٧٠] نؤمن بانتهاء وجود هذا العالم الدنيوي عند انتهاء أجل وجوده في علم الله، فينحلّ نظام هذا الكون، فيخرب الكون العلوي، كما يخرب الكون السفلي، ليكون العالم الأخروي في كون آخر، ونظام آخر، إذ الذي قدر على خلقه ونظامه، قادر على إعدامه وإبطال نظامه، وعلى خلق مثله ونظامه.

لقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٤]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار: ١ ـ ٥]، ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ [المرسلات: ٨ ـ ١٠]، ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٤ ـ ٦]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس: ٨١].

---

[٧٠] لقد أخبرنا الله تعالى أنّه سيأتي يوم تنشّق فيه السماء، ويفجّر الله البحار بعضها في بعض، فيذهب ماؤها، وتحرّك القبور فيخرج من فيها، في ذلك اليوم تجمع الشمس بعضها على بعض وتكوّر كالعمامة، ثمّ تلفّ ويرمى بها

. . . .

فتصبح مظلمة، ويذهب ضوءها[١]، وتتساقط الكوكب والنجوم، وتقع الجبال على وجه الأرض فتضطرب وتختلط، وتزول عن أماكنها، وتنسف نسفاً فتترك الأرض قاعاً صفصفاً، فلا يبقى لها أثراً، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝﴾، كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء.

في ذلك اليوم، تبدّل الأرض على غير الصفة المألوفة المعروفة[٢]، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النّقي**»، قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد[٣].

---

(١) كما قال ﷺ: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»، أخرجه البخاري: (٣٢٠٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وأخرج ابن وهب في كتاب «الأهوال» عن عطاء بن يسار في قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝﴾ [القيامة: ٦]، قال: يجمعان يوم القيامة ثمّ يقذفان في النار، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه موقوفاً أيضاً. قال الخطابي: ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا، ليعلموا أنّ عبادتهم لهما كانت باطلاً. وقيل: إنهما خلقا من النار فأعيدا فيها. وقال الإسماعيلي: لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإنّ لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً، وآلة من آلات العذاب، وما شاء الله من ذلك، فلا تكون هي معذبة...». فتح الباري: (٦/ ٣٦١).

(٢) قد وقع الخلاف بين السلف، هل معنى تبديلها، تغيير ذاتها وصفاتها، أو تغيير صفاتها فقط. راجع تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٩٧)، وفتح الباري: (١١/ ٤٥٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٥٢١)، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «قال الخطابي: «العفر، بياض ليس بالناصع. وقال عياض: العفر، بياض يضرب إلى حمرة قليلاً، ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها. وقال ابن فارس: معنى عفراء، خالصة البياض. وقال الداودي: شديدة البياض. كذا قال، والأوّل هو المعتمد.

قوله: «كقرصة النقي»، بفتح النون وكسر القاف، أي الدقيق النقي من الغش والنخال، قاله الخطابي...». فتح الباري: (١١/ ٤٥٥، ٤٥٦).

. . . .

وذلك من علم الغيب الذي لم يطلع الله تعالى عليه أحداً من خلقه، لا نبي مرسل ولا ملك مقرّب، وإنّه يأتي بغتة وعلى حين غفلة من الناس، ومنه تعلم أخي المسلم كذب من يحسب حسابات لوقوع ذلك اليوم، أو يخبر غيره بما رأى في المنام، ويكفيك قول نبيّك ﷺ للأمين جبريل عليه السلام: «**..ما المسؤول عنها بأعلم من السائل...**».

ولذلك قال المصنف رحمه الله تعالى: «. . . نؤمن بانتهاء وجود هذا العالم الدنيوي عند انتهاء أجل وجوده في علم الله. . .».

[٧١] نؤمن بأنّ الله تعالى يحيينا بعد الموت، ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا من قبورنا ومن حيث كنّا إلى الموقف الأعظم للمحاسبة على الأعمال والجزاء عليها، إذ ذاك جائز في قدرته وواجب على عدله وحكمته.

لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الجاثية: ٢٦]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٦]، ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [القمر: ٧] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦]، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٨ ـ ٢٩]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ ـ ٧]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

---

[٧١] يقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«الإيمان بالمعادِ ممّا دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه، وردّ على منكريه في

. . . .

غالب سور القرآن، وذلك أنّ الأنبياء عليهم السلام كلّهم متفقون على الإيمان بالآخرة، فإنّ الإقرار بالربّ عام في بني آدم وهو فطري، كلّهم يقرّ بالربّ إلاّ من عاند كَفِرْعَوْن، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإنّ منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لمّا كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين[1]، وكان هو الحاشر المقفي[2]، بيّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء...»[3]. اهـ.

ويقول الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«والإيمان بالبعث هو أن نؤمن بأنّ الله تعالى يعيد الرفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرّق منها في البحار وبطون السباع وغيرها، حتّى تصير بهيئتها الأولى[4]، ثمّ يجمعها حيّة، فيقوم الناس كلّهم بأمر الله تعالى أحياء، صغيرهم وكبيرهم حتّى السقط الذي قد تمّ خلقه، لو لم ينفخ فيه الروح أصلاً، فهو وسائر الأموات بمنزلة واحدة، والله تعالى أعلم»[5].

و«إذا قضت قدرة القادر جلّ جلاله بأن يكسو الأشجار بعد عريها، ويلوّن الأزهار مرّة أخرى، وينبت الأعشاب، ويردّ الزرع بعد فنائه، فيجدد له كلّ ما فقده، ويرجعه لحاله الأولى، أفلا يكون ذلك شهادة لقيامه الموتى وبعثهم»[6].

---

(١) إشارة إلى حديث سهل بن سع، أخرجه البخاري: (٤٩٣٦).

(٢) وهذه من أسمائه ﷺ. كما أخرجه البخاري: (٤٨٩٦)، والترمذي: (٢٥٤٢)، من حديث جُبَير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٥٨٩).

(٤) وهو نفسه قول المصنف رحمه الله تعالى: «ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا من قبورنا ومن حيث كنا».

(٥) شعب الإيمان: (١/ ٢٣٩).

(٦) انظر دلائل التوحيد للعلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٣١٩، ٣٢٠).

. . . .

يقول الحافظ رحمه الله تعالى معلقاً على حديث ابن مسعود، حدثنا الصادق المصدوق[(١)]، قال:

«وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت، لأنّ من قدر على خلق الشخص من ماء مهين، ثمّ نقله إلى العلقة، ثمّ إلى المضغة، ثمّ ينفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح بعد أن يَصيرَ تراباً، ويجمع أجزاءه بعد أن يفرقها، ولقد كان قادراً على أن يخلقه دفعة واحدة ولكن اقتضت الحكمة بنقله في الأطوار رفقاً بالأم، لأنّها لم تكن معتادة، فكانت المشقة تعظم عليها، فهيّأه في بطنها بالتدرج إلى أن تكامل، ومن تأمّل أصل خلقه من نطفة وتنقله في تلك الأطوار إلى أن صار إنساناً جميل الصورة، مفضلاً بالعقل والفهم والنطق، كان حقاً عليه أن يشكر من أنشأه وهيأه، ويعبده حق عبادته ويطيعه ولا يعصيه. . .»[(٢)].اهـ.

ومن ثمرات الإيمان بالبعث والنشور، أنّه «يبعث على فضل الرهبة من الله تعالى جدّه، وقلة الركون إلى الدنيا والتهاون بأحزانها ومصائبها، والصبر عليها وعلى مضض الشهوات، واحتساباً وثقة بما عند الله تعالى جدّه عنها من حسن الجزاء والثواب»[(٣)].

هذا، وقد «سكت المؤلف رحمه الله عن أشراط الساعة فلم يذكرها، لأنّ المؤلف إنّما يريد أن يتكلم عن يوم اليوم الآخر، وما أشراط الساعة إلاّ مجرد

---

(١) وهو قوله ﷺ: «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه» الحديث، أخرجه البخاري: (٣٢٠٨ ـ ٣٣٣٢ ـ ٦٥٩٤ ـ ٧٤٥٤)، ومسلم: (٢٦٤٣)، وأحمد: (١/ ٣٨٢، ٤٣٠)، وأبو داود: (٤٧٠٨)، والترمذي: (٢١٣٧)، وابن ماجة: (٧٦)، وابن حبان: (٦١٧٤ تخريج الأرنؤوط).

(٢) فتح الباري: (١١/ ٥٩٥).

(٣) من كلام الإمام أبي عبد الله الحليمي رحمه الله تعالى شيخ الإمام البيهقي، انظر شعب الإيمان: (١/ ٢٣٥)، وراجع شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٦٨ ـ ٦٩)، وعقيدة أهل السنة والجماعة: (ص: ٤٦) كلاهما للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

. . . .

علامات وإنذارات لقرب قيام الساعة، لِيَسْتَعِدَّ لها من يستعد.

وبعض أهل العلم الذين صنفوا في العقائد ذكروا أشراط الساعة هنا، والحقيقة أنّه لا تعلق لها في الإيمان باليوم الآخر، وإن كانت هي من الأمور الغيبية التي أشار الله إليها في القرآن، وفصلها النبيّ ﷺ في السنة»[١].

فائدة:

قال المصنف رحمه الله تعالى عن البعث والمحاسبة والجزاء: «إذ ذاك جائز في قدرته، وواجب على عدله وحكمته.

اعلم أخي المسلم أنه لا يحب شيء على الله تعالى إلاّ ما أوجبه على نفسه تكرماً وتفضلاً، على ذلك اتّفق أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وأمّا الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحريم بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول، وأهل السنة متفقون على أنّه سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنّ العباد لا يوجبون عليه شيئاً»[٢].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

«حق العباد على الله، ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا خلاف في الوعد، فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه بحكم الأمر، إذ لا آمر فوقه، ولا حكم للعقل، لأنّه كاشف لا موجب...»[٣].اهـ.

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية: (٢/ ١٢٧، ١٢٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: (٢/ ٧٧٦).

(٣) انظر فتح الباري: (١١/ ٤١٣).

. . . .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى:

«المراد بالحق هنا، المتحقق الثابت أو الجدير، لأنّ إحسان الربّ لمن لم يتخذ ربّاً سواه جدير في الحكمة أن لا يعذبه، أو المراد أنّه كالواجب في تحققه وتأكده، أو ذكر على سبيل المقابلة...»[1].اهـ.

---

(١) المرجع السابق: (١١/ ٤١٣).

[٧٢] نؤمن بأنّ الله تعالى ينصب الميزان يوم القيامة، فتوزن أعمال العباد ليجازوا عليها، ويقتص من بعضهم البعض، فمن رجحت حسناته نجا، ومن رجحت سيئاته عذّب، إذ ذاك واجب في عدل الله، لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [الجاثية: ٢١ ـ ٢٢].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إنّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثمَّ طرح في النار**»، رواه مسلم[1].

---

[٧٢] «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأنّ أعمال العباد توزن يوم القيامة... وأنكرت المعتزلة، وقالوا: هو عبارة عن العدل، وخالفوا الكتاب

---

(١) (١٦/ ١٣٥ نووي)، والترمذي: (٢٥٣٣ تحفة)، وأحمد: (٢/ ٣٠٣)، البيهقي في السنن: (٦/ ٩٣)، وفي الشعب: (٣٤٤)، وابن حبان: (٤٣٩٤ ـ ٧٣١٥ إحسان)، والبغوي في شرح السنة: (٤١٦٤)، والخطيب البغدادي في التاريخ: (٤/ ٢٣)، وانظر السلسلة الصحيحة: (٨٤٧).

. . . .

والسنة، لأنّ الله أخبر أنّه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة، ليكونوا على أنفسهم شاهدين»[١].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«والذي دلت عليه السنة أنّ ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، روى الإمام أحمد[٢] من حديث أبي عبد الرحمٰن الحبلي، قال: سمعت عبد الله بن عمروﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كلّ سجل مدّ البصر، ثمّ يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إنّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنّك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفّة والبطاقة في كفّة، وقال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء**»...

وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أنّ العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري[٣] عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «**إنّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]. . .

---

(١) انظر فتح الباري: (١٣/ ٦٦٠).

(٢) (٢/ ٢١٣)، والترمذي: (٢٦٣٩)، وابن ماجة: (٤٣٠٠)، وابن حبان: (٢٥٢٤)، والحاكم: (١/ ٦، ٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى الترمذي: حسن، وصححه مخرجاً الطحاوية: (٢/ ٦١٠).

(٣) برقم: (٤٧٢٩).

. . . .

وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم[(١)] عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان...»** الحديث.

وفي الصحيحين، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمٰن، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[(٢)].

فلا يلتفت إلى ملحد معاند، يقول الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنّما يقبل الوزن الأجسام!! فإنّ الله يقلب الأعراض أجساماً كما تقدم، وكما روى الإمام أحمد[(٣)] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **«يؤتى بالموت كبش أغبر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال خلود لا موت...»**.

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أنّ الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان...»[(٤)].اهـ.

وقد اختلف أهل العلم في وحدة الميزان وتعدده، فذهب بعضهم إلى أنّ

---

(١) برقم: (٢٢٣)، وأحمد: (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣)، والترمذي: (٣٥١٧)، النسائي: (٥/ ٥ ـ ٨)، وابن ماجة: (٢٨٠)، والدارمي: (١/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٤٠٦)، ومسلم: (٢٦٩٤)، والترمذي: (٣٤٦٧)، وابن ماجة: (٣٨٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) (٢/ ٤٢٣)، والدارمي: (٢/ ٣٢٩)، وصححه مخرجا الطحاوية: (٢/ ٦١٣)، وأخرجه البخاري: (٤٧٣٠)، ومسلم: (٢٨٤٩)، والترمذي: (٣١٥٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦٠٩، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣).

. . . .

لكلّ شخص ميزاناً خاصاً، أو لكلّ عمل ميزاناً، لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وذهب آخرون إلى أنّ الميزان واحد، وأنّ الجمع باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص.

«ولكن الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنّ الميزان واحد، وأنّه جمع باعتبار الموزون، بدليل قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]، لكن يتوقف الإنسان هل يكون ميزاناً واحداً لجميع الأمم، أو لكلّ أمّة ميزان؟ لأنّ الأمم ـ كما دلت عليه النصوص ـ تختلف باعتبار أجرها...»[١].

«ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلاّ البقّال والفوّال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً»[٢].

فائدة:

يقول الإمام أبو الطيّب صدّيق حسن خان القنّوجي رحمه الله تعالى:

«وأمّا الكفار، فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنّه لا حساب لهم، ولكن تعدّ أعمالهم فتحصى فَيُوقَفُونَ عليها، ويقررون بها ويخبرون بها»[٣].

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥].

---

(١) من كلام الشيخ العلامة العثيمين رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الواسطية: (٢/ ١٣٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦١٣).

(٣) قطف الثمر: (ص: ١٢٥).

. . . .

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾، قال ابن الأعرابي: تقول العرب ما لفلان عندنا وزناً، أي قدراً لخسته، وقيل معناه: لا يزن لهم سعيهم عند الله عزّ وجلّ مع كفرهم شيئاً...»[1].اهـ.

---

(١) انظر شرح السنة: (١٥/ ١٤٣)، وراجع تفسير ابن كثير: (٣/ ١٠١).

[٧٣] ونؤمن بأنّ الله يضرب الصراط على ظهر جهنّم، فيمرّ عليه النّاس أجمعون، فينتهي أهل الجنّة، ويسقط منه في النار أهل النّار، لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

---

[٧٣] قد تواترت الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ بذكر الصراط[١].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: «**... ثمّ نبقى أيّها المؤمنون فيأتينا ربّنا، فيقول علام هؤلاء قيام؟ فنقول: نحن عباد الله المؤمنين، وعبدناه وهو ربّنا وهو آتينا ويثيبنا وهذا مقامنا، فيقول: أنا ربّكم فامضوا، قال: فيوضع الجسر وعليه كلاليب من النار تخطف الناس، فعند ذلك حلّت الشفاعة لي...**» الحديث[٢].

وعنه رضي الله عنه، أنّ النّبيّ ﷺ، قال: «**..ويضرب جسر جهنّم، قال: فأكون أوّلم من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وبه كلاليب مثل شوك السّعدان، أما رأيتم شوك السّعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنّها مثل شوك السّعدان، غير أنّها لا يعلم قدر عظمتها إلاّ الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل...**» الحديث[٣].

---

(١) راجع الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ١٠٨).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٩٦٨)، والبغوي في شرح السنة: (٤٣٢٨).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٥٧٣)، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢)، وأحمد: (٢/ ٢٧٥).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «والسعدان جمع سعدانة، وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا سعدان» فتح الباري: (١١/ ٥٥٢).

وقال الزين بين المنيّر رحمه الله تعالى: «تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة، ثمّ استثنى إشارة أنّ التشبيه لم يقع في مقدارها. . .» فتح الباري: (١١/ ٥٥٢٥).

وقوله: «ومنهم المخردل»، قال الهروي رحمه الله تعالى: «المعنى أنّ كلاليب النار =

. . . .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

«وفيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف مجمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته»[1].

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

«نؤمن بالصراط والميزان، والجنة والنار والحساب، لا ندفع ذلك ولا نرتاب»[2].

والصراط «جسر على جهنّم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها، أنّ رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: «**هم في الظلمة دون الجسر...**»[3].

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم...»[4].

وقد أشار المولى تبارك وتعالى إلى الصراط في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

= تقطعه فيهوى في النار» الفتح: (١١/ ٥٥٢).
وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقيل معناه: أنها تقطعهم عن لحوقهم بمن نجا، وقيل: المخردل المصروع، ورجحه ابن التين، فقال: هو أنسب لسياق الخبر» فتح الباري: (١١/ ٥٥٣).

(١) كتاب الإيمان من الإكمال: (٢/ ١٩٣)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٣/ ١٤٦)، (٤/ ٢٧٩)، وشرح السنة للإمام البربهاري رحمه الله تعالى: (ص: ٧٤).

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (٦/ ١٢٥١).

(٣) أخرجه مسلم: (٣١٥).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦٠٥).

. . . .

«وقد اختلف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط. . .

وفي الصحيح[1] أنه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول:** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، **فقال: ألم تسمعيه قال:** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾».

أشار ﷺ إلى أنّ ورود النار لا يستلزم دخولها، وأنّ النجاة من الشرّ لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوّه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجّاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصّهم الله به من أسباب النجاة، لأصابهم ما أصاب أولئك. . .

وكذلك حال الواردين النار، يمرّون فوقها على الصراط، ثمّ ينجّي الله الذين اتّقوا ويذر الظالمين فيها جثيّاً، فقد بيّن ﷺ في حديث جابر المذكور أنّ الورود هو المرور على الصراط. . .»[2].

هذه عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ ومنهجهم، يؤمنون بكل ما ثبت عن الشارع من كتاب أو سنة، فلا يردّون شيئاً من ذلك ولا يرتابون، بل يؤمنون بكل ما ثبت بعد الموت.

وتأمل أخي قول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكلّ ما أخبر به النّبيّ ﷺ ممّا يكون

(١) أي في صحيح مسلم: (٢٤٩٦) عن جابر رضي الله عنه، وأحمد: (٦/ ٢٨٥، ٣٦٢)، عن حفصة رضي الله عنها.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦٠٦، ٦٠٧)، وراجع تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٤) لتقف على أقوال السلف في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

. . . .

بعد الموت...»[١].

وقول عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى: «من آمن بالله، فقد آمن بالغيب»[٢].

فإيمانك بالله تعالى يستلزم منك الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أمور الغيب، لا ترتاب ولا تشك.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية: (٢/ ١٠٥).

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٦).

[٧٤] ونؤمن بأنّ الله خلق النار دار عذاب وخلود لمن كفر، ودار عذاب إلى أجل لمن رجحت سيئاتهم على حسناتهم فاستحقّوا العذاب، وأنّ العذاب فيها للأرواح والأجساد.

لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٧].

ولحديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج من النار**[1] **من قال لا إلٰه إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثمّ يخرج من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برّة، ثمّ يخرج من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة**»، رواه مسلم[2].

---

[٧٤] من عقائد أهل السنة والجماعة أنّ الجنّة والنّار «مخلوقتان، لا يفنيان ولا تبيدان، فإنّ الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه»[3].

واعلم أخي المسلم ـ وفقني الله وإياك ـ، «أنّ النار في الآخرة ناران، نار تفنى، ونار تبقى أبداً لا تفنى، فالأولى هي نار العصاة من المذنبين من المسلمين، والأخرى نار الكفار والمشركين، هذا خلاصة ما حرره ابن القيّم في الوابل الصيّب، وهو الحق الذي لا ريب فيه، وبه تجتمع الأدلة...»[4].

---

(١) في (ح) «يخرج من في النار».

(٢) في الإيمان، باب: الشفاعة: (٣/ ٥٩ نووي)، والبخاري: (٤٤ ـ ٤٤٧٦)، والترمذي: (٢٧٢٠ تحفة)، وأحمد: (٣/ ١١، ١٧٣).

(٣) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق، للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٧٣).

(٤) المرجع نفسه: (ص: ٧٣).

. . . .

وذلك أنّ الله تعالى جعل مستقر أعدائه من كفار ومنافقين ومشركين جهنّم خالدين أبداً، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ [الزمر: ٧١ـ ٧٢]، وأخبرنا تعالى أنّ النار ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، فهم خالدون فيها أبداً، لا يخرجون منها ولا يخفف من عذابها، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٤٩ ـ ٥٠].

«وأمّا عصاة الموحدين فإنّهم لا يخلدون في النار، وإن دخلوها بما اقترفوا من ذنوب استحقوا العذاب من أجلها، وتلك هي النار التي تفنى كما سبق، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن نهج نهجهم، وهذه قصة أخرجها الإمام مسلم، لعلّها تكون موعظة وذكرى لأولئك القوم.

قال يزيد الفقير[١]: خرجنا في عصابة نريد أن نحج ثمّ نخرج على الناس، فمررنا بالمدينة فإذا رجل يحدث، وإذا هو قد ذكر الجهنّميّين[٢]، فقلت له: ما هذا الذي تحدثون به، والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أسمعت بمقام محمد الذي بعثه الله؟ قلت: نعم، قال: فإنّه

---

(١) بفاء ثم قاف وزن عظيم، ولقب بذلك لأنه كان يشكو فقار ظهره، لا أنه ضد الغنى. فتح الباري: (١١/ ٥١٨).

(٢) هم قوم يخرجون من النار بعدما عذبوا فيها واحترقوا، لحديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يخرج قوم من النار بعدما مسّهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسمّيهم أهل الجنة الجهنميين» أخرجه البخاري: (٦٥٥٩ ـ ٧٤٥٠).

. . . .

مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من النار بعد أن يكونوا فيها، ثمّ نعت وضع الصراط ومدّ الناس عليه، قال: فخرجنا، وقلنا: أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فوالله ما خرج منا غير رجل واحد...»[١].

قال الحافظ رحمه الله تعالى بعد أن ذكر القصة:

«وحاصله أنّ الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم ويحدثون بما سمعوا من النّبيّ ﷺ...»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**إنّي لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيّل إليه أنّها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيّل إليه أنّها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإنّ لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إنّ لك مثل عشرة أمثالها، فيقول: تسخر منّي، أو تضحك منّي، وأنت الملك، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتّى بدت نواجده، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة**»[٣].

هذا، وقول المصنف رحمه الله تعالى: «...وأنّ العذاب فيها للأرواح والأجساد...»، فهو «أمر مسلّم عند الجمهور»[٤].

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وكذلك عذاب القبر يكون للنّفس والبدن جميعاً باتّفاق أهل السنة

---

(١) انظر فتح الباري: (١١/٥١٨، ٥١٩).

(٢) المرجع نفسه: (١١/٥١٩).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٥٧١).

(٤) من كلام العلامة نعمان بن محمود الألوسي رحمه الله تعالى، انظر الآيات البيّنات: (ص: ٨٠).

. . . .

والجماعة، تنعم النّفس وتعذّب مفردة عن البدن ومتصلة به...»[١].

وقال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله تعالى:

«المعروف عند أهل السنة والجماعة أنّه في الأصل على الروح، والبدن تابعاً لها، كما أنّ العذاب في الدنيا على البدن، والروح تابعة له، وكما أنّ الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر، وفي الآخرة على العكس، ففي القبر يكون العذاب أو النعيم على الروح، ولكن الجسم يتأثر بهذا اتّباعاً، وليس على سبيل الاستقلال، وربما يكون العذاب على البدن، والروح تتبعه، لكن هذا لا يقع إلاّ نادراً، إنّما الأصل أنّ العذاب على الروح، والبدن تبع، والنعيم للروح، والبدن تبع...»[٢].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٥٧٩).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (٢/ ١٢٠)، ولا منافاة بين كلام الإمام الطحاوي والشيخ ابن عثيمين كما هو ظاهر. وقد ذهب الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى إلى أنّ العذاب والنعيم يقع على الروح دون البدن، وقد رد عليه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى. انظر الفصل لابن حزم: (٤/ ٦٧، ٦٨)، والروح لابن القيم: (ص: ٤٣).

[٧٥] نؤمن بأنّ الله خلق الجنّة دار نعيم وخلود للمؤمنين، وأنّها محرمة على الكافرين، وأنّ النعيم فيها للأرواح والأجساد، وأنّ أعظم نعيمها هو رضوان الله، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨].

ولقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الطور: ١٩].

ولقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢]، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين[١].

---

[٧٥] لقد جعل الله تعالى جهنّم دار عذاب ونكال وهوان لأعدائه، كما جعل الجنة دار نعيم وثواب ورضوان لأوليائه، فهي محرمة على الكافرين.

وكما أنّ العذاب يقع على الروح والبدن، فكذلك النعيم، وقد مر هذا قريباً.

وأمّا قول المصنف رحمه الله تعالى: «وأنّ أعظم نعيمها هو رضوان الله»، فهو مأخوذ من قوله ﷺ: **«إنّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربّنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربّ وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**[٢].

قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«لأنّ رضاه سبب كلّ فوز وسعادة، وكلّ من علم أنّ سيده راض عنه كان

(١) الصلاة والسلام على نبينا غير مثبتة في (ح).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٥٤٩ ـ ٧٤١٨). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

. . . .

أقرّ لعينه، وأطيب لقلبه من كلّ نعيم، لما في ذلك من التعظيم والتكريم. . .»[(١)].

لذلك من رضي الله تعالى عنه غفر له، وقربه، وأدخله دار رحمته، وأعطاه المزيد، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

«فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم، فسّرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم[(٢)] في صحيحه، عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إنّ لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقّل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة...**».

وكذلك فسّرها الصحابة رضي الله عنهم، روى ابن جرير عن جماعة منهم أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم»[(٣)].

فظهر بذلك أنّ أعظم نعيم أهل الجنة هو رؤيته تعالى، وهو أمر زائد على الرضوان كما هو واضح في الحديث، كما أنّ أهل النار مع دخولهم جهنّم، هم مع ذلك محجوبون عن رؤية الله تعالى، وذلك أعظم في العذاب والتنكيل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، أي لهم يوم القيامة

---

(١) فتح الباري: (١١/ ٥١٤).

(٢) في الإيمان: (٢٩٧)، والترمذي: (٢٥٥٥)، وابن ماجة: (١٨٧)، وأحمد: (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢١١).

. . . .

منزل ونزل سجين، ثمّ هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربّهم وخالقهم.

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي:

وفي هذه الآية دليل على أنّ المؤمنين يرونه عزّ وجلّ يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية. . .»[١].

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «من تمام النعمة دخول الجنة، والنظر إلى الله تبارك وتعالى»[٢].

بل إنّ رؤية الله تعالى هي روح الجنة، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«. . .فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم[٣]، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله، الذي ما طابت لأهلها إلاّ به»[٤].

فائدة:

قال الحافظ رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «...أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً...»:

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٤٠).

(٢) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة رحمه الله تعالى: (٢/ ٢٦٢)، وانظر اعتقاد أهل السنة للالكائي رحمه الله تعالى: (٤٩٦)، والروح لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٢٣٢).

(٣) قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: باب كلام الرب مع أهل الجنة، وذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة. . .» الحديث برقم: (٧٥١٨)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الرجل من أهل البادية، برقم: (٧٥١٩).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٧٨).

. . . .

«. . .قال ابن بطّال: استشكل بعضهم هذا لأنّه يوهم أنّ له أن يسخط على أهل الجنة وهو خلاف ظواهر القرآن، كقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، وأجاب بأنّ إخراج العباد من العدم إلى الوجود من تفضله وإحسانه، وكذلك تنجيز ما وعدهم به من الجنة والنعيم من تفضله وإحسانه، وأمّا دوام ذلك فزيادة من فضله على المجازاة لو كانت لازمة، ومعاذ الله أن يجب عليه شيء فلمّا كانت المجازاة لا تزيد في العادة على المدة ومدة الدنيا متناهية، جاز أن تتناهى مدة المجازاة، فتفضل عليهم بالدوام، فارتفع الإشكال جملة. انتهى ملخصاً.

وقال غيره: ظاهر الحديث أنّ الرضا أفضل من اللقاء وهو مشكل، وأجيب بأنّه ليس في الخبر أنّ الرضا أفضل من كل شيء، وإنّما فيه أنّ الرضا أفضل من العطاء[١]، وعلى تقدير التسليم فاللقاء مستلزم للرضا، فهو من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، كذا نقل الكرماني، ويحتمل أن يقال المراد حصول أنواع الرضوان، ومن جملتها اللقاء فلا إشكال. . .»[٢].

---

(١) وكلام الحافظ هذا يؤيد ما اخترناه من أن الرؤية أفضل من الرضا، الله أعلم.

(٢) فتح الباري: (١٣/ ٥٩٦).

(فصل)

ختم المصنف رحمه الله تعالى عقيدته بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٨٢﴾، ثمّ الصلاة على النبي والآل والأصحاب.

وهذا يحتمل معنيين:

الأول: ختم العقيدة التي قررها بما ينزه الله تبارك وتعالى، إذ «التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أنّ الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص»[1].

الثاني: اتباعاً لما قاله بعض السلف: «من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٨٢﴾»[2].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٣).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من قول علي رضي الله عنه، ورواه ابن أبي حاتم، عن الشعبي، عن النبيّ ﷺ، والانقطاع واضح، ويروى عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه كان إذا أراد أن يسلم قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ الآية، ثم يسلم، قال ابن كثير «إسناده ضعيف»اهـ والصحيح في ذلك حديث كفارة المجلس المعروف وانظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/ ٢٣).

الخاتمة

وبعد:

فقد اتّضح لكل ذي لب سليم، من خلال مباحث وفصول هذه العقائد، منهج الإمام المصنف رحمه الله تعالى، فكان يدعم ما يقرره من عقيدة بالآيات والأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، متبعاً في ذلك علماء أهل الحديث، الذين لا يقدّمون بين يدي الله ورسوله، فما خالف رحمه الله تعالى كتاب ربه، ولا فارق سنة رسوله ﷺ، ولا اتّبع غير سبيل المؤمنين، فكانت هذه المباحث «تشمل على ما يجب على المكلف اعتقاده والاعتراف به، مع الإشارة إلى أطراف أدلته على طريق الاختصار، وما ينبغي أن يكون شعاره على سبيل الإيجاز»[١].

وما ذكره العلاّمة ابن باديس رحمه الله تعالى من العقائد «ينبغي أن يقدّم إلى الصبي في أوّل نشوه ليحفظه، ثمّ لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، ومن فضل الله على قلب الإنسان أن شرحه في أوّل نشوه للإيمان، من غير حاجة إلى حجة وبرهان، فلا بد من إثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل، وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صفة الكلام والجدال، بل يشتغل بتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه

(١) الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ٧).

من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادة ووظائفها»[١].

وقد «زعمت في هذه المسائل والأبحاث التي ذكرتها في هذه الرسالة... أنّي لاحظت الحق ونصرته... وتابعت الكتاب والسنة... مع أنّي قصير الباع، قليل الاطّلاع، فما أخطأت فيه من كلامي، وخالفت فيه واضح الكتاب وصريح السنة، فعلى كلّ مسلم ردّه، والاجتناب عنه، ومتابعة الكتاب العزيز والسنة المطهرة دونه، فإنّما قصدي نصرتهما لا مخالفتهما، فما أصبت فيه فمن الله سبحانه، وله فيه الحمد والمنة والشكر والثناء، وما أخطأت فيه، فالذنب فيه منّي ومن الشيطان، وعليّ فيه البراءة منه والتوبة منه والاستغفار والتحذير... والله سبحانه أسأل أن يسلمني من البدع والذنوب، ويغفر لي ما أخطأت فيه من الأصول والفروع، إنّه واسع الغفران والرحمة، وهو حسبي وكفى في الآخرة والأولى»[٢].

«وآخر كلامي كأوّله أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلاته وسلامه على محمد سيّد المرسلين، وخاتم النّبيّين، وشفيع المذنبين، وآله الطيّبين الطاهرين، وصحبه الراشدين المهديين إلى يوم الدين»[٣].

---

(١) انظر قطف الثمر للإمام صدّيق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ١٥٥).
(٢) المرجع نفسه: (ص: ١٥٧).
(٣) المرجع نفسه: (ص: ١٦١).

قائمة المراجع والمصادر

الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ٢ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م).

الإبانة عن شريعة الفرقة النّاجية ومجانبة الفرق المذمومة. للإمام ابن بطة.

- **الكتاب الأول:** الإيمان. تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي. دار الراية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. ط ٢ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٤م).

- **الكتاب الثاني:** القدر. تحقيق ودراسة الدكتور عثمان عبدالله آدم الأثيوبي. دار الراية، ط ٢ (١٤١٨ هـ).

- **الكتاب الثالث:** الرد على الجهمية. تحقيق ودراسة الدكتور يوسف ابن عبدالله بن يوسف الوابل. دار الراية، ط ٢ (١٤١٨ هـ).

إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف. تأليف سليمان بن ناصر بن عبدالله العلوان. دار الصميعي الرياض المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

إثبات صفة العلو. للإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، بعناية بدر بن عبدالله البدر. دار ابن الأثير الكويت، ط ٢ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

إثبات اليد لله سبحانه. للإمام الحافظ أبي عبدالله محمّد بن أحمد الذهبي، تحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن صالح البرّاك. دار الوطن المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م).

اعتقاد الإمام أبي عبدالله محمّد بن إدريس الشافعي. جمع الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الهكّاري، تحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن صالح البرّاك. دار الوطن المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م).

الإصابة في تمييز الصحابة. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض. دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. للإمام محمّد الأمين بن محمّد المختار الجكني الشنقيطي. دار عالم الكتب بيروت.

اعتقاد أئمة أهل الحديث. للإمام أبي بكر الإسماعيلي، تحقيق الدكتور محمَّد بن عبد الرحمن الخميس. دار الفتح الشارقة الإمارات العربية المتحدة، ط ١ (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م).

أعلام الموقعين عن ربّ العالمين. للإمام الحافظ شمس الدّين أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل. مكتبة ابن تيمية القاهرة.

أسباب النزول. للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. دار الفكر.

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. للإمام محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني. إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م).

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية. لابن القيّم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ط ١ (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. للشيخ محمّد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي. ط ١ (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م).

إعراب القرآن. للإمام أبي جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل النّحّاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد. دار عالم الكتب بيروت، ومكتبة النهضة العربية. ط ٣ (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م).

الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء، جمعاً وتخريجاً ودراسة. إعداد الدكتور جمال بن أحمد بن بشير بادي. دار الوطن الرياض، ط ١ (١٤١٦ هـ).

الاحتجاج بالقدر. لشيخ الإسلام ابن تيمية، خرَّج أحاديثه الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني. المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ط ٥ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م).

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. ترتيب الأمير علاء الدّين علي بن بلبان الفارسي، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١(١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).

الآداب. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي، علّق عليه أبو عبدالله السعيد المندوه. مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١ (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

الأربعون الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله تعالى وأخلاقهم. للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق محمّد نور بن محمّد أمين المراغي. طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي. الدوحة قطر.

الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية. للشيخ عبد العزيز

الحمد السلمان. شركة الشهاب الجزائر (١٩٨٨ م).

الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كلّه بالإيجاز والاختصار. للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبد البر النّمري الأندلسي القرطبي. وثّق أصوله وخرّج نصوصه، ورقّمها الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. دار قتيبة للطباعة والنشر (دمشق ـ بيروت)، ودار الوغى (حلب ـ القاهرة)، ط ١ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

الاستيعاب في أسماء الأصحاب. للإمام ابن عبد البر، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

الإسلام الدين الكامل. للشيخ العلاّمة محمّد الأمين بن محمّد المختار الجكني الشنقيطي. مكتبة ابن تيمية مصر.

الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ٢ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد. للإمام محمّد الأمين ابن محمّد المختار الشنقيطي، تحقيق شريف بن محمَّد فؤاد بن هزّاع. مكتبة ابن تيمية القاهرة.

الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات. للإمام العلاّمة نعمان بن محمود الألوسي، حققه وقدّم له وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني. المكتب الإسلامي، والملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع الجزائر.

الإيمان. لشيخ الإسلام ابن تيمية، خرّج أحاديثه الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني. المكتب الإسلامي، ط ٥ (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م).

بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني. للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

البداية والنهاية. للإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير، حققه مجموعة من الأساتذة، دار المكتب العلمية بيروت لبنان، (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م).

البعث والنشور. للإمام الحافظ أبي بكر بن أبي داود، حققه وعلّق عليه الشيخ أبو إسحاق الجويني، دار الشهاب الجزائر بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

البيان المأمول في علم الأصول. بقلم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، الطبعة الأولى.

تاريخ بغداد. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

تأويل مختلف الحديث. للإمام أبي محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، صححه وضبطه محمد زهري النجار، دار الجيل بيروت (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

تجريد التوحيد المفيد. للإمام أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تقديم وتحقيق وتعليق علي حسن علي عبد الحميد، شركة الشهاب الجزائر.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. للإمام المباركفوري، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار الفكر بيروت، ط ٢ (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م).

تسهيل المنطق. للشيخ عبد الكريم بن مراد الأثري، دار مصر للطباعة.

تفسير القرآن العظيم. للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير،

دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

تفسير البغوي، المسمّى معالم التنزيل. للإمام الحافظ أبي محمّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار. دار المعرفة بيروت، ط ١ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

تفسير الطبري، المسمّى: جامع البيان في تفسير القرآن. للإمام أبي جعفر محمَّد بن جرير الطبري. دار الفكر بيروت، (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م).

تقريب التدمرية. للشيخ محمّد بن صالح بن عثيمين، اعتنى به وخرّج أحاديثه سيّد بن عبّاس بن علي الجليمي، دار الجيل بيروت، ومكتبة السنة القاهرة (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

تقريب التهذيب. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١ (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م).

تلخيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالردّ على البكري. لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ).

تهذيب تاريخ دمشق الكبير. للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ٣ (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م).

تهذيب التهذيب. للإمام الحافظ شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار الفكر، ط ١ (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م).

تهذيب الكمال في أسماء الرجال. للحافظ جمال الدّين أبي الحجاج يوسف المزّي، حققه وضبط نصه وعلّق عليه الدكتور بشّار عوّاد معروف. مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م).

تهذيب لسان العرب. للإمام العلاّمة أبي الفضل جمال الدّين بن منظور. تمَّ تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، إشراف الأستاذ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١ (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م).

التبصير في معالم الدّين. للإمام أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، تحقيق وتعليق علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

التحذير من مختصرات محمَّد علي الصابوني في التفسير. للشيخ بكر ابن عبدالله أبي زيد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ٢ (١٤١٠ هـ).

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. للإمام شمس الدّين أبي عبدالله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢ (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).

التصديق بالنّظر إلى الله تعالى في الآخرة. للإمام أبي بكر محمّد بن الحسين الآجرّي. تحقيق محمّد غياث الجنباز، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

التصنيف الفقهي لأحاديث كتاب الكنى والأسماء. لأبي بشر محمّد ابن أحمد بن حمَّاد الدولابي. إعداد وتعليق وتحقيق أبي ياسر عصام الدِّين ابن غلام حسين، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط ١ (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م).

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ ابن عبد البر. الجزء السادس عشر، تحقيق عمر الجيدي وسعيد أحمد أعراب، (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).

التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. للشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن يحيى العتمي اليمني، قام على طبعه وتحقيقه والتعليق عليه الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط ٢ (١٤٠٦هـ).

التوضيح والبيان لشجرة الإيمان. للعلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، خرّج أحاديثه محمّد ناصر العجمي، دار الاستقامة الجزائر، ط ١ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م).

التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة. للعلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، علق عليها الشيخ عبد العزيز بن باز، وضبط نصّها وخرّج أحاديثها علي حسن عبد الحميد، دار الإمام مالك، البليدة الجزائر (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م).

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. للحافظ ابن عبد البر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي الدمّام، الطبعة الثالثة (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م).

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، دار الهدى الجزائر، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م).

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمّد عجّاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م).

الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي خرّجها محدّث العصر الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني. صنعه سليم بن عبد الهلالي، دار ابن الجوزي الدمّام، الطبعة الثانية (ربيع الثاني ١٤١٧هـ ـ

١٩٩٦ م).

جماع العلم. للإمام محمّد بن إدريس الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية.

حجة النَّبيّ ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه. للشيخ محمّد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).

حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، المعروف بالأذكار النووية. للإمام النووي، حققه وعلّق عليه علي الجريشي وقاسم النووي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢ م).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠ م).

حياة القلوب بدعاء علاّم الغيوب. لإمام الحرم المكي الشيخ أبي السمح محمّد عبد الظاهر بن محمّد نور الدّين الفقيه، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م).

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. للإمام الحافظ قوّام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمّد التيمي الأصبهاني.

ـ **الجزء الأوّل**: تحقيق ودراسة محمّد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م).

ـ **الجزء الثاني**: تحقيق محمّد محمود أبو رحيّم، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م).

خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه. للشيخ محمّد

ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة (١٩٩٧ م).

خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل. للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، خرّج أحاديثه وصحّح ألفاظه أبو محمّد سالم بن أحمد بن عبد الهادي، وأبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني الأبياني، شركة الشهاب الجزائر.

دلائل التوحيد. للشيخ محمّد جمال الدّين القاسمي، ضبط وتعليق وتخريج الشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للحافظ جلال الدّين السيوطي. دار المعرفة، بيروت لبنان.

ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث. للإمام عبد الغني النابلسي، دار المعرفة بيروت لبنان، وجمعية النشر والتأليف الأزهرية.

ذم التأويل. للإمام موفق الدّين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، بعناية بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير الكويت، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م).

رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمَّة. للعلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قيّدها واعتنى بأصلها أبو الحارث نادر بن سعيد آل مبارك التعمري، راجعها وقدّم لها الشيخ مشهور حسن آل سلمان والشيخ سليم بن عيد الهلالي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

الردّ على الجهمية. للإمام أحمد بن حنبل.

الردّ على الجهمية. للإمام الحافظ ابن منده، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه الدكتور علي بن محمّد ناصر الفقيهي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

الردّ على الجهمية. للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، قدم له، وخرّج أحاديثه وعلّق عليها بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير الكويت، الطبعة الثانية (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م).

الرسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر. لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الشهاب الجزائر، بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة والاعتقادات وأصول الديانات. للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق الدكتور محمّد بن سعيد ابن سالم القحطاني، دار ابن الجوزي الدمّام، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م).

الروح. للإمام ابن القيّم، دار الكتب العلمية، بيروت (١٣٩٩ هـ).

زاد المعاد في هدي خير العباد. للإمام ابن القيّم، حقّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الشيخان: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية الكويت، الطبعة الثالثة عشرة (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

زاد المهاجر إلى ربّه، وهي الرسالة التبوكية. للحافظ ابن القيّم، تحقيق وتعليق أبي محمّد أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة الإمام البخاري، والدار السلفية للنشر والتوزيع والبحث العلمي مصر، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ).

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. للعلاّمة محمّد ناصر الدّين الألباني، نشر مكتبة المعارف الرياض.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمّة. للعلامة محمّد ناصر الدّين الألباني، نشر مكتبة المعارف الرياض.

سنن ابن ماجة، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الفكر.

سنن الترمذي، حققه وصححه عبد الرحمن محمّد عثمان، دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (١٤٩٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

سنن الدارقطني، وبذيله التعليق المغني على الدراقطني لأبي الطيّب محمّد آبادي.

سنن الدارمي، للإمام أبي محمّد عبدالله بهرام الدارمي، دار الفكر بيروت.

سنن النسائي. دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

السنة. للإمام محمّد بن نصر المروزي، خرّج أحاديثه وعلّق عليه أبو محمّد سالم بن أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١ (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

السنة. للإمام أبي بكر أحمد بن محمّد الخلاّل، دراسة وتحقيق الدكتور عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية الرياض، ط ٢ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م).

السنن الكبرى. للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر.

سير أعلام النبلاء. للحافظ الذهبي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه جماعة من الباحثين، تحت إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١ (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م).

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم. للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن

الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة الرياض، ط ٥ (١٤١٨ هـ).

شرح حديث النزول. شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي بيروت، ط ٧ (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م).

شرح السنة. للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتعليق وتخريج الشيخ شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط ٢ (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

شرح السنة. للإمام أبي محمّد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، دراسة وتحقيق أبي ياسر خالد بن قاسم الردادي، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة، ط ١ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

شرح العقيدة الأصفهانية. لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرشد الرياض، ط ١ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

شرح العقيدة الطحاوية. للإمام ابن أبي العز الحنفي، حققه جماعة من العلماء، وخرج أحاديثه العلاّمة محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٥ (١٣٩٩ هـ).

شرح العقيدة الطحاوية. للإمام ابن أبي العز، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣ (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م).

شرح العقيدة الواسطية. سماحة الشيخ محمّد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فوّاز الصميل، دار ابن الجوزي الدمام، ط ٤ (رجب ١٤١٧ هـ).

شرح الحافظ ابن القيّم على مختصر أبي داود، مطبوع بحاشية عون المعبود، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).

شرح معاني الآثار. للإمام أبي جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة الطحاوي، تحقيق وتقديم وتعليق محمّد زهري النجّار ومحمّد سيّد جاد الحق، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وفهرسته الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار عالم الكتب بيروت، ط ١ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م).

شعب الإيمان. للإمام البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام ابن قيّم الجوزية، دار المعرفة بيروت.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى. للإمام القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية بيروت.

صحيح البخاري، در الفكر (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م).

صحيح ابن خزيمة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور محمّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م).

صحيح الجامع الصغير وزيادته. للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

صحيح سنن الترمذي. للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض، بالتعاون مع المكتب الإسلامي بيروت، ط ١ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م).

صحيح سنن النسائي، للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط١ (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨).

صحيح السيرة النبوية. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتبة الإسلامية عمّان الأردن، ط ١ (١٤٢١ هـ).

صحيح مسلم مع شرح النووي، حققه وفهرسه عصام الصبّابطي، وحازم محمّد وعماد محمّد، دار أبي حيان، ط ١ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، دار الفكر بيروت.

صراع بين السنة والبدعة، أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس. للشيخ أحمد حمّاني، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر، ط ١ (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م).

الصارم المنكي في الردّ على السبكي. للإمام محمّد بن أحمد بن عبد الهادي، مكتبة الفرقان مصر.

الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزنقة. للإمام أحمد بن حجر الهيثمي المكي، تخريج وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، ط ٢ (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م).

ضعيف سنن ابن ماجة. للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط ١ (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري عزّ وجلّ. للإمام أبي شامة، تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف، دار الصحوة القاهرة، ط ١ (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).

طريق الهجرتين وباب السعادتين. للإمام ابن القيّم، دار الكتب العلمية بيروت.

الطبقات الكبرى. للإمام محمّد بن سعد، دراسة وتحقيق محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).

عالم الجن والشياطين. للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البليدة الجزائر.

عقيدة أهل السنة والجماعة. للشيخ محمّد الصالح العثيمين، طبع

تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض، ط ٣ (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م).

عقيدة السلف وأصحاب الحديث. للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمّد الجديع، دار العاصمة، ط ٢ (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م).

عمل اليوم والليلة. للحافظ أبي بكر أحمد بن محمّد بن إسحاق، المعروف بابن السني، خرج أحاديثه وعلق عليه عبدالله حجاج، دار الشهاب باتنة الجزائر، ط ٤ (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م).

عون المعبود بشرح سنن أبي داود. للإمام شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).

العقيدة في الله. للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البليدة الجزائر (١٩٩٠ م).

العقيدة الطحاوية شرح وتعليق. للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، إعداد وتقديم زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري. للإمام زين الدّين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدّين البغدادي، الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمّد، دار ابن الجوزي، ط ١ (رجب ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري. للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتب وأبوابه وأحاديثه محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث القاهرة، ط ١ (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري. للإمام أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني، دار ابن باديس الجزائر ودار السلام الرياض، ط ١ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م).

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تعليق الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبدالله بن باز، دار الندوة الجديدة.

الفتاوى الكبرى. لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة بيروت.

الفتوى الحموية الكبرى. لشيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم محمّد عبد الرزاق حمزة، مطبعة المدني والمؤسسة السعودية بمصر.

الفصل في الملل والأهواء والنحل. للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق الدكتور محمّد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عُميرة، شركة مكتبات عكاظ المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م).

الفوائد. للإمام ابن قيّم الجوزية، ضبطها وحققها الشيخ عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

قاعدة في المحبة. لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور محمّد رشاد سالم، دار الشهاب باتنة الجزائر ومكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر. للعلاّمة محمّد صدّيق حسن خان القنوجي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عاصم بن عبدالله القريوتي، دار الإمام مالك البليدة الجزائر، ط ٢ (١٤١٤ هـ).

قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث. للعلاّمة محمّد جمال الدّين القاسمي، تحقيق محمّد بهجة البيطار، تقديم محمّد رشيد رضا، دار النفائس، ط ٢ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

القاموس المحيط. للعلاّمة مجد الدّين بن يعقوب الفيروزآبادي، دار

الكتاب العربي.

القاديانية دراسة وتحليل. للشيخ أحيان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان، ط ١٦ (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م).

القاديانية. للشيخ محمّد بن إبراهيم الحمد، دار القاسم المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ).

القضاء والقدر. للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البليدة الجزائر، ط ١ (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. للشيخ محمّد الصالح العثيمين، الدار السلفية الجزائر والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالرغاية الجزائر (١٩٩٠ م).

القول السديد شرح كتاب التوحيد. للعلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الوطن الرياض، ط ١ (رجب ١٤١٢ هـ).

القول السديد في الردّ على من أنكر تقسيم التوحيد، للشيخ عبد الرزّاق بن عبد المحسن العباد البدر، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن عفان المملكة العربية السعودية، ط ٢ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م).

الكبائر. للإمام شمس الدّين الذهبي، حققه وخرج أحاديثه عمّار أحمد عبدالله، قدم له الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن باديس الجزائر، ط ١ (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م).

كتاب الأربعين حديثاً. للإمام محمّد بن الحسين الآجرّي، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمّد النقراشي السيّد علي، مكتبة دار العليان بريدة، ط ١ (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).

كتاب الأسماء والصفات. للإمام أبي بكر البيهقي، دار إحياء التراث

العربي بيروت.

كتاب الإيمان. للحافظ أبي بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة، تحقيق العلاّمة محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، والملكية بالجزائر، ط ٢ (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

كتاب الإيمان. للإمام أبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق العلاّمة محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، والملكية بالجزائر، ط ٢ (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

كتاب الإيمان. للإمام محمّد بن إسحاق بن يحيى بن منده، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي بن محمّد بن ناصر الفقيهي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١ (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م).

كتاب الإيمان من إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم. للقاضي عياض، تحقيق الدكتور الحسين بن محمّد شوّاط، دار الوطن الرياض، ط١ (١٤١٧ هـ).

كتاب البعث والنشور. للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية بيروت، ط ١ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ. للإمام أبي بكر بن خزيمة، دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشعوان، مكتبة الرشد الرياض، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ط ٦ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م).

كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ. للإمام أبي بكر ابن خزيمة، راجعه وعلق عليه محمّد خليل هرّاس، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

كتاب الجرح والتعديل. للإمام ابن أبي حاتم الرازي، علق عليه العلاّمة عبد الرحمن المعلّمي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند، ط١ (١٣٨٢ هـ ـ ١٩٥٣ م).

كتاب السنّة. للحافظ أبي بكر بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنّة للعلاّمة محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط ٣ (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م).

كتاب الشريعة. للإمام أبي بكر الآجرّي، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله بن عمر بن سليمان الدّميجي، دار الوطن الرياض، ط ٢ (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م).

كتاب الصلاة. للإمام محمّد بن نصر المروزي، تحقيق وضبط الدكتور مصطفى عثمان محمّد صميدة، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م).

كتاب الضعفاء الكبير. للإمام العقيلي، حققه ووثقه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م).

كتاب القدر. للإمام أبي بكر جعفر بن محمّد بن الحسن الفريابي، حققه وخرج أحاديثه عبدالله بن حمد المنصور، أضواء السلف الرياض، ط١ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م).

كتاب الموضوعات. للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، تخريج توفيق حمدان، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار. للإمام أبي بكر ابن أبي شيبة، حققه وصححه عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية بومباي الهند.

الكفاية في علم الرواية. للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية

بيروت، (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م).

الكلام على الصفات. للخطيب البغدادي، تحقيق عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة، ط ١ (١٤١٣ هـ).

لمعة الاعتقاد. للإمام موفق الدّين ابن قدامة المقدسي، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م).

ما دلّ عليه القرآن ممّا يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان. للعلاّمة السيد محمّد شكري الألوسي، تحقيق زهير الشاويش، وتخريج الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م).

مباحث في علوم القرآن. للشيخ مناع القطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣٤ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م).

مجالس التذكير من حديث البشير النذير. للشيخ العلاّمة عبد الحميد ابن باديس، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر، ط ١ (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

مجمع الزوائد ومنع الفوائد. للإمام نور الدّين علي بن أبي بكر الهيثمي، تخريج الحافظين العراقي وابن حجر، مكتبة القدس القاهرة.

مجموع الفتاوى. لشيخ الإسلام ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزّار وأنور الباز، دار الوفاء ودار ابن حزم، ط ٢ (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م).

مختار الصحاح. للإمام محمّد بن أبي بكر الرازي، مكتبة الريان بيروت (١٩٩٦ م).

مختصر الصواعق المرسلة. للإمام ابن قيّم الجوزية، اختصره الشيخ محمّد الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٥ هـ).

مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾. للإمام ابن القيّم، تحقيق العلاّمة محمّد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م).

مسألة في التوحيد وفضل لا إلٰه إلاَّ الله. للإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي، حققه وخرج أحاديثه عبد الهادي محمّد منصور، وراجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥ م).

مسند الشافعي. للإمام أبي عبدالله محمّد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م).

مسند أبي عوانة. للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، دار المعرفة بيروت.

مسند أبي داود الطيالسي. للإمام سليمان بن داود بن الجارود البصري، الشهير بأبي داود الطيالسي، توزيع دار الباز مكة المكرمة، طبع دار المعرفة بيروت.

مشكاة المصابيح. للإمام التبريزي، تحقيق الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣ (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).

مشكل الآثار. للإمام أبي جعفر الطحاوي، دار صادر بيروت، ط ١ مصورة على طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن الهند (١٣٣٣ هـ).

مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، أو مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة. للحافظ أبي بكر جلال الدّين السيوطي، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه بدر بن عبدالله البدر، مؤسسة الريان بيروت، ودار النفائس الكويت (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، تقديم الدكتور عبد الرزّاق بن عبد المحسن العباد البدر، دار الفتح الشارقة، ط ١ (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م).

مقالات الإسلاميين. للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الحداثة بيروت، ط ٢ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م).

معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ بن أحمد حكمي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبي عمر، طبع دار ابن حزم بيروت، نشر دار ابن القيّم الدمّام، ط ١ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧ م).

معالم أصول الفقه عند أهل السنّة والجماعة. للدكتور محمّد بن حسين بن حسن الجيزاني، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط٢ (صفر ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م).

معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر. لعادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض الثقافية بيروت، ط ٢ (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م).

معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر بيروت (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م).

معجم المناهي اللفظية، ويليه فوائد من الألفاظ. للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة الرياض، ط ٣ (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م).

معرفة علوم الحديث. للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الدكتور السيّد معظم حسين، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط ٢ (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م).

معنى الإيمان والإسلام، أو الفرق بين الإيمان والإسلام. لسلطان

العلماء العز بن عبد السلام، تحقيق إياد خالد الطبّاع، دار الفكر دمشق، والملكية بالجزائر.

من أحاديث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. للحافظ تقي الدّين أبي محمّد عبد الغنيّ بن عبد الواحد المقدسي، أشرف على تحقيقه وراجعه وعلق عليه وقدم له الشيخ مصطفى بن العدوي، وخرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبدالله محمّد العفيفي، دار ابن رجب مصر، ط ١ (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م).

منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات. للعلاّمة محمّد الأمين الشنقيطي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٠١ هـ).

موسوعة أطراف الحديث النّبوي الشريف. إعداد أبي هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، عالم التراث بيروت، ط ١ (محرم ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م).

ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للحافظ شمس الدّين الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة بيروت.

المستدرك على الصحيحين. للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، دار الفكر بيروت.

المستدرك على الصحيحين. للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، تحقيق عبد السّلام بن محمّد بن عمر علوش، دار المعرفة بيروت، ط ١ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨ م).

المسند. للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي، ط ٢ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

المسند. للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر.

المسند. للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق العلاّمة أبي الأشبال أحمد محمّد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

المسند. للحافظ أبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي، حقق أصله وعلق عليه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة السلفية المدينة المنورة.

المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية. للشيخ محمّد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الراية المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ).

المصنّف. للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتخريج الشيخ حبيب الرحمن، من منشورات المجلس العلمي سملك سوزت الهند.

المعجم الصغير. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي الطبراني، صححه وراجع أصله عبد الرحمن محمّد عثمان، دار الفكر، ط ٢ (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م).

المعجم الكبير. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢.

المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. للحافظ زين الدّين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار المعرفة بيروت.

المنهج القويم لتصحيح أفكار الفرق المختلفة في صفات ربّ العالمين. جمعه ورتبه أبو عبدالله إبراهيم سعيداوي، دار الاحتساب، طبع بدار الحرمين القاهرة، ط ١ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

الموطأ. للإمام مالك بن أنس، برواية يحيى بن يحيى الليثي، دار النفائس، ط ١٠ (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).

نصب الراية لأحاديث الهداية. للإمام جمال الدّين الزيلعي، اعتنى به

أيمن صالح شعبان، دار الحديث القاهرة، ط ١ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

نبذة مختصرة عن العلاّمة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى. أعدّها الشيخ محمود أبو عبد الرحمن الجزائري، طبع مجالس الهدى الجزائر، ط ١ (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م).

النبذ في أصول الفقه الظاهري. للإمام ابن حزم الأندلسي، حقق نصوصها وعلق عليها الشيخ محمّد صبحي حسن حلاّق، دار ابن حزم بيروت، ط ١ (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م).

النهاية في غريب الحديث والأثر. للإمام مجد الدّين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمّد الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية.

يحيى بن معين وكتابه التاريخ. دراسة وترتيب وتحقيق الدكتور أحمد محمّد نور سيف، طبع جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ط ١ (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م).

اليوم الآخر (القيامة الصغرى). للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البليدة الجزائر.

فهرس الموضوعات